الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد خيضر- بسكرة
كلية الآداب والعلوم الاجتماعية و الإنسانية
قسم
الأدب العربي

مولديات الثغري التلمساني مضمونها وتشكيلها

مذكرة مقدمة لنيل درجة
الماجستير
في الأدب الجزائري

إعداد الطالبة:
مليكة ضاوي

إشراف الأستاذ الدكتور:
العربي دحّو

أعضاء لجنة المناقشة :

الرقم	الأستاذ	الرتبة	الجامعة	الصفة
01	د. تبرماسين عبد الرحمان	أستاذا محاضرا	بسكرة	رئيسا
02	د. دحو العربي	أستاذا محاضرا	باتنة	مشرفا ومقررا
03	د. عالية علي	أستاذا محاضرا	بسكرة	عضوا مناقشا
04	د. فورار امحمد	أستاذا محاضرا	بسكرة	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 1426 – 1427 هـ
2005- 2006 م

RÉSUME DU MÉMOIRE

A travers cette étude j'ai voulu découvrir la biographie du poète " Athghri Tlemçani " et tout ce qui l'entoure de circonstances politiques , sociales et littéraires tout en voulant donner à la poésie des " mouloudiettes " son concept et son historique et d'en faire une étude poétique dans la mesure du possible . Et je peux dire que je suis parvenue à des résultats moins qu'on puisse qualifier d'observations ou réflexions regroupées dans ce qui suit :

1) – A partir de mon étude de la vie culturelle et littéraire les **IIIV** et les **IV** siècles étaient marqués par un épanouissement des sciences et des différentes connaissances islamiques qui s'étaient étendues vers les grandes métropoles de l'islam . Signalons que les émirs de ce lieux et leurs successeurs se sont préoccupés par la fondation d'une civilisation typique .

Et lors du **IIIV** siècle Hygire , de grandes écoles étaient édifiées en vue d'enseigner et de cultiver les générations

2) – Cette analyse biographique " Athghri Tlemçani " a révéler sa célébrité et son caractère conservateur et son inspiration des poètes " Abassides " tels que "Abi Tamam " et " Al-moutanabbi " comme on peut ajouter qu'il a imité dans ses œuvres d'autres poètes tels que : " El-boussayri " et cela peut être du à la renommé de la poésie orientale et maghrébines .

3) – Mes recherches ont abouti à ce que les poètes " Zyanites " se sont emparés de ce style et l'on enrichi au point de devenir une orientation à part entière .

4) – Après avoir consulter l'œuvre de " Athghri Tlemçani " je suis contraint de dire que ce dernier serait inspiré de son environnement et de sa réalité tout en suivant les pas des poètes arabes avant l'arrivée de l'islam , néanmoins cela ne l'avait pas empêcher d'appâter son exquise création artistique .

5) – La plupart de ses poèmes se caractérisaient par un chois minutieux de termes et d'expressions qui avaient refondu aux objectifs conçus à ce type poétique. En ce concerne les textes sur le prophète "que le salut soit sur lui"

Ces derniers étaient en étroite liaison avec sa personnalité ce qui élucide l'abondance des termes religieux cela nous permet de dire que le langage était compatible avec les thèmes ce qui montre la capacité intellectuelle du poète .

6) – Le style " Athghri Tlemçani " se caractérise par sa force lucidité loin d'être compliqué influence par le coran .

7) – Et finalement " Athghri Tlemçani " est une personne d'une large culture religieuse et cela se manifeste dans sa fierté musulmane et dans son attachement au prophète et au valeurs nobles de l'islam .

Finalement on peut dire sur la poésie de " Athghri Tlemçani " est simple dans sa majorité , caractérisée par une retouche artistique rayonnante en dépit de recul qu'a connu la créativité à cette époque et où la poésie se contentait dépeindre les fêtes religieuses , bien au contraire ses " Mouloudyettes " reflétait son lyrisme et son savoir faire .

Par conséquent je souhaite que se modeste exposé participe à l'enrichissement de la bibliothèque arabe et à l'ouverture de nouveaux horizons à ceux intéresses par littérature maghrébines .

أولا: مفهوم ومعنى المولديات

أ- المولديات من الناحية اللغوية :

لم نعثر في المعاجم والقواميس على مفهوم المولديات تحديداً، وإنَّما وجدنا اشتقاقاتها، منها ما جاء في لسان العرب المحيط:

- **مولد الرجل**: وقت ولادته، ومولده الموضع الذي ولد فيه، وولدته أمه تلده مولدا.
- **وميلاد الرجل**: اسم الوقت الذي ولد فيه[1]

وعليه فالمولد اسم مكان وزمان في وقت واحد.

وقد استعملت لفظة "مولد" بمعنى تاريخ منذ عهد بعيد وللوا قدي كتاب اسمه"مولد الحسن والحسين"[2] بمعنى تاريخ الحسن والحسين.

كذلك تستعمل لفظة مولد بمعنى: الحول أو السَّنة.

ب-المولديات من الناحية الاصطلاحية:

أما اصطلاحا: فالأجدر بنا أن نعرّج على باب يقودنا إلى مفهومها ويكشف لنا كيف استقى هذا اللون جذوره كي يستقلّ بذاته عن باقي الفنون الأخرى ، إنه باب المدح.

جـ- فالمدح لغة:

نقيض الهجاء وهو حسن الثناء , يقال مدحته مدحه واحدة , يمدحه مدحا ومدحةً , وهذا قول بعضهم والصحيح أن المدحُ المصدر والمدحة اسم الجمع وهو المديح والجمع المدائح والاماديح [3]

د- أما اصطلاحا:

فالمدح هو حسن الثناء وهو تعداد لجميل المزايا ووصف الخصال والشمائل الكريمة ,مع إظهار التقدير والتعظيم الذي يكنه الشاعر لمن تتوفر فيه هذه المزايا [4]

([1]) - ابن منظور: لسان العرب المحيط،الجزء السادس،مادة " ولد"،دار الجيل الجديد بيروت 1988، ص980-981.

([2]) - زكي مبارك: المدائح النبوية في الأدب العربي،منشورات المكتبة العصرية،صيدا ،بيروت، ص245.

([3])- ابن منظور: لسان العرب، مادة "المدح"، المجلد الثالث، دار لسان العرب، ص 187.

([4])- أحمد أبو حاقة : فن المديح وتطوره في الشعر العربي، ط1 بيروت منشورات دار الشرق الجديد ،،1992ص5 .

وقد عرَّف قدامه بن جعفر المدح من خلال قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه في وصف خُلق زهير بن أبي سلمى حيث قال: «إنه لم يكن يمدح الرجل إلا بما يكون للرجال فإنه في هذا القول إذا فهم وعمل به منفعة عامة»[1]

ليخلص بعد ذلك للتعريف التالي:« ولما كان المدح اسما مشتركا بمدح الرجال وغيرهم عمّه بالقول في مدح الرجال إذا كان غرض الشعراء إنما هو مدحهم».[2]

والمدح في الاصطلاح غرض من أغراض الشعر، يقوم على فن الثناء وتعداد مناقب الإنسان الحي , وإظهار آلائه وإشاعة محامده ,و فعائله التي خلقها الله فيه بالفطرة , والتي اكتسبها اكتسابا , والتي يتوهمها الشاعر فيه.[3]

ومن كل ما تقدم يمكننا القول :المدح غرض شعري قديم تمتد جذوره إلى العصر الجاهلي كالفخر والرثاء والوصف , ويركز الشاعر فيه على إبراز خصال الممدوح الحميدة المتمثلة في قيم المروءة والأخلاق كالكرم والوفاء ونجدة المظلوم والشجاعة ..... وغيرها من الخصال المحببة عند عرب الجاهلية والإسلام .

وعليه فليس من المغالاة في شيء القول :إنّ المديح يعتبر في الشعر العربي أبرز الفنون الشعرية على الإطلاق إذا رافق قيثارة الشعر العربي منذ وجودها الأول فكان وتر ميزان الشعر فيها [4]

وليس أدّل على قدم ظهور فن المدح إلا كونه مرتبطا بفطرة الإنسان ارتباطا وثيقا وفي هذا الصدد يقول الشاعر العربي:

يَهْوَى الثَنَاءُ مُبْرِزٌ وَمُقصِر حُبُّ الثَنَاءِ طَبِيعَةُ الإِنْسَانِ [5]

([1]) - قدامه بن جعفر: نقد الشعر، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت ص95.

([2]) - مرجع نفسه، ص96 .

([3])- غازي طليمات، عرفان الأشقر :الأدب الجاهلي قضاياه, أغراضه ,أعلامه، فنونه، ط1، دار الفكر المعاصر ,بيروت –لبنان ، 2002،1ص200.

([4])- أبو حاقة أحمد: فن المديح وتطوره في الشعر العربي ص 14.

([5])- فاتح الجميلي: بناء قصيدة المدح عند ابن هانئ الأندلسي ،بحث مقدم لنيل شهادة ماجستير في الأدب الأندلسي، ,نوقشت في قسنطينة 1999 ص12-13.

لذلك كان سرّ اتجاه الشعراء نحوه قديما وحديثا , وظل قائما على مسرح الشعر وربما خُلِقَ الشاعر ليكون مدأَّحًا .

ومن الثابت أن غرض المدح لم يعد وقفا على المشارقة فقط أمثال زهير وكعب بن زهير والمتنبي وفحول شعرائه, وإنما مَثَلَ بقوة في المغرب العربي وتحديدا في الدولة الزيانية أثناء حكم أبي حمو موسى الثاني .

هـ- المدح في الشّعر الزياني:

لم يختلف فن المديح في الأندلس والمغرب عما كان عليه في المشرق العربي، فقد استمر الشعراء ينسجون قصائدهم على منوال المشارقة ,فقد أكثروا منه وبالغوا فيه، حتى احتل الصدارة في أشعارهم فالمدح عند المغاربة وبالأخص عند شعراء الدولة الزيانية شأنه في ذلك شأن بقية العصور الأدبية فهو لا يتعدى صفات المروءة والشجاعة والكرم التي يخلعها الشاعر على ممدوحه إعجابا به وإخلاصا له,وإما أن يدور هذا المدح حول انتصارات الممدوحين التي تعد نصرا للمسلمين....

تلك الانتصارات التي كانت نتيجة للمعارك والوقائع الحربية بين الزيانيين والمرّنيين والحفصيين، لذلك فقد أقدم الشعراء على مدح العظماء من رجالهم بالمعاني المثلى والسامية كالشجاعة والكرم والأنفة وحب المجد والطموح إلى المعالي والحلم والمروءة ....كل ذلك يشكل مساهمة فعالة من جانبهم في بلورة المثل العليا وحثِ الناس وتشجيعهم على تحمل كل ما تتطلبه من عناء وشدة وصبر .

أما حظ المدح عند الزيانيين فهو وفير إذ لم نقل إنه كاد أن يطغى على بقية الفنون ومردُّ ذلك أن المدح وجد الأرض الخصبة عند الزيانيين ليزدهر ويتطور, ولاثبات هذا الرأي فإن" التنسي" قد ألف كتابا أسماه "راح الأرواح فيما قال عنه أبو حمو أو قيل عنه في الأمداح".[1]

وأقل ما يقال في هذا الأمر، أن غرض المدح في الشعر الزياني يحتل القسم الأكبر بين بقية الأغراض الأخرى وذلك شأنه في الأدب العربي عموما.

(1)- هذا الكتاب مفقود ولا أثر له في المكتبات العامة والخاصة المشهورة.

ومن هذا المنطلق سوف تكون بادرة حديثنا في هذا مجال المدح الزياني عرض للمعاني التي امتاز بها وتفرد بها الشعر الزياني عن بقية الشعر العربي وليكن الحديث عن وصف الكرم والشجاعة، لما تمتاز به هذه الصفات في غرض المدح من مكانة وذيوع كبيرين , وخاصة في الشعر الزياني فهذا "ابن خميس التلمساني" نراه في أغلب قصائده المدحية يردد هذين المعنيين ويتضح ذلك في مدحه "لأبي زيان عثمان ابن يغمراسن":

أَلْقَيْتُ مِنْ عَامِرٍ هُمَ سَيِّدًا غَرَّ رِدَاءَ الحمِدِّجَمُّ النَوَالِ

وَكعْبَةُ لِلْجُودِ مَنْصُوبَةُ تَسْعَى إِلَيْهَا النَّاسُ مِنْ كُلِّ حَالِ[1]

فممدوح ابن خميس في هذين البيتين كعبة منصوبة للجود والكرم يسعى إليها الناس من كل فج عميق ,وهذه الصورة نراه قد استمدها من الحرم الشريف والمسلمين عندما يتوجهون إلى الحج من كل الجهات شرقا وغربا , شمالا وجنوبا , ولا شك أن هذه الصورة الجميلة قد وضحت لنا بدقة كرم هذا السلطان وجود عطائه.

أما صفة الشجاعة والغلبة والظهور على الأعداء فقد ترددت في قصائده أيضا نجد ذلك واضحا في قوله:

تَخْشَاهُ أسْدُ الغَابِ فِي أجَمَاتِهَا والرُّومُ فِي الأسْوَارِ وَ الأبْرَاجِ

ضَمِنَ الإِلَهُ عَلَى أعْدَائِهِ مَا شَاءَ من ظفر وأفْلاَحِ[2]

ونظرا لعطايا "أبي حمو " التي لا ينكرها أهل بلاده , فإنها استدعت الشاعر" لسان الدين بن الخطيب" يكثر من الشكر والثناء إذ يقول فيه :

(1) – المقري: نفخ الطيب، م 4 ،ج 7، ص285.

(2)- لسان الدين الخطيب :الإحاطة في أخبار غرناطة ج2 ،ط1، تحقيق محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي القاهرة 1974ص550-551.

وَقَـفَ الهَـوَاْءُ عَلَـى ثَنَـاكَ لِسَـانِي رَ ـَعْيًـا لِمَـا رَأَيْـتُ مِـنْ إِحْسَـانِ
فَكَأَنَمَـــا شُـــكْرِي لِمَـــا أَوْلَيْتَـــهُ شَـكْرُ الرِيَـاضِ لِعَـارِضِ النِسْـيَانْ
وَلَقَدْ تَشَاجَرَتِ الرِمَاحُ فَكُنْتَ فِي مَيْدَا مَيْـدَانِ نَصْـرِكَ فَـارِسَ الفُرْسَـانِ
جَبَـرْتَ بِجَبْـرِكَ كُـلَّ نَفْـسٍ حُـرَةٍ وَشَـــذَا بِشُـــكْرِ اللهِ كُـــلَّ لِسَـــانِ
وَبَـدَتْ سُـعُودُكَ مُسْـتَقِيمًا سَـيْرُهَا وَعَلَـتْ فَفَـرَّ أَمَامَهَـا النُحْسَـانُ[1]

إن هذه الأبيات جعل فيها المادح ممدوحه جامعا لصفات الشجاعة والإقدام في ساحة الوغي حيث تتشاجر الرماح القوية المندفعة التي لا تعرف الضعف ولا التردد كما جعله يتصف بالكرم والإحسان والهيبة مما جعل الرعية تتشكر الله صباح مساء، على هذه النعمة ،التي وجدوها في هذا البطل العظيم والقائد الفذ. الذي استطاع أن يوفرها لهم نتيجة تفانيه في العمل وإخلاصه.

ويتعدى المدح من مدح الأشخاص إلى مدح "آل زيان" بأسرهم ليجمع فيهم فضائل القوة والشجاعة والكرم، والأخلاق النبيلة التي يصفها لسان الدين بن الخطيب في قوله:

إِنَّ بَنِـي زَيَّـانَ فِـي أُفْـقِ العُـلاَ لاَ نَجْـمٌ هَـوَى كُلَمَـا أَفَـلَّ الـنَّجْمُ
غُيُوثٌ إِذَا أَعْطَوْا لُيُوثٌ إِذَا سَطَوْ أَهِلَّةُ هُلاَتٌ البَهَاءِ إِذَا اعْتَصَمُوا[2]

أما شاعرنا " الثغري التلمساني" فنراه يمدح أبي حمو موسى الثاني بقوله:

مَلِـكٌ جَـاوَزَ المَـدَى فِـي المَعَـالِي فالنّهَايَـــاتُ عِنْـــدَهُ كَالْمَبَـــادِي
كَـمْ هِبَـاتٌ لَـهُ وكَـمْ صَـدَقَاتٌ عَائِـدَاتٌ عَلَـى العِفَـاةِ بِـوَادِ*
فَأَيَـــادِي خَلِيفَـــةِ الله مُوسَـــى أَبْحُـــرٌ عَذْبَـــةٌ عَلَـــى الـــوِرَادِ*
رَكَّـبَ الجُـودُ فِـي بَسْـطِ يَدَيْـهِ فَـــتَلاَشَ بِـــهِ تِـــلاَفُ العِبَـــادِ

ولم يكن أبو حمو موسى الثاني ممدوح الثغري التلمساني فقط بل كان هناك من جعله " حاتم الطائي" عند الزيانيين , فهذا "الفلاليس" الشاعر الطبيب يقول فيه:

([1]) – لسان الدين بن الخطيب :ديوان الصب والجهام والماضي والكهام،دراسة وتحقيق محمد الشريف قاهر،ط1 الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1973، ص155.

([2])- لسان الدين الخطيب والتراث الفكري في تلمسان : مقال الدكتور محمد الشريف تامر , نقلا عن نوار بوحلاسة، الشعر الزياني ، رسالة ماجستير.

* العفاة؛ كل طالب رزق

* الوراد؛ جمع ورد الرجل ،أي حضر .

مُطَـاعٌ شُـجَاعٌ فِـي الـوَغي ذَو مَهَابَـةٍ حُسَـامٌ فِـي الأرْضِ قَـدْ سُـلاَ
كَـرِيمٌ حَلِـيمٌ حَـاتِمي نَوْلُـهُ سَعِيدٌ حَمِيدٌ يَصْدُقُ القَوْلَ وَ الفِعْلاَ
لَـهُ فِـي المَعَـالِي رُتْبَـةٌ لاَ يَنَالُهَـا سِـواهُ وكُتُـبٌ فِـي فِضَـائِهِ تُتْلَـى
لَقَـدْ جَبَـرَ الله الـبِلاَدَ بِمُلْكِـهِ بِـهِ مُلِئَـتْ أمِنَـا بِـهِ مُلِئَـتْ عَـدْلاَ[1]

ومن الملاحظ على هذه الأبيات أن الشاعر المطاع قد أحاط ممدوحه بكل صفات الملك الجميلة، الشجاع والمطاع والقوي في ساحة القتال , والذي ينزل في نفوس الباغين الرعب , ويحطّم كبرياءهم وفي نظير ذلك فإنه الكريم الحليم الحاتمي الطبع , الصادق في أقواله وأفعاله والجميل، في عطاياه.

أما انتصاراته فإنها حققت العظمة تارة وتارة أخرى وفّرت الأمن لكل البلاد وإحاطتها بجو من الاستقرار والعدل والسكينة.

وهكذا نأتي إلى فصل القول بغلق باب المدح في الشعر الزياني الذي رأيناه صورةً ناطقة غالبا بحياة الزيانيين، أما في بعض الأحايين فإن المبالغة في المدح كانت صورة عند بعض الشعراء جعلت المدح ينقسم من حيث وصف الشاعر في حد ذاته لممدوحه فهناك من يصف الممدوح بما فيه، وهناك من يبالغ في الوصف وبخاصة وصف السلاطين والأمراء والملوك. إلا أن المدح الزياني يعتبر تأريخا وتسجيلا لحياة وبطولات الملوك وحياتهم.

وبعد هذه الوقفة عند غرض المدح يمكننا أن نعرف المولديات اصطلاحا لأنها كما -أسلفنا الذكر- قسم مهم من أقسام المدح، فقد تعددت أنواع المدح لا سيما في العصر العباسي ، فمنها مدح الملوك والأمراء والقادة العظماء ، وهو أكثر أنواع المدح شيوعا في الأدب العربي كمدح المتنبي لسيف الدولة ومدح ابن هانئ للمعز لدين الله الفاطمي وكمدح الثغري لأبي حمو موسى الثاني .

كما شاع آخر في العصر العباسي، لكنه لم يلق رواجا بعد هذا العصر ، وهو مدح الله سبحانه وتعالى ،فهذا النوع من المدح فرضته الحياة الاجتماعية التي راحت فيها القيم الخلقية والدينية وطغى عليها الترف والبذخ بفعل امتزاج الثقافات، واختلاط الجنس العربي بغيره.

بالاضافة إلى ما أقرته الدولة العباسية من حرية مطلقة ،فكان لا بد من ردة فعل إزاء هذه الوضعية المزرية ،وقد تمثل ذلك في وجود تيار من الشعراء الزهاد والمتصوفة ،يحي القيم الإسلامية ويتغنى بها فيقول في هذا المعنى الشاعر العباسي عبد الخالق بن عبد الواحد بن النعمان بن بشير:

امْتَدَحتُ الغَنيَّ عَنْ مَدْحِ النَّاسِ بِـصِـدْقِ المَـدِيـحِ وَالإِحْـكَامِ
بِكَلاَمٍ أَشَـاءَ إِعْـظَامُهُمْ النَّاسُ وَقَالُوا: قُلْ يَا صَـدُوقَ الكَـلاَمِ
فَرَجَوْتُ النَّـجَاةَ مِنْ كَبْوَةِ النَّـارِ وَفَـوْزًا بِالـدَّارِ دَارَ الْمَقَـامِ
رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْـسِي فَأَفْرَطْـتُ وَأَنْتَ الْغَفُـورُ لِلـظَّـلاّمِ
فَاعْفُ عَنِّي يّا مَالِكَ الغَفُورُ وَاغْفِرْ لِي رُكُوبِي هَوْلَ الذُّنُوبِ العِظَامِ
كَـذَبَ الْعَـادِلُونَ بِالله مَـا لله يَدٌ وَما لَهُ مِنْ سَـامِ[1]

أمَّا النوع الثالث من المدح فهو مدح شخص الرسول صلى الله عليه وسلم ، وتعداد مناقبه ومعجزاته ويسمى هذا النوع (المدائح النبوية) كمدائح حسان وكعب بن زهير.

أما المولديات فهي مدح ارتبط بالمولد النبوي الشريف؛ حيث ترفع المولدية لملك أو خليفة تفتح عادة بالنسيب ثم يمدح فيها رسول الله الكريم ويتلوه مدح الخليفة الذي رفعت إليه ثم تختم عادة بمدح الخليفة جراء خدمته للدين الإسلامي ،وأحيانا تختم بالدعاء للرسول الكريم صلى الله عليه وسلم .

إذن فالمولديات مدح وثناء للرسول صلى الله عليه وسلم ،غير أنها ترتبط بمناسبة المولد إذ تتحدث عن مولده الشريف، وتعدد صفاته ومعجزاته، وغالبا ما تشد في هذه الليلة

المباركة «أي أن القصيدة توجه خصيصا لمولده ».[2]

وهي من فنون الشعر التي أذاعها التصوف فهي لون من التعبير عن العواطف الدينية وباب من الأدب الرفيع لأنها لا تصدر إلا من قلوب مفعمة بالإخلاص والصدق وحب النبي صلى الله عليه وسلم[1].

([1])- مصطفى محمد هدارة: اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري ،ط1، الإسكندرية ،دار العلوم للطباعة والنشر 1981ص402.

([2])- عبد الله حمادي: دراسات في الأدب المغربي القديم، ط1، دار البعث للطباعة قسنطينة، 1986، ص241.

ثانيا: تأسيسها وتطورها

1- تأسيسها :

لقد اختلفت الآراء وتباينت وجهات النظر حول أول من شرع الاحتفال بالمولد النبوي الشريف،ففي المراجع ما يذكر أن هاجس الاحتفاء به كان مع أخريات القرن السادس الهجري،وذلك دون سابق عهد لمثل هذه الحفاوة ،وهناك من يرى بأن أول تاريخ لظهور

(1)- الجيلالي سلطاني: اتجاهات الشعر في عصر المرابطين بالمغرب والأندلس ،بحث مقدم لنيل شهادة ماجستير في الأدب الأندلسي، نوقشت في جامعة دمشق، 1937، ص98.

هذه الظاهرة هو نهاية ربيع الأول من القرن السابع الهجري، أي في عام 625 هـ، على يد الملك المظفر"أبي سعيد كوكبري" صاحب إربل، فقد حكى عنه ابن الجوزي قوله:حكى بعض من حضر سماط المظفر في بعض الموالد يمد في ذلك السماط خمسة آلاف رأس مشوي، وعشرة آلاف دجاجة ،ومائة ألف زبدي ،وثلاثين ألف صحن حلوى، وكان يحضر عنده المولد أعيان العلماء والمتصوفة ،فيخلع عليهم ويطلق لهم،ويعمل للصوفية سماعا من الظهر حتى الفجر، ويرقص معهم[1] .

وهناك رأي آخر لمحمد بن تاويت ومحمد الصادق عفيفي إذ يريان أن أول من سنّ الموالد في المغرب هي عائلة العزقي في منتصف القرن السابع الهجري، وأولهم أبو القاسم الذي تأمّر سنة 647هـ إلى سنة 677هـ، فملك سبة وطنجة وكان أبوه القاضي أحمد قد ألّف كتابا في المولد سماه (الدأر المنظم في مولد النبي المعظم) فأتمه ابنه هذا حيث بيَّن صاحب الكتاب أسلوبه بكل ما خصّ به النبي الكريم وما فضله الله به على الخلق حيث جعله أفضل الأنبياء وأمته أفضل الأمم ، فاتخذوا مولده الكريم موسما وعيداً يتبركون به على ما كان يقيمونه من أعياد النصارى وعوائدهم[2].

واعتمادا على ما تقدم في هذا الكتاب ندرك أن أهل سبتة والمغرب لم يحتلفوا بالمولد النبوي الشريف فقط ، وإنما احتفوا قبله بأعياد الميلاد المسيحية ومثلهم أهل الأندلس ،ولعل هذا الدافع نفسه هو الذي حمل المسلمين في الشرق على الاحتفال بالمواسم المولدية فقد سنت هذه السنة في المشرق قبل هذا التاريخ ،بواسطة بعض الأمراء الأكراد ،فلما زار" أبو الخطاب بن دحيه" مدينة اربل من أعمال الموصل وشهد صاحبها الأمير"مظفر الدين كوكيري بن زين الدين الكوجك" محتفلا في هذا المولد النبوي الشريف، فراقته هذه الفكرة ودعا لها ،وألف في هذا المولد كتابه"التنوير في مولد السراج المنير"وكان ذلك سنة604هـ فعمل بذلك الأندلسيون ثم تابعهم العزفيون ثم شاع الاحتفال بالمولد في المغرب والشمال الإفريقي عامة.[3]

(1)-.www.almerqab.com

(2)- محمد بن تاويت، والصادق عفيفي: الأدب المغربي، ص191.

(3)- المرج السابق، ص191.

وهناك رأي آخر" لعلي الجندي" جاء في قوله: «إن الفاطميين أول من سنّ الاحتفال بالمولد النبوي وهو الحق والصدق». [1]

وبالنظر إلى رأي "عبد الله حمادي" وبعد الإطلاع على كتب مهمة ؛منها الرحلة لابن عمار الجزائري الذي كشف رأيا مهما يخالف ما سبق ذكره، وكذلك ما ورد في كتاب وفيات الأعيان ما نصه: «إن المشرق قد جرى على عادة تعظيم المولد النبوي والاحتفال به على مراسيم لم تكن مألوفة من قبل حيث أن أبا سعيد كوكبري بن علي بن بلتكين الملك المعظم صاحب –اربل- بالعراق المتوفي سنة(586هـ -1190م) هو الذي عظم الاحتفال بالمولد النبوي وصارت الناس تتوافد عليه من أنحاء البلاد من كل العالم»[2]

فهذا الرأي لا يؤكد فضل السبق بقدر ما يدفع للّبس لأن في رأي صاحب الوفيات ما يمكن استنتاجه أن المشرق لم يكن السابق بدليل قول «وهذا الاحتفال بالمولد النبوي» يعني هذا أن هناك من احتفل بالمولد الشريف قبلهم ولكن ليس بهذا الشكل العظيم الذي عرف به في المشرق وخاصة بالعراق ....اربل [3].

أما عن رأي علي الجندي فالأمر فيه واضح فهو لا يتعدى العصبية المعروفة عند المصريين حيث يجعلون لأنفسهم دائما حق الريادة والدليل قوله: «هذا هو بدء الاحتفال بالمولد النبوي الشريف، عرفته القاهرة المعزية وعرّفت به العالم الإسلامي بعد ذلك، سن الفاطميون بمصر هذه السنة الحميدة ،التي لهم أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة كما جاء في الأثر الشريف وليست هذه السنة أول سنة حميدة وأول بدعة كريمة تبتدعها مصر أم الدنيا ،وجنة الله في أرضه وحصن الإسلام ، ورائدة العرب الراشدة الأمينة المخلصة الموفقة»[4].

إن هذا الإطراء الواضح وهذا الإصرار على فضل سبق مصر وهذه الألفاظ المنمقة وهذه الذاتية الوطنية البارزة لدليل واضح على تعصب الرجل ، ثم إن هناك دليلا آخر في قوله القاهرة المعزية هم فاطميون، فمصر هنا هي مصر الفاطمية لأن المصريين اهتموا

([1])- علي الجندي:نفح الأزهار في المولد المختار ،دار الرائد العربي ، بيروت 1980م ص190.

([2])- عبد الله حمادي :دراسات في الأدب المغربي نقلا عن وفيات الأعيان، ص215-216.

([3])- المرجع نفسه، ص216.

([4])- علي الجندي: نفح الأزهار في مولد المختار ، ص189.

بالمولد النبوي فقط مع دخول المعز لدين الله الفاطمي وكان ذلك عام 362هـ ،وقد أكد هذا الأخير على ضرورة الاحتفاء بالمولد النبوي الشريف ولعل هذا ما أدى إلى عدم الاحتفال والاهتمام بالمولد والأعياد الأخرى ،إذا أدركنا أن المصريين كانوا يتخذون الكثير من الأيام أعيادا ومواسما منها :موسم رأس السنة ويقصد به أول محرم ، وموسم أول العام ،ويوم عاشوراء، ومولد النبي صلى الله عليه وسلم ومولد علي بن أبي طالب ،مولد الحسن، ومولد الحسين ،وفاطمة الزهراء، وليلة أول رجب وليلة نصفه، وليلة أول شعبان، وليلة نصفه وموسم ليلة رمضان، وغزة رمضان، وسماط رمضان ،وليلة الختم، وموسم عيد الفطر ،وموسم عيد النحر ،وعيد الغدير (تعتق فيه الرقاب وتزوج فيه الايامى) وكسوة الشتاء ، وكسوة الصيف (تقام في كل سنة وتفرق فيها الألبسة على أهل الدولة) ،ويوم النوروز(قبطي فارس) ويوم الغطاس(نصراني) ويوم الميلاد (ميلاد عيسى عليه السلام) وخميس العدس(الأصح خميس العهد) وأيام الركوب .

حيث نجد المقريزي يفصل الحديث عن كل تلك الأعياد الدينية والدنيوية واحدا، واحدا، إلا أنه عند الحديث عن المولد النبوي الشريف يكتفي بالإيجاز المخل [1]، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن المصريين لم يكونوا أول من سن سنة المولد.

من خلال ما تقدم نقف عند حقيقة تبدو ظاهرة جدا وهي أنَّ الاحتفال بالمولد النبوي عندهم لم يكن إلا تحصيل حاصل ، حيث أن الرسول الكريم من آل البيت وإدراجه في سلك أعيادهم لا مفر منه لأنه" لما قامت الخلافة الفاطمية العلوية في مصر كان طبيعيا أن يحيوا ميلاد جدهم الكريم" [2].

لكن الذي يدعونا إلى التساؤل هنا، هو هذا التداخل الغريب بين هذه الاحتفالات المختلفة المسلمة والنصرانية والقبطية والشيعية، كيف تزامنت في كنف الخلافة الفاطمية، وسائر الدول الإسلامية ؟!

بشيء من التفكير نجد أن يد المصلحين كانت الأقوى في ذلك الوقت الذي تعددت فيه الطقوس وتداخلت فيه المعتقدات الشرعية مع اللاشرعية فقامت «بتعجيل طرح قضية تعتبر

(1)- المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج1، ص490، نقلا عن عبد الله حمادي، دراسات في الأدب المغربي القديم.

(2)- علي الجندي نفح الأزهار في مولد المختار، ص185.

من أهم القضايا وهي الاحتفال بالمولد النبوي الشريف حتى ينتصر الوضوح على التشكك ،وتعود المياه إلى مجاريها وتعرف حدود الدين» [1].

لكن لم ينجح جميعها بسبب تجاوز العامة لقرارات الخليفة وكان تزايد هذا الخطر الدخيل محفزا لاتخاذ موقف صلب وحركة إصلاحية لمثل هذا الموقف كانت في المغرب العربي الإسلامي،على ضفاف البحر الأبيض المتوسط وبالتحديد في مقاطعة "سبتة" التي تعتبر همرة وصل بين الأندلس ودويلات المغرب الإسلامي ،والفضل في ذلك يعود لعائلة العزفي، ولا بأس أن نقف قليلا مع هذه الأسرة المشرعة لهذه البدعة الحميدة ولعل ابن الخطيب هو خير من يعلم هذا فيقول بهذا الصدد عن أسرة العزفيين: «إن رياسة آل العزفي لسبتة بدأت في(سنة647هـ -1249م)، حيث قامت بالثورة ضد الموحدين وانتهت باختيار قاضيها وكبير علمائها أبي القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن الحسن اللخمي العزفي رئيسا لها واستمرت رئاسة أبي القاسم لسبتة (وأحيانا لطنجة وأحوازها) حتى وفاته في(سنة677هـ -1278م) وهو الذي أكمل كتاب أبيه العلامة الورع الزاهد أبي العباس العزفي.(557-633هـ/1236-1262م)،"الدر المنظم في مولد النبي المعظم" وخلفه في إمارة سبتة ولده "عبد الله أبو طالب" ،واستمرت رياسته حتى استولى بنومرين على سبتة سنة705هـ ،وتوفي مخلوعا بفاس سنة 713هـ وتولى بعض أفراد الأسرة بعد ذلك رياسة سبتة من قبل بني مرين ،فتولى يحي رياستها حتى وفاته سنة 719هـ

ثم تولى ولده محمد عقب وفاته وخلع في صفر سنة 720هـ وانتقل إلى غرناطة، وكان آل العزفي من أعرق أسر سبتة جاها وعلما وفضلا» [2].

وعليه فهذا التداخل الفظيع في القيم الأخلاقية والروحية في المغرب الإسلامي ومصر الفاطمية وحتى في الأندلس، كان سببا قويا في ظهور هذه البدعة الحميدة - الاحتفال بالمولد النبوي الشريف – ونظرا للنجاح الباهر والقبول الرائع الذي لقيته دعوة أسرة آل العزفي فقد أصبح المولد النبوي الشريف شرعة رسمية في كل دويلات المغرب الإسلامي فمن بني حفص بتونس ومملكة بني زيان في تلمسان إلى مملكة بني حرين وبني

(1)- عبد الله حمادي :دراسات في الأدب المغربي القديم، ص220.

(2)- لسان الدين ابن الخطيب :الإحاطة في أخبار غرناطة،ج 3، ص 11 .

وطـاس فـي المغـرب الأقصـى، وسـنبيّن كيفيـة هـذا الاحتفـال فـي هـذه الـدويلات فـي حينـه. وعليـه فقد أجمعت معظـم المصـادر الموثـوق بصـحتها علـى أنّ أسـرة آل العزفـي الحـاكمين لمقاطعة سبتة المستقلة هم من يرجع لهم فضل السبق في التشريع والتنظير للاحتفال بالمولد النبوي الشريف وذلك دون سابق عهد في المغرب الإسلامي ، وقد لقيت سنتهم الحميدة هذه من الرواج والارتياح مـا مكّـن لهـا فـي الأرض الإسـلامية أشـدّ التمكين إلـى يومنـا هذا، وإن كان بعض المعترضين عليها قد عدّوها من قبيل الابتداع إلا أنّ الإجماع اصـطلح على أنهـا من البدع المحمودة والتي تعتبر من جلائل وعظائم المحامد التي تدني العبد من خالقه ومن شفيعه، وتفرج من كرباته وتسمح له بمراجعة نفسه إنها من أجلّ المواعظ التي يمكن للمسلم الحقيقي أن يتعظ بها لما تحمله في كيانها من مد روحي يعود بهذه الأمـة إلـى الوقوف علـى رسوم صلاح أولها[1] .

غير أن "عبد الله حمادي" أكد أن هناك من سبق العزفيين والفاطميين، والملك المظفر صـاحب إربـل فـي سنِّ هـذه السـنة الحميـدة ليصـل إلـى أن المغـرب الإسـلامي هـو صـاحب السبق، و هذا ما استنتجه من رحلـة "ابـن عمـار الجزائـري"، فقد بيّن أن هذه الرحلـة قامـت بمجهود جليل كونها حفظت لنا فصول وأبواب من كتب لا وجود لها اليوم مثل كتاب (تذكرة المحبين في شرح أسماء المرسلين) للشيخ الفقيه" أبي عبد الله الرصّاع"[2]

فمن ضمن ماورد في هذا الكتـاب قول مؤلفه أثنـاء حديثـه عن سنة الاحتفـال بالمولـد النبوي الشريف؛ «من أحسن ما قيل في ذلك اليوم العظيم ويدّخر ثوابه عند بنـي الله الكـريم، أبيات الشقراطيسي فـي مدح خير البريـة صـلى الله عيـه وسلم،كما يعلق قـائلا:وهـي قصـيدة طويلة للشيخ الفقيه العالم الصالح "أبي عمر الشقراطيسي" وهي قصيدة من القصـائد العظـام البديعـة النظـام ،الرائعـة المعـاني، الوثيقـة المبـاني، وهـي من الطـراز الأول وعليهـا فـي هـذا الباب المعوّل ومطلعها:

الحَمْـــدُ لله مَـــنَّ بِبَاعِـــثِ الرُّسُـــلِ هَـدَى بِأَحْمَـدٍ مِنَـا أَحْمَـدِ السُـبُلِ
خَيْـرُ البَرِيَـةِ مِـنْ بَـدْوٍ وَمِـنْ حَضَـرِ وَأَكْـرَمُ الخَلْـقِ مِـنْ حَـافٍ ومُنْتَعِـلِ

(1)- عبد الله حمادي : دراسات في المغرب العربي الإسلامي ص 221.

(2)- ت 894هـ

وهي قصيدة طويلة تقع في مئة وثلاثة وثلاثين بيتا.... وبعد إيراد كل القصيدة نجد ابن عمار يقول:" ناظم هذه القصيدة رحمة الله عليه هو الشيخ الفقيه العالم الصالح البليغ "المفلق أبي زكريا يحي بن علي الشقراطيسي التوزري- وشقراطس قصر قديم من قصور قفصة- توفي رحمه الله تعالى يوم الثلاثاء لثمان خلون من ربيع الأول (سنة466هـ الموافق ل4 نوفمبر1073م) [1].

فهذا النص قد وضع بين أيدينا خيطا رفيعا يبين أسبقية قصيدة الشقراطيسي، فقد توفي سنة(466هـ)والتي جعلها قبل تاريخ ميلاد العزفي الجد الأكبر بما يقارب القرن وتحديدا(91 عاما) كما نجد الفرق الزمني بين وفاة العزفي الأكبر ووفاة الملك المظّفر صاحب إربل يتجاوز القرن وتحديدا(120عاما) وكلاهما مدة زمنية طويلة كافية لإحداث شرعة كشرعة المولد النبوي الشريف .

ومن ثمة يمكن القول على أن تكون هذه القصيدة قد وصلت لأهل المشرق[2]،كما يمكن وصولها إلى الديار المغربية والأندلسية في وقت مبكر ثم إنه من المؤكد أنها حظيت باهتمام أمراء آل العزفي ومن ناحية أخرى فإن احتمال وصولها إلى الديار المذكورة لا جدال فيه وذلك بحكم استمرار الرحلة وثبوت التزاور المستمرين بين وأطراف هذه المملكات المتجانسة.

وعلى العموم فقد لقيت هذه القصيدة من الاهتمام الكثير فقد أعجب بها الكثيرون واعتبروها ذروة البلاغ والتبليغ، وقد قال عنها ابن عمار أن فيها وهجا جديدا وذلك "لانقياد البلاغة في أزمتها ولكونها فتحت للافتتان أبوابا ،وأحكمت من نسج البديع أثوابا،وطار صيتها في الآفاق، وانعقد على بركتها الإجماع والإتقان"[3].

فلقد تركت هذه القصيدة على المولديات بصمات حيث سدت في غرض المولديات الأبواب الشعرية، ورسمت لهم منهجا سار فيه الجميع وكذاك الذي رسمته القصيدة الجاهلية على كل الشعر العربي،حيث لم يستطع الشعراء أن يأتوا بأي إبداع في هذا الباب مما دفعهم للعودة إلى كتب السير والمغازي، علّهم يظفرون بجديد،لكن هيهات فالرجل قد أحاط بكل

(1)- المرج السابق، ص238.

(2)- المرجع السابق، ص240.

(3)- أبو العباس ابن عمار:رحلة ابن عمار الجزائري،مطبعة فنتانة، الجزائر،1902 ،ص117.

تلك المادة إحاطة جعلته في المقدمة[1]، ومما جاء في القصيدة تعداد معجزات الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم-

ضَـــاءَتْ بِمَوْلـــدِهِ الآفَـــاقُ وَاتَصَـــلَتْ بُشْرَى الهَوَاتِفِ فِي الإشْرَاقِ وَالطَفَلِ
وَ«صَـرْحُ كِسْرَى» تَدَاعَى مِنْ قَوَاعِدِهِ وَانْفَـضَّ مُنْكَسِـرُ الأرْجَـاءِ ذَا مَيْـلِ
و«نَارَفَـارِسَ» لَـمْ تُوقَـدْ وَمَـا خَمَـدَتْ مُذْ أَلْفُ عَامٍ وَنَهْرُ القَوْمِ"لَمْ يَسِلِ
و«مَنْطِـقُ الـذِيبِ» بِالتَصْـدِيقِ مُعْجِـزَةٌ مَـعَ"الـذِرَاعِ"وَنَطّـقَ "العَيِلُ"و"الجَمَـلُ"
خَـــرَّتْ لِمَبْعَثِـــهِ«الأوْثَـــانُ» وَانْبَعَثَـــتْ ثَوَاقِـبُ"الشَـهْبِ"تَرْمِـي الجِـنَّ بِالشُـعَلِ
وَفِـي«دْعَائِـكَ بِالأشْـجَارِ» حِـينَ أَتَـتْ تَمْشِـي بِـأمْرِكَ فِـي أغْصَـانِهَا الـذِلَلُ

وَقُلْـــتْ عُـــودِي فَعَـــادَتْ فِـــي مَنَابِتِهَـــا تِلْـــكَ العُـــرُوقُ بِـــإذْنِ الله لَـــمْ تَمِـــلِ
وَ«السِـرْحُ»بِالشَـامِ لَمَـا جِئْتَهَـا سَـجَدَتْ شُـمَ الـذَوَائِبَ مِـنْ أفْنَانِهَـا الخِضَـلِ
وَ«الجِـذْعُ» حَـنَّ لأنْ فَارَقَتْـهُ أسْـفًا حَنِـينُ ثَكْلَـى شَـجَّتْهَا لَوْعَـةُ الثَكَـلِ
...وَ«الشَاةُ»لَمَا مَسَحَتْ الكَفَ مِنْكَ عَلَى جَهَـدَ الهُـزَالُ بِأوصَـالٍ لَهَـا فَحْـلِ
سَـحّتْ بَـذْرَةٌ شَـكْوى الضِـرْعِ حَافِلَـةٌ فَرَوِيـتْ الرّكْـبُ بَعْـدَالنَهلِ بالعِلَـلِ[2]

فهذه الأبيات قد جمعت اثنتي عشرة إشارة تاريخية منها ما أثبتتها كتب السيرة الموثوق بها كسيرة" ابن هشام"، ومنها ما هو أسطوري من صنع البشر أو القصص الشعبي ،قصد مضاهاة الديانات الأخرى،وعليه فالشقراطيسي لم يتجاوز أي حادثة مرفوعة

(1)- عبد الله حمادي :دراسات في الأدب المغربي القديم،ص243-244.

(2)- ابن عمار: الرحلة، ص118.

أو موضوعة إلاّ ذكرها في قصيدته هذه،وبالتالي أضحت نموذجا متبعا وهي ذات أسلوب بسيط وخطابي يؤثر في المعتقدات الدينية المترسخة في مشاعر الجزائري[1].

2- تطورها:

أ- في عهد النبوة :

لم يحتفل الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم-بعيد مولده- أو أمر به، وما كان لمثله وهو عنوان التواضع وسمة الخشوع والخضوع لله تعالى أن يفعل ذلك أو يدعو إليه، كما يصنع الأباطرة والملوك والرؤساء وذو الجهات الدنيوية.

وكذلك الخلفاء الراشدون ساروا على منهج الرسول الكريم حيث كان أشد الناس حرصا على طاعته والاقتداء به، ثم إن الدين الإسلامي لا يزال غضاً حديثا،ضف إلى ذلك الفتن والصراعات التي لم ينته أمرها، ثم إن الدين الإسلامي لم يعط أهمية لمثل هذه الأمور باستثناء العيدين؛الأضحى والفطر، حيث كان صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام يعملون كي يستقر الدين في نفوس الناس ويطمئنون إليه،هذا بالإشارة إلى أن عهد الخليفة الأول والثاني عهد جهاد وتأسيس،وعهد الخليفة الثالث والرابع عهد فتن وانقسام.

ب- في عهد بني أمية :

بقي الأمر على ما هو عليه دون اهتمام بهذا الموضوع لأنه عهد الفتوحات وتأسيس الملك، ثم إن الاحتفال بمولد محمد ابن عبد الله ابن عم الإمام علي بن أبي طالب، زوج فاطمة بنت محمد، وأبو الحسن والحسين، يذكّر بتلك القرابة بالرسول الكريم ،وكان الأمويون يسعون لإخماد تلك العلاقة لدرجة أنهم منعوا الناس أن يسموا أبنائهم باسم علي أو ابنيه حتى بات راسخا في أذهان الناس أن عليّا لصّا من اللصوص، لذلك انصرفت الأفكار نهائيا عن إحياء ميلاد ابن عمه وصهره وجد ولديه،عليه أفضل الصلاة والسلام[2]

جـ- في عهد بني العباس :

([1])- عبد الله حمادي: دراسات في الأدب المغربي القديم، ص244.

([2])- علي الجندي: نفح الأزهار في مولد المختار، ص184.

لم يطرأ أي جديد في هذا العهد لوجود تلك العداوة بينهم وبين أبناءه الحسن والحسين وأمهما فاطمة بنت رسول الله التي انحصرت ذرية محمد في أبنائها

وهي الركن الركين في دعوة العلويين من أبناء عمومتهم العباسيين،فلقوا في سبيل ذلك أضعاف ما لقوه من الأمويين[1] .

وعليه فقد مرت ثلاثة قرون دون أن يحتفل المسلمون بعيد المولد النبوي الشريف ولذا نجد أيضا أصحاب السير والمؤرخين،وأرباب الأقلام عموما لم يهتموا بهذا الموضوع،ولم يحيطوه بالعناية التي يستحقها،عنايتهم بمن هم أقل منه منزلة وشأنا كالملوك والسلاطين والشعراء،ولا نعتقد أن ذلك بسوء نية، ولكن قد يكون اقتفاؤهم السلف الصالح كما تقدم السبب الوحيد في هذا الإهمال غير المتعمد.

بعد هذا أضحى الإحتفال بالمولد النبوي الشريف، له مظاهره وتقاليده الأصلية التي درجت عليها الشعوب الإسلامية، وتتنوع هذه المظاهر بين المواكب الدينية ومجالس العلم، وتدارس القرآن الكريم،وقراءة الأمداح النبوية،وسرد سيرة النبي على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التسليم،وتختلف هذه المظاهر من بلد إلى أخر،كما تتنوع حسب الشعوب وطبائعها، وأخيرا يعتبر الاحتفال بعيد المولد النبوي الشريف مظهرا من مظاهر حب الرسول وإجلال شخصيته في نفوس المسلمين[2].

د- الاحتفال بالمولد النبوي الشريف في العهد الفاطمي:

سبق وان ذكرنا أن الخلفاء الفاطميين في مصر كانوا يحتفلون بعدد هائل من الأعياد والمواسم،لا داعي لإعادة ذكرها ،منها مولد النبي الشريف وأول احتفال به وقع في عهد الخليفة " المعز لدين الله" وجرى الخلفاء من بعده على ذلك[3].

لقد جاء في نفح الأزهار وصف الخليفة الفاطمي في المواليد الستة «مولد النبي الكريم ومولد الإمام علي، ومولد فاطمة، ومولد الحسن، ومولد الحسين، ومولد الخليفة الحاضر» ويكون هذا بالجلوس في(المنظرة التي هي أنزل المناطق وأقربها إلى الأرض من أجل إطلاق الأموال، وملاحظة توزيعها على مستحقيها، فإذا كان اليوم الثاني عشر من

(1)- المرجع السابق : ص185.

(2)- www.membres.lycos.fr

(3)- علي الجندي : نفح الأزهار في مولد المختار، ص186.

ربيع الأول، وضع في دار المنظرة ،عشرين من السكر اليابس –حلواء يابسة - وتعبأ في ثلاث مائة صينية من النحاس، فتفرق تلك الصواني على أرباب الرسوم،بعد أرباب الرتب، وكل صينية في قوارة* من أول النهار إلى أخر الظهر.

فأول أرباب الرسوم: قاضي القضاة،داعي الدعاة،ويدخل في ذلك القراء بالحضرة والخطباء والمتصدرين بالجوامع بالقاهرة [1] .

ويستمر الاحتفال بالصلاة والذكر وسرد السيرة العطرة ،وإنشاد المولديات ثم يتقدم قاضي القضاة ليسرد معجزات الرسول الكريم ويختم كلامه بالدعاء للخليفة وهكذا.

أما نفقة المولد فكانت من المال ستة آلاف درهم ،ومن الأصناف أربعون ألف صينية فطير، وفي الخزائن: سكر ولوز وعسل وأربعون ألف رطل حلوى، وألف رطل خبز.

هـ- الاحتفال بالمولد في "إربـل"*:

سبق أن تحدثنا عن احتفال الملك "مظهر الدين" زوج" ربيعة خاتون الأيوبية" أخت "صلاح الدين" حيث قال عنه الإمام "السيوطي": «إن أول من احتفل بالمولد النبوي الشريف الملك "المظفر أبو سعيد بن زين الدين علي بن بكتين" صاحب إربل أحد الملوك الأمجاد والكبراء الأجواد» [2].

وقد جاء في نفح الأزهار ما نصه:(أن أهل البلاد القريبة من إربل كانوا قد سمعوا بحسن اعتقاد الملك المظفر في المولد ،فكان في كل سنة يقصده من البلاد القريبة من إربل مثل بغداد والموصل والجزيرة وسنجارو من بلاد العجم، ومن تلك النواحي خلقا كثيرا من الفقهاء و الصوفية والوعاظ والقراء والشعراء ،ولا يزالون يتواصلون من محرّم إلى أوائل الربيع الأول[3]. وقد كان الملك المظفر يحتفل بالمولد النبوي الشريف احتفالا هائلا وكان

([1])- المرجع نفسه، ص186.

*القوارة : صحيفة خزفية متسعة.

* إبرل:بسكر الهمزة بلد في العراق قرب الموصل وهو المقصود هنا ،كما أنه اسم صيدا بالشام.

([2])- المرجع السابق، ص190.

([3])-علي الجندي :نفح الأزهار في مولد المختار ، ص191.

شجاعا بطلا عاقلا ،عالما ،عادلا ،محمود السيرة والسريرة، وقد صنف له الشيخ" أبو الخطاب بن دحية مجلدا في المولد النبوي الشريف(التنوير في مولد البشير النذير) فأجازه على ذلك بألف دينار.

و- الاحتفال بالمولد النبوي في المغرب الأقصى:

لم يحتفل سلاطين المغرب الأقصى بالمولد الشريف حتى جاء السلطان الشيخ "أبو العباس أحمد المنصور العزفي" صاحب"سبتة" وبيّن لهم هذه السنة الجديدة، وقد كان السلطان أحمد إذا طلعت شمس الربيع أمر بصرف الرقاع على الفقراء ،ثم يستدعي الصوفية فيأتون من كل جهة ويحشرون إليه من سائر حواضر المغرب،ثم تطرز الرقاع بالشموع طرزا رائعا ،فإذا كانت ليلة المولد النبوي،أقيمت الليالي البهيجة وصنفت ألوان الطعام ،وقيلت المولديات والقصائد الرائعة، فإذا طلع الفجر خرج السلطان فصلى بالناس، وهو يلبس لباسا أبيض شعار الدولة، فيجلس ويجلس الناس حوله، ثم يقوم المفتي فيسرد سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم ،ويذكر فضائل النبي الكريم ومعجزاته، ويتخلل ذلك الأناشيد، وهكذا كان دأب السلطان في جميع الموالد ولا يحصى ما يوزع فيها من أنواع الإحسان على الناس.

ز- احتفال الدولة الزيانية بالمولد النبوي :

عندما أراد "علي الجندي" أن يتحدث عن احتفال الزيانيين بالمولد النبوي الشريف،جعل ذلك تحت عنوان(أغرب احتفال بالمولد الشريف) ولا بد أن اختيار عنوان كهذا راجع إلى مبالغة هؤلاء ومغالاتهم في الاحتفال بهذا العيد حيث قال: «كان سلاطين بني زيان أصحاب هذه المملكة يحتفلون بالمولد الشريف احتفالا فوق الغاية حتى إذا جاء السلطان" أبو حمو موسى بن يوسف الزياني" أتى في ذلك بما أعي الوصف وفاق الخيال، وفاق السابق وأعجز اللاحق، وأصبح أعجوبة من الأعاجيب على تعاقب الدهور»[1].

(1)- علي الجندي : نفخ الأزهار في مولد النبي المختار ص197.

فالسلطان "أبو حمو موسى الثاني" نظم عددا كبيرا من المولديات ذكر منها يحي بن خلدون (11 قصيدة مولدية) نظمها مابين سنتي(760و771هـ) وعموما فالمولديات تحتل مكانة هامة في شعر أبي حمو موسى الثاني[1].

وقد ظهر من خلال تتبع الأحداث التاريخية في عهد أبي حمو موسى الثاني احتفاء سلاطين الدولة من بعده بذكرى المولد النبوي، وجعلوها أهم الأعياد وأقدسها في الدولة[2].

وعليه فهذا الاحتفال بمثابة المهرجان الأدبي والفني، تعرض فيه القصائد والقدرات والمواهب الشعرية، و تمر ليالي هذا المولد سعيدة عامرة بالمدائح والأشعار طوال مدة حياة الدولة الزيانية، وكانت المولديات التي تنشد في تلك الليالي تستهل بذكر فضل شهر ربيع الأول، أو فضل ليلة المولد الشريف، وقد يستهل الشاعر قصيدته بذكر الأحبة ،وما يعانيه من اشتياق وحنين، ثم يبين أن أحبته يسكنون بالبقاع المقدسة، وأنه يود اللحاق بهم وزيارة قبر الرسول الكريم، وقد يشير الشاعر إلى انهماكه في حياة اللهو والملذات وإلى ندمه على ما فاته، وضرورة توبته وإقلاعه عن زخرف الحياة الدنيا ورجائه شفاعة الرسول الكريم يوم القيامة[3].

وبعد هذه المقدمة يأتي الموضوع الرئيسي وهو مدح الرسول صلى الله عليه وسلم والتكلم عن فضله وعن معجزاته والإشادة بفضل ليلة المولد الشريف، وتنتهي المولديات غالبا بمدح الخليفة الذي رفعت إليه المولدية والدعاء له ولولي عهده .

أما عن طريقة الاحتفال بهذا المولد الشريف في عهد" أبو حمو موسى الثاني" فقد حدثنا عنها كاتبه" يحي بن خلدون" في" بغية الرواد" فقال: "أطلت ليلة الميلاد النبوي على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التسليم فأقام لها في داره العالية مدعى كريما وعرسا حافلا، احتشدت له الأمم ،وحشر بها الأشراف والسوقة، فما شئت من نمارق مصفوفة وزرابي مبثوثة، ومشامع كأنها الأسطوانات القائمة على مراكز الظفر المؤهلة.

([1])-عبد الحميد حاجيات: أبو حمو موسى الثاني،حياته وآثاره ،ص220.

([2])- بوزياني الدراجي: نظم الحكم في دولة بني عبد الوادي الزيانية،ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر1993، ص 284.

([3])- علي الجندي : نفح الأزهار في مولد النبي المختار، ص221.

والخليفة-أيده الله- تصدر مجلسها ممتطيا سرير ملكه يسر الناظرين رواؤه ويثلج الصدر عزه، وتحار في كمالات خلاله النهى ، فلا تبصر إلا جمالا ولا تسمع إلا همسا يطوف عليهم ولدان أشعورا أقبية الخز الملون .....

والمسمع قائم صدر عترته على بعد من الخليفة يردد نغمات الألحان ويرتب رنات الإيقاع ،وينشد خلال ذلك أمداح سيد الرسل وخاتم النبئين محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم.

وجيء آخر الليل بالطعام الشهي الملاذ، الحافل الملامح والمشام المتعدد الخوانات ولم يفارق الخليفة-نصره الله- من أول ليله إلى أن صلى الصبح في الجماعة ثم غدا على داره السعيدة ولسان الحال ينشده:

ياحُسْـــــنُهَا لَيْلَـــــةٌ تَوَلَـــــتْ بِنَهْـــرِ فَجْـــرِ لَـــهُ اِنْفِجَـــارُ

وَلَـــــمْ تَكُـــــنْ لِتُبْتَلَـــــى لَـــوْ صَـــدَّ بَاعَهَـــا النَهَـــارَ

وعلى هذا الأسلوب مرت-المواليد النبوية – بعد هذا في مدته السعيدة طالت أيامه

وانتشرت في هضاب المعالي أعلامه[1].

إذا هذا هو الاحتفال بالمولد النبوي الشريف في إمارة بني زيان له من الخصوصية الكثير ومن الاهتمام ما يجعله متميزا عن باقي البلاد الإسلامية ولعل هذا ما جعل المؤرخين يخصونه بتلك الدراسات المتفردة "بغية الرواد"، و"نظم الدر والعقبان" للتنسي.

ومن أسباب انتشار ظاهرة الاحتفال بالمولد النبوي الشريف:

- حرب الفرنجة أو ما يطلق عليها الغرب "الحرب الصليبية" التي أتت إلى الشام ومصر، تريد احتلال هذه البلاد وسلب خيراتها، وهدم ضريح النبي في المدينة المنورة شهدت لها مثيلا الأندلس أيضا بعد ضعف العرب، زمن ملوك الطوائف حيث أصبحت البلاد إمارات صغيرة متناثرة ضعيفة ؛الأمر الذي أطمع نصارى الشمال فيها ،فاحتل طليطلة وفرض عليها الاتوات التي دفعها ملوكها الصاغيريين.

([1])- أبو زكي يحي بن خلدون : بغية الرواد ج2،ص40-49.

- انتشار موجة الزهد والتصوف انتشارا كبيرا في المشرق والمغرب ،على حد السواء،بتأثير كبار المتصوفين مثل ابن الفارض وابن عربي،والبويصري وغيرهم ممن سبقوا هذا القرن، لكن آثاره ضلت مستمرة باقية فقد قرب رجالات الحكم هؤلاء المتصوفة وفتحوا لهم المجالس وبنوا لهم الزوايا[1]
- كثرة الطواعين والأوبئة التي تلاحقت على البلاد فلجأ الناس إلى الله لينجيهم وكان هذا اللجوء عن طريق التصوف الذي كان يرى أن الرسول المثل الأعلى والإنسان الكامل وأفضل الخلق وسرّ الكون ، وقد دفع ذلك شعراءه لنظم القصائد ومدحه.
- تأثر الشعراء بتعظيم النصارى للمسيح عيسى عليه السلام،بانتشار عادة الاستشفاء بالرسول الكريم صلى الله عليه وسلم في الدولة الفاطمية ،وعناية الملوك والحكام بموسم الحج وقوافله، واحتفالهم بذلك احتفالا كبيرا .

كل هذه الأسباب كانت كفيلة كي يظهر للموجود فن المولديات في المغرب الإسلامي والمشرق العربي،ثم إن الحياة الأدبية في المشرق والمغرب والأندلس حفلت بالحركة والنشاط في القرن الثامن الهجري، ففي الأندلس والمغرب لقي الأدباء تشجيعا كبيرا من رجالات الدولة، كما حدث مع الثغري التلمساني والسلطان أبي حمو موسى الثاني حيث كان هذا الأخير يقرض الشعر ويتذوقه،ويغدق العطاء للشعراء.

(1)- مجلة التراث العربي : العدد97، آذار (مارس)،2005 ، صفر 1425 السنة،24.

ثالثا: علاقتها بنصوص أخرى في الفضاء التاريخي والمكاني

عند الحديث عن علاقة المولديات بفنون أخرى،ينبغي أن نتحدث عن ثلاث أغراض شعرية تربطها علاقة مباشرة بهذا الفن حيث أنها سبقته في الظهور وبالتالي تبيين كيف أن المولديات استقت مبادئها منها وهي:المدائح النبوية عموما ،والبديعيات والتصوف ،وسوف نفصل حديثنا عن كل غرض على حدة.

أ- علاقة المولديات بالمدائح النبوية:

لقد سبق الحديث عن هذه العلاقة في بحثنا، لكننا سوف نوضح ذلك بشيء من التفصيل فنقول: "إذا كانت المولديات هي قصائد مائلة إلى الطول يمدح فيها النبي الكريم فتذكر معجزاته وفضائله بالإضافة إلى مدح السلطان المرفوعة إليه شريطة أن يكون ذلك ليلة المولد النبوي الشريف، أي في اليوم الثاني عشر من شهر ربيع الأول،لذلك غالبا ما تكون مقدمة المولديات تذكيرا بفضل شهر ربيع الأول أو فصل الربيع، وجماله والربط بينه وبين المولد الشريف.

فالمدائح النبوية هي الأخرى قصائد مائلة إلى الطول يمدح فيها النبي الكريم أيضا فتذكر معجزاته وفضائله وصفاته الخلقية وما إلى ذلك مما عرف في باب المدح لكن الفرق الموجود هنا هو أن المدائح لا ترتبط بمناسبة معينة كليلة الميلاد الشريف، وإنما مثلها مثل أية قصيدة مدح أخرى غير أنها موجهة لشخصه الكريم،كحامل رسالة سماوية ومبشر ونذير كالمدائح التي عرفها الأدب العربي. ومن الناحية الزمنية فإننا نجد المدائح النبوية أسبق حيث بلغ هذا الغرض ذروته في القرن الرابع[1].

أما ظهوره الحقيقي فهو أسبق من هذا التاريخ، يعود إلى القرنيين الأول والثاني الهجريين، نجد ذلك عند الأعشى في داليته التي أقدم ما مدح به النبي الكريم التي يقول في مطلعها:

أَلَــنْ تَغْــتَمَضَ عَيْنَــاكَ لَيْلَــةَ أَرْمَــدَا وَعَــادَكَ مَــا عَــادَ السَــلِيمَ* المُسَــهَدَا
وَمَــــا ذَاكَ مِـــنْ عِشْـــقِ النِسَـــاءِ وَإِنَمَا تَنَاسَيْتَ قَبْلَ اليَوْمِ عِلَّةً مُهَدَدَا*
وَلَكِـنْ أَرَى الـدَّهِرَ الـذَي هُـوَ خَـائِنٌ إِذَا أَصْــلَحْتَ كَفَــاهُ عَــادَ فَأَفْسَــدَ
كُهَــوْلاً وَ شُــبَانَا فَقَــدَتْ وثَرْثَــرَةٌ فَلِلّــهِ هَــذَا الــدَهرَ كَيْــفَ تَــرَدَدَا
وَمَازِلْــتُ أَبْغِــي المَــالَ هَـذَا أَنَــا يَــافِعُ وَلِيـدًا وَكَهْـلاَ حِـيْنَ شِـبْتُ وامْـرَدَا[2]

إلى أن يقول مخاطبا ناقته :

فَأَلَــتْ لاأَرْثِــي لِمَــاضٍ كَلاَلَــة ولاَ مَـنْ حَفَـى حَتَـى تَـزُولَ مُحَمَـدَا
نَبِــي يَــرَى مَــا لاَ تَــرَوِنَ وَذِكْــرٌ أَغَـارَ لَعَمْـرِي فِـي الـبِلاَدِ وأَنْجَـدَا
لَــهُ صَــدَقَاتِ مَــا تغــب ونائــل وَلَـيْسَ عَطَـاء اليَـوْمِ مَانِعُـه غَـدَا
حَتَـى مَـا تُنَـاجِي عِنْـدَ بَـابِ ابْـنُ هَاشِـمِ تُرَاحَى وتَلْقَى مِنْ فَوَاضِلِهِ نَدَى[3]

(1)- زكي مبارك :المدائح النبوية ص57.
(2)- المرجع السابق،ص19 .
(3)- المرجع السلبق،ص19.
*السليم:هو الملدوغ وإنما سمي كذلك تفاؤلا.
*مهدد: من أسماء النساء .

أما شعر المولديات فلم يظهر إلا بعد غرض المدائح النبوية، ولا بأس أن نقف عند قصيدة مشهورة أعدّها الكثير من النقاد من عيون الأدب العربي، بل من أروع ما مدح به النبي الكريم ،وهي قصيدة"بانت سعاد" لكعب بن زهير والتي مطلعها:

بَانَتْ سُعَادُ فَقَلْبِي اليَوْمَ مَتْبُولُ مُتَيَّمٌ إثْرَهَا لَمْ يُفِدْ مَكْبُولُ

ومَا سُعَادُ غُدَاة البَيْنِ إذ رَحَلُوا إلاَ أغَنُ ُغَضِيضَ الطَرْفِ مَكْحُولُ

هَيْفَاءَ مقْبِلَةٌ عَجْزَاءُ مُدْبِرَةٌ لاَ يَشْتَكِي قَصْرُ مِنْهَا وَلاَ طَولُ

إلى أن يقول في مدح النبي الكريم:

وقَالَ كُلُّ خَلِيلٍ كُنْتُ آمُلُهُ لأُلْهِيَنَكَ إنِي عَنْكَ مَشْغُولُ

فَقُلْتُ خَلّوا سَبِيلِي لا أبَا لَكُمْ فَكُلُ مَا قَدَرَ الرَحْمَانُ مَفْعُولُ

كُلُّ ابْنِ أنْثَى و إنْ طَالَتْ سَلامَتُه يَوْمًا عَلَى آلَةٍ حَدْبَاءِ مَحْمُولُ

نَبَّئْتُ أنَّ رَسُولَ الله أوْعَدَنِي الْعَفْوَ عِنْدَ رَسُولِ الله مَأْمُولُ

مَهْلاً هَدَاكَ الّذي أعْطَاكَ نَافِلَةَ الْقُرْآنِ فِيهِ مَوَاعِيظَ وَتَفْصِيلُ

إنَّ الرَّسُـولَ لنُـورٌ يسْتَضَـاءُ بِـهِ وَصَـارِمٌ مِـنْ سُـيُوفِ الله مَسْـلولُ
فِـي عُصْـبَةٍ مِـنْ قُـرَيْشَ قَـالَ قَـائِلُهُمْ بِـبَطْنِ مَكَّـةَ لَمَّـا أسْـلَمُوا زُولُـوا
زَالُـوا فَمَـا زَالَ أنْكَـاسٌ وَلا كُشُـفٌ عِنْـدَ اللِّقَـاءِ ولاَ مِيـلٌ* مَعْزِيـلُ*
شُـمُ العَـرَانِينِ* أبْطَـالٌ لُبُوسُـهُمْ مِـنْ نَسْـجِ دَاوُودَ فِـي الهَيْجَـاءِ سَـرَابِيلُ
لاَ يَفْرَحُـونَ إذَا نَالَـتْ رِمَـاحُهُمْ قَومًـا ولَيْسُـوا مَجَازِيعًـا إذَا نِيلُـوا
يَمْشُـونَ مِشْـيَ الجِمَـالِ الزُّهْـرِ ضَـرِي إذَا عَـرَّدَ* السُّـودَ التَّنَابِيـلَ
لاَ يَقَـعُ الطَّعْـنُ إلاَّ فِـي نُحُـورِهِمُ ومَـا لُهُمْ عَـنْ حِيَـاضِ المَـوْتِ تَهْلِيـل[1]

تقع لامية كعب بن زهير في ثمانية وخمسين بيتا وهي من الشعر الرفيع المحكم تجري على التقاليد الجاهلية حيث بدأها الشاعر بهذا النسيب ثم وصف الناقة وأخيرا مدح الرسول الكريم،وإذا تأملنا هذه القصيدة ودالية الأعش،لوجدنا كلا منهما تمدح النبي العظيم وقومه بأجمل الصفات تعدد شمائله وفضائله،وهذا ما نجده في شعر المولديات أيضا يبقى الفرق الجوهري بين هذه وتلك هو الالتزام بمناسبة المولد النبوي الشريف.

ب- علاقة المولديات بالبديعيات:

نبدأ في هذا الجزء بالحديث عن البديعيات، فنقول:هي قصائد موضوعها مدح الرسول وغالبا ما تكون من البحر البسيط[2].

والبديع في اللغة العربية من بدع الشيء لم يتقدم له مثال، ومنه إسمه تعالى البديع،بمعنى المبدع، أي الموجد للأشياء دون مثال تقدم، ولا تختص مادته بالله تعالى[3].

أما اصطلاحا: فالبديع علم نعرف به وجوه تحسين الكلام وهو قسمان:معنوي؛ ومنه الطباق، التورية،"ولفظي؛ ومنه الجناس والسجع.....[1]

([1])- زكي مبارك: المدائح النبوية،ص25،24.

*الميل:جمع أميل وهو من ميل على السريج والجبان

*المعا زيل :جمع معزال وهو من لا رمح له

*العرانين:جمع عرنين وهو الأنف ، * التعريد:الهرب

([2])- www.almerqab.com

([3])- محمد محمد طه هلالي: توضيح البديع في البلاغة، ط1، المكتب الجامعي الحديث، الأسكندرية ، 1998ص8.

والبديعيات قصائد مطولة تزيد القصيدة الواحدة عن خمسين بيتا وقد تبلغ المائة أو المائة والخمسين بيتا وأحيانا إلى ما يقرب من ثلاثمائة بيت وأكثر[2]

والهدف الأساسي من هذه القصائد هو مدح الرسول، العظيم وإظهار مزاياه وشمائله وكريم صفاته،كما يتضمن كل بيت من هذه القصائد لونا من ألوان البديع مذكورا صراحة أو ضمنا ،ولذلك سميت بالبديعيات وقد التزم الشعراء بجعل رويها الميم المكسور دائما.

وعليه فالبديعية هي القصيدة التي تتضمن التالي:

- عدد أبياتها يزيد على الخمسين.
- موضوعها الأساسي مدح الرسول الكريم.
- منظومة على البحر البسيط.
- رويها الميم المكسور.
- كل بيت فيها يتضمن نوعا من البديع.

ومنه فالبديعيات كالمولديات موضوعها الرئيسي مدح الرسول الكريم، وتعداد مناقبه وفضله و معجزاته،غير أن الفارق بينهما واضح كون البديعية تلتزم بالبحر البسيط،رويها الميم المكسورة، على حين لا تتقيد المولدية لا بالبحر ولا بالروي كما تلتزم البديعية بلون من ألوان البديع في كل بيت منها، بينما تتحرر المولدية من هذه الشروط ولا تتقيد إلا بمناسبة المولد النبوي [3]على حين لا تهتم به البديعية.

ومن أشهر البديعيات التي عرفها الأدب العربي القصيدة المعجزة كما سماها بعض النقاد..... إنها بردة البوصيري*التي مطلعها:

([1])- المرجع نفسه،ص21.

([2])-www.almerqab.com

([3])-www.almerqab.com

* هو محمد بن سعيد بن حماد بن عبد الله الصنهاجي البصيري عاش في مصر وأصله من المغرب من قبيلة صنهاجة ولد سنة608هـ،وتوفي في الإسكندرية سنة 696هـ،كان شاعرا رقيقا ورجلا متدينا كما كان فقيرا،وحدث أن أصابه شلل نصفي ألزمه الفراش فاستكان لقضاء الله وقدره وراح يستحسن على بلواه بالاستغفار والتسبيح، والتضرع لله تعالى ويكثر من الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم ،وبدا له أن ينظم في محنته هذه القصيدة الطويلة يمدح فيها النبي الكريم عل الله تعالى يرفع عنه البلاء.

أمِـنْ تَـذَكُـرْ جِيـرَانً بِـذِي سَـلَمٍ مَزَجَتُ دَمْعًا جَرَى مِنْ مُقْلتِـَى بِدَمِ
أمْ هَبَـت الـرِّيحُ مِـنْ تِلْقَـاءِ كَاظِمـةٍ وَأَوْمَـضَ البَـرْقُ فِـي الظّلمَـاءِ مِنْ إظَـمِ
فَمَـا لِعَيْنَيْـك؟ إنْ قُلْـتُ:أكْفِفْهَـا هَمَتَـا ومَـا لِقَلْبِـك إنْ قُلْـتُ: اسْـتَفِقْ يَهِـمِ
أيَحْسَـبُ الصَـبَّ أنَّ الحُـبَ مُنْكَـتِمُ مـا بَـيْنَ مُنْسَـجِمِ مِنْـهُ ومضْـطَرِمِ
لَوْلاَ الهَوَى لَمْ تُرَقْ دَمْعًا عَلَـى طَلَلِ ولا أرَقْـتْ لِـذِكْرِ البَـانُ والعَلَـمُ
فكَيْـف تُنْكِـرُ حَبًـا بَعْـدمَا شَـهِدَتْ بـِهِ عَلَيْـك عُـدُولُ الـدّمْعِ والسَـقَمِ
وأثْبَـتَ الوَجْـدُ خطّـيْ عِبْـرَةٍ وَضَـنَى مِثْـلُ البِـَهَـارِ عَلَـى خَـدَّيْكَ والعَـنَمِ
نَعَم سَرَى طَيْفُ مَنْ أهْوَى فـأرَّقَنِي والحـبُّ يَعْتَـرِضُ اللّـذَاتِ بـالألَمِ
يا لائِمِي فِي الهَوَى العُذْريّ مَعْذِرَةً مِنِـي إلَيْـكَ ولـوْ أنصَـفْتَ لـم تَلُـمِ
عُـذْتَـُكَ حَـالِي لا يُسْـرِي بمُسْـتَرِ علـى الوشَـاةِ ولا دَائِـي بِمُنْسَـجِمِ
مَحَّضْتَنِي النُصْحَ لكِنِ لسْتُ أسْمَعُهُ إنَّ المُحِـبَّ عَـنِ العُـذَالِ فِـي صَـمِمِ

لقد بدأ البوصيري بديعته بالغزل وهذا ما نجده أيضا في المولديات يحن فيها إلى ديار الحبيب ، ويتذكر مواطن حبه ويلتمس كل ما أنشد فيها ،وكان من جملة ما ذكره البوصيري (ذو سلم، إضم، كاظمة،البان، العلم).

وهي في حقيقة أمرها جبال وأودية بالمدينة المنورة .....فدّل بمدى التذكر أن حبّه مختلف عن حب غيره،فحبه للرسول الكريم وشوقه لزيارته ...وما تلك الأماكن إلا عبق ينبثق من ريح الحبيب الكريم،فواضح ما في هذه البديعية من نسج متين، وسلاسة في الألفاظ من غير تكلف، ولعل هذا ما جعل" أحمد شوقي" ينجذب إليها كغيره من شعراء الحس المرهف والذوق السليم وينسج على منوالها في مدحه للرسول الكريم:

رِيـمٌ عَلَـى القَـاعِ بـيْنَ البَـانِ والعَلَـمِ أحَـلَ سَـفْكَ دِمِـي فِـي الأشْـهُرِ الحُـرُمِ

وتعتبر قصيدة البوصيري هذه انطلاقة فن البديعيات من بعد ،حيث جعلها الشعراء مثلا أعلى لما توافرت عليه ؛من عذوبة الألفاظ ورقة الموسيقى وصدق المقال،وقد ترجمت

إلى عدة لغات ولعل من الأسباب التي جعلت المسلمين ينسجون على منوالها،ويعدونها نموذجا كاملا منذ عهد البوصيري إلى يومنا هذا راجع إلى الأسباب التالية:

- موضوع القصيدة أولا وأخيرا مدح الرسول الكريم ذلك لأن المسلمين يطربون لمدحه.

-سلامة النظم وعذوبة الألفاظ ورقتها والروي المكسور والبحر البسيط وجمال التراكيب،فليس في القصيدة نشوز في كلمة أو بيت ،وكل هذه العناصر إذا اجتمعت رفعت العمل الأدبي إلى مرتبة اللحن الشجي تخترق أصمام القلوب ومواطن الأرواح.

- قصة الكرامة التي كانت القصيدة سببا في حدوثها،فقد ذكر البوصيري أنه لما انتهى من نظمها شفي من شلله فأصبح يمشي بفضل العافية والغفران من عند ربه حتى توفي عن عمر يناهز التسعين عاما[1].

ولندلل على أن قصيدة البوصيري هذه تعتبر، نموذجا متفردا لا بد لنا من العودة إلى ثنايا الأبيات لإستنتاج بعض هذه الخصائص.

يقول البوصري في مطلع قصيدته:

أمِنْ يَذْكُرْ جِيرَانً بِذِي سَلَمٍ مَزَجْتُ دَمْعًا جَرَى مِنْ مُقْلَتِى بِدَمِ

لقد استهل البوصيري قصيدته بمحسن بارز،وهو توافق حرف آخر الشطر الأول مع حرف الروي وهذا المحسن يعرف بالتصريع،الذي يضفي على القصيدة نغما موسيقيا تستأنس له الأذن،أما البيت الثاني يقول فيه:

أمْ هَبَت الرِيَاحُ مِنْ تِلْقَاءِ كَاظِمةٍ وَأَوْمَضَ البَرْقُ فِي الظّلمَاءِ مِنْ إضَمِ

لقد احتوى البيت على الجناس الناقص بين (الظلماء وإضم)

وبالانتقال للبيت الثالث :

فَمَا لِعَيْنَيْكَ؟إنْ قُلْتُ:أكْفِفْهَا هَمَتَا ومَا لِقَلْبِك إنْ قُلْتُ: اسْتَفِقْ يَهِمِ!

(1)- www.members.lycos.fr.

نجد أن البيت قد تضمن محسنين بديعيين؛الأول في الشطر الأول والمتمثل في الطباق(أكففهما ≠ همتا)،أما المحسن الثاني ففي الشطر الثاني وهو أيضا طباق بين لفظتي(استبق ≠ يهم).

فإذا استرسلنا في تصفح ثنايا الأبيات ،كانتقالنا إلى البيت الرابع:

أيَحْسَبُ الصَبُّ أنَّ الحُبَ مُنْكَتِمُ ما بَيْنَ مُنْسَجِمٍ مِنْهُ ومضْطَرِمِ

لقد تضمن البيت محسنا بديعيا معنويا وهو الطباق بين(منسجم ≠ مضطرم).

إن من الثابت أن قصيدة البوصيري قد حققت لقب البديعية لنفسها من خلال احتوائها على خصائص البديعية فإنه لم يخل بيت من محسن بديعي أكان معنويا أم لفظيا.

وعليه فالبديعيات والمولديات كلاهما غرض شعري يعنى بمدح النبي الكريم كذكر أخلاقه وفضائله،وتعداد معجزاته وشمائله،غير أن البديعيات إرتبطت بالشروط السابقة،بينما المولديات لم ترتبط بأي منها،ما عدا إلتزامها بمناسبة الميلاد النبوي.

جـ- علاقة المولديات بالأدب الصوفي:

الأدب الصوفي أدب واسع المقاصد ،غزير المعاني، يختلف الكثير منه عن أنواع الأدب الأخرى ،فهو يتميز بالسمو الروحي والمعاني النفسية العميقة، والخضوع التام لإرادة الله القوية ،وبعد الخيال والشطحات كما يتصف بالغموض والمعاني الرمزية[1].

وهذا الأدب الرفيع يعتبر تعبيرا عن خلجات النفس ورغباتها الذاتية في التقرب لله تعالى والابتعاد عن الدنيا ومباهجها،فهم لم يقصدوا به عظيما أو ملكا، ولم يتقربوا فيه لكبير أو سلطان ،إذ أن دعامته الأولى الإخلاص والصدق لله تعالى، والتفاني في حبه، ففي الوقت الذي كان كبار أدباء الصوفية ينشئون فيه البدائع من فنهم الروحي الخالص من جهة، كان كبار الأدباء من غير المتصوفة يقيمون دعائم ما ينشرونه من أدب مبني على الملق والمدح الكاذب ،يطرقون به أبواب الملوك والأمراء والوزراء[2]

(1)- أحمد أمين:ظهر الإسلام، ط2،مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر،القاهرة،1961،ص170.

(2)- عبد الحكيم حسان :التصوف في الشعر العربي نشأته وتطوره حتى أواخر القرن الثالث، مكتبة الأنجلو المصرية 1955ص21.

إن التصوف أدب موضوعه الأساسي هو الله تعالى،بالإضافة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، حيث يعتبرونه النموذج الأكمل للإنسان بل سر هذا الوجود الإنساني والكوني، على خلاف المولديات التي موضوعها الأساسي هو الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم فقط.

ولا بأس أن نأتي هنا بمثال لأكبر المتصوفين العرب أو على الأرجح عند رائدة العشق الإلهي رابعة العدوية القائلة في هذا المجال:

أُحِبُّكَ حُبَّيْنِ حُبَّ الْهَوَى وَحُبٌّ لأَنَّكَ أَهْلٌ لِذَاكَا
فَأَمَّا الذِي هُوَ حُبُّ الْهَوَى فَشُغْلِي بِذِكْرِكَ عَمَّنْ سِوَاكَا
وَأَمَّا الذِي أَنْتَ أَهْلٌ لَهُ فَكَشْفُ لِلْحُجُبِ حَتَّى أَرَاكَا
فَلاَ الحَمْدُ فِي ذَا وَلا ذَاكَ لِي وَلَكِنْ لَكَ الْحَمْدُ فِي ذاَ وَذاَكَ[1]

والتصوف في حقيقته هو:«هو التماس الحق عن طريق تطهير النفس التي تلوثت بأدران المادة عند حلولها في الجسد،بعد أن كانت طاهرة شريفة،وإعدادها لقبوله بالإلهام الإلهي ولا سبيل إلى عودتها طاهرة إلا بقهر الجسد وإذلاله وحرمانه من مشتهياته ورغباته الدنيوية، وذلك بالانقطاع إلى العبادة،وممارسة الصلاة والتقشف،فإذا تم لها ذلك سمت نحو الله واقتبست منه المعرفة الحقيقية وسلكت طريق الحق»[2].

ويرى ابن خلدون في التصوف أنه:«علم من العلوم الشرعية في الملة، وأصله أن طريقة هؤلاء القوم ،لم تزل عند سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين ....فلما فشا على الدنيا ،اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة[3] .

مما سبق ومن رأي ابن خلدون هذا نستشف أن للأدب الصوفي علاقة بالدين الإسلامي عامة وبالله سبحانه وتعالى خاصة،كذلك المولديات التي تقام على أساس تعظيم خير خلق الله محمد صلى الله عليه وسلم الذي أتى بالدين الإسلامي لذلك فموضوعها الرسول الكريم.

([1])- عبد المنعم قنديل: رابعة العدوية عذراء البصرة البتول،شركة الشهاب للنشر والتوزيع ،الجزائر، (د.ت)، ص193.

([2])- أيميل ناصيف :أروع ما قيل في الزهد والتصوف، ص97.

([3])- ابن خلدون : كتاب العبر ، ص381.

وقد ظهرت فرقة الصوفية في البلاد العربية حوالي القرن الثاني للهجرة في عهد العباسيين،أما الجزائر فقد عرفت التصوف زمن الشيعة العبديين ،لكن العلماء أنكروا عليهم تعاليمهم وكفروهم وحرم الصنهاجيون مذهبهم، ومنعوا الناس عن التقرب منهم والتشبث بمذهب السنة ،وبقي التصوف ضعيفا إلى أن جاءت الدولة الموحدية ونشرت المعارف ونصرت الفلسفة فظهر من الصوفية رجال ذووا علم يمكنهم أن يتغلبوا على العامة حتى ضعفت شوكة الدولة وظهرت دول تنازع أمراؤها فيما بينهم فضعف سلطانهم وعلت كلمة الصوفية[1]، وقد كان نفوذهم قويا على العامة مما أدى بالبلاد إلى طريق الانحطاط دينيا وسياسيا.

وبانتشار الصوفية في البلاد العربية في المشرق فإن الحد لم يتوقف عند المنطقة الشرقية فقط بل تعداها إلى البلاد المغربية خاصة الجزائر، فقد ظهر من رواد الصوفية فيها" أبو مدين شعيب بن الحسين الاشبيلي"،قرأ بالأندلس وفاس وأخذ التصوف عن "ابن عربي" ،وتعرف في عرفة بالشيخ "عبد القادر الجيلالي الفارسي"،وأخذ عنه ،واستوطن ببجاية يقرأ رسالة القشيري وغيرها ،وكثر أتباعه فسعى به عند "يعقوب المنصور الموحدي" فاستقدمه إلى مراكش فقصد "أبو مدين" هذه العاصمة ولما بلغ تلمسان توفي بها سنة(954هـ/1198م) ودفن برابطة العباد [2] ،ومن مقولاته الشهيرة:

-(مقامي العبودية وعلومي الألوهية وصفاتي مستمدة من صفات الربانية،ملأت علومه سري وجهري وأضاء بنوره بري وبحري).من كلامه:(بفساد العامة تظهر ولاة الجور،وبفساد الخاصة يظهر دجاجلة الدين الفتانون).

وقال: «احذر محبة المبتدعين فهو أبقى على دينك واحذر محبة النساء فهي أبقى على قلبك»

(1)- مبارك الميلي: تاريخ الجزائرفي القديم والحديث،ج2، ص 276-277.

(2)- عبد الملك مرتاض: الأدب الجزائري القديم دراسة في الجذور،(د.ط)،دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع،الجزائر،2003 ، ص145.

وعموما فالتصوف من العوامل التي أدت إلى ظهور فن المولديات في المغرب الإسلامي،وان اختلف موضوع شعر التصوف عن موضوع شعر المولديات،فهي إذن من فنون الشعر التي أذاعها التصوف[1].

فهذا "ابن خميس" شخصية فذة ،ظهرت في القرن السابع الهجري وكانت لها من المكانة في الأدب ما لا يمكن نكرانها أو تجاهلها وقد مالت إلى التصوف ،وجال الشاعر بالأندلس وتفرغ لإقراء العربية بحضرة غرناطة أواخر سنة (703هـ/1304م) فطار صيته، وضمه الوزير" ابن الحكيم" إلى مجلسه وأغدق عليه من نعمه ،فخلع عليه ابن خميس بدوره أثواب نثره ونظمه ،كما فعل مع بني زيان بتلمسان –فأنصت إليه وهو ينشد قصيدته في أبي زيان بن عثمان الأول ؛هذه القصيدة التي تغلب عليها المسحة الصوفية[2]

أذِقُ عيْنِي بَارِقٌ مِنْ أثَالِ كَأنَهَ فِي جُنْحِ لَيْلِي ذَبَالِ
أثَارَ شَوْقًا فِي صَمِيمِ الحَشَّى وَعَبْرَتِي فِي صَحْنِ خَدِي أسَالِ
حَكَى فُؤادِي قَلَقًا وأشْغَالِ وجَفْنُ عَيْنِي أرَقُ وإنْهِمَالِ
جَوَانِحِ تَلْفَحُ نِيرَانُهَا وأدْمُعٌ تَنْهَلُ مِثْلَ الغُزَالِ*
قُولُوا وُشَاةِ الحُبِّ مَا شِئْتُم مَا لَذَةُ الحُبِ سِوَى أنْ يُقَالِ
أعْذِرْ لَوَامِي ولاَ عُذّرَ لِي فَزَلَةُ العَالَمِ مَا إنْ تُقَالِ
قُمْ نَطْرُدِ الهَمَّ بمَشْمُولَةٍ تُقَصِرِ اللَيْلَ إذَا اللَيْلَ طَالَ[3]

(1)- عبد الله حمادي: دراسات في الأدب المغربي القديم،ص.

(2)-محمد الطمار تاريخ الأدب الجزائري،147.

(3)-المرجع السابق126

* العزال: جمع غزلان وهو مصب الماء من الزاوية ونحوها.

وقد ظهر التصوف وأثره البالغ في الأدب الجزائري وينسب إلى شعيب مدين في قوله:

بَكَـتْ السَـحَابُ فَأضْـحَكَتْ لِبُكَائِهَـا زَهَـرَ الرِيَـاضِ وَفَاضَـتْ الأنْهَـارُ
وقَـدْ اقْبَلَـتْ شَـمْسُ النَهَـارِ بِحُلَـةٍ خُضْـرًا وَفِـي أسْـرارِهَا أسْـرَارُ
وأتَـى الرَبِيـعُ بِخَيْلِـهِ وَ جُنُـودِهِ فَتَمَتَّعَـتْ فِـي حُسْـنِهِ الأبْصَـارُ
والكَـأسُ تَـرْقُص والعَقَـارُ تَشَعْشَـعَتْ والجَـوُ يَضْـحَكُ والَحَبِيـبُ يُـزَارُ
والعُـودُ للغِيـدِ الحِسَـانِ مَجَـاوِبٌ والطَـائِرُ أخْفَـى صَـوْتَهُ المِزْمَـارُ
لا تَحْسَـبُوا الزُمْـرَ الحَـرَامَ مُرَادُنَـا مِزْمَارُنَـا التَسْـبِيحُ والأذْكَـارُ
وشَـرَابُنَا مِـنْ لُطْفِـهِ وَغنَاؤُنَـا نِعْـمَ الحَبِيـبُ الوَاحِـدَ القَهَـار[1]

وعليه فقد أثرت كل من المدائح النبوية والبديعيات والتصوف في المولديات بشكل أو بآخر، فكل منها يعد لونا من ألوان الشعر الديني، إرتبط بشخصية الرسول الكريم،ماعدا التصوف الذي عني بالذات الإلهية وشخص الرسول الكريم في الوقت ذاته، فعدد شمائله وأخلاقه،وذكرت معجزاته وصفاته،غير أن كلا منها يبقى غرضا شعريا مستقلا عن باقي الأغراض،وتجدر الإشارة إلى أن المولديات لم تنتشر انتشارا واسعا في العالم العربي على خلاف الأغراض الثلاثة هذه، وإنما كان مهدها الأول المغرب العربي حيث استطاع المغاربة أن يبتدعوا غرضا غرضا شعريا متميزا ،له قوانينه وضوابطه التي منحته هذا التفرد وتلك الخصوصية.

(1)- محمد الطمّار: تاريخ الأدب الجزائري ،ص126.

أولا: الحياة السياسية

استمرت دولة الموحدين قابضة على صولجان الملك ووحدة الشمال الإفريقي طوال قرن ونصف من الزمن «539-668»[1].

ولا شكَّ أنَّ هذه المدَّة لها، أهميتها في تاريخ المغرب بصفة خاصَّة وتاريخ العالم الإسلامي بصفة عامة بحيث أصبحت دولة الموحدين أكبر قوة عسكرية وسياسية في العالم الإسلامي قاطبة، الذي كان خطر الحروب الصليبية وخاصة الحملات الإسبانية على الأراضي المسلمة بالأندلس، فصارت هذه الدولة الفتية قبلة الآمال وملجأ الأمان؛ إذ طلب المسلمون منها الدفاع عن بلاد الإسلام وبخاصة الأندلس التي بدأت تنهار شيئاً فشيئاً، فما كان من مؤسّسها «عبد المؤمن بن علي» إلا أن يهتم اهتماماً بالغاً بالأندلس، حيث جهّز الجيوش قصد قمع الحملات الصّليبية هناك والدفاع عن المسلمين دفاعاً مستميتاً، وقد تطلَّب منه ذلك جهداً كبيراً شغله عن الاهتمام بالحياة الاجتماعية والثقافية، حيث كان هدفه الأوحد تحطيم قوة الأسبان، ولكن الموت حال دون ذلك، إذ توفي سنة (558هـ)[2] في مدينة سلا، غير أنَّ الجهاد في سبيل الله ظلّ مستمراً طوال مدة حكم «يوسف بن عبد المؤمن» ثم ابنه «يعقوب بن المنصور» وأخيراً ابنه «محمد الناصر لدين الله» الذي جلب الشؤم للمسلمين والأندلس حين انهزم في واقعة «العقاب»[3] سنة 609هـ أمام جيش الإسبان الذي استولى على أغلب بلاد الأندلس انهزاماً ساحقاً، بحيث لم ينج من جيش المسلمين البالغ عدده ستمائة ألف مقاتل إلا عدد يسير جداً لم يبلغ الألف[4]

بعدها تدخل الدولة الموحدية في انقسام وضعف كبيرين، ممَّا يمكّن اسبانيا النصرانية انتهاز هذه الفرصة فتضرب بشدّة القواعد الأندلسية الكبرى ولا سيما في عهد السُّلطان

([1]) - عبد الرحمن الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، ج2، مكتبة الشركة الجزائرية الجزائر، منشورات دار مكتبة الحياة، ط 2، بيروت، لبنان، 1965، ص 289.

([2]) – المرجع نفسه، ص 305.

([3]) – أحمد بن محمد التلمساني المقري: نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، تحقيق محي الدين عبد المجيد، نشر دار الكتب العربي، بيروت لبنان، م3، ج 6، ص 117.

([4]) - المصدر نفسه، ص 117.

الموحّدي "المستنصر بالله أبي يعقوب يوسف"[1] الذي كان عمره لم يتجاوز ستة عشر عاماً، ولهذا كانت شؤون الدَّولة تسير وفق ما يراه الشيوخ الأوصياء وبالتالي غلب الضّعف والركود على عهد هذا السلطان.

ولقد كان من الطَّبيعي في ظل كل تلك العوامل المتقدمة أن يدبّ الضعف في الدَّولة الموحدية فتضعف بعد قوة وتركد بعد نشاط، خاصة وأن سلطانها "المنتصر بالله" شاب عابث شغلته النَّزوات وشهوات الحياة عن تدبير شؤون الدولة والاهتمام بالرَّعية فلم يكن أهلاً لتلك المسؤولية الكبرى.

وبقيت الأوضاع على ما هي عليه ردحاً من الزّمن، والسلطان في غفلة عمَّا يجري حوله، في حين أخذ الفزع الشّديد يتملّك رعيته خوفاً من الهلاك والسقوط، فظهر التفكّك بين أفرادها واختل الأمن في جميع نقاط الدولة فوجدت القبائل التي كانت مستعدّة للاستقلال عن الموحّدين الفرصة الملائمة لذلك كبني مرين وبني حفص وبني عبد الواد.

وقد كان أول من قام بهذا في دولة بني عبد الواد "البطل يغمراسن بن زيان"[2] الذي أعلن الاستقلال عن دولة الموحّدين وقد بقي طوال مدة حكمه[3]*، يضع أساس الدولة ويثبت أركانها، وبهذا بدأت الدولة العبدوادية تحقق وجودها بقوة فصارت مخوفة مهيبة في كل المغرب العربي لذلك احتدمت الصراعات والحروب الداخلية والخارجية بينها وبين المرينيين والحفصيين وحتى الموحّدين في آخر أيامهم[4]، فكل واحدة من هذه
الدول تعدّ نفسها أحق بخلافة الموحدين والوارث الحقيقي لهم، فدب الخلاف بينها وقد كان بنو عبد الواد بين شقي رحى، فمرة نجد الحفصيين بالمغرب الأدنى ضدهم وأخرى المرينيين بالمغرب الأقصى وكثيراً ما بتحالف هؤلاء وأولئك عليهم.

([1]) - هو يوسف المنتصر بالله بن محمد الناصر بن يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي (594-620هـ).

([2]) - هو أبو يحي يغمراسن بن زيان بن ثابت بن محمد العبدوادي (603-681هـ).

([3]) – أبو زكريا يحي بن خلدون: بغية الروّاد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، ج 1، تحقيق عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية، الجزائر، ص 204.

* استمرت مدة حكمه (633-681هـ.).

([4]) – نوار بوحلاسة: الشعر الزياني (633-962هـ)، بحث مقدّم لنيل درجة ماجستير في الأدب العربي القديم، إشراف جودة الرّكابي، نوقشت بجامعة قسنطينة 1989، ص 5.

ومرَّات أخرى نجد هذه الصراعات والفتن تجري في الداخل كتحالف المرينيين مع إمارة "الثعالبة" بمتيجة وإمارة "مغراوة" بملياني وبين "توجين" بجبل الونشريس و "بني راشد"، إلاَّ أنَّ الخطر المريني والحفصي ظلَّ يحدق بهم طوال ثلاثة قرون من الزّمن، فكانت حدودهم بين مد وجزر بحسب ظروفهم الحربية بينهم وبين هؤلاء الجيران المتربّصين بهم، فقد بلغت حدودهم الشّرقية أحياناً إلى قسنطينة ودلس وبجاية وغرباً إلى مدينة تاوريرت[1]غربي وجدة المغربية، أما جنوباً فقد وصلت إلى سجلماسة «تافيلالت» وأما عاصمتهم فهي دائما تلمسان.

وقد كانت تلمسان، هذه المدينة فائقة الجمال ذات موقع ممتاز، وهذا ما جعل الشّعراء الزيانيين يتغنون بجمالها وسحرها ومنهم الثغري الذي يرى فيها كل الجمال:

قُمْ فاجْتلي زَمَنَ الرَّبيعِ المُقْبِلِ تَرَ مَا يَسُرُّ المُجْتَنِي والمُجْتلي
وَانْشُقْ نَسِيمَ الرّوضِ مُطَوَّلاً وَمَا أهْدَاكَ مِنْ عُرْفٍ وَعُرْفٍ فَاقْبِلِ
وَانْظَرْ إلَى زَهْرِ الرِّياضِ دُرٌّ عَلَى لُبَّاتِ رَبَّاتِ الحِلَي
فِي دَوْلَةٍ فَاضَتْ يَدَاهَا بِالنّدَى وَقَضَتْ بِكُلِّ مُنَى لِكُلِّ مُؤمِّلِ
بَسَطَتْ بِأرْجَاءِ البَسِيطَةِ عَدْلَهَا وَسَطَتْ بِكُلِّ مَعَانِدٍ لَمْ يُعدضلْ
سُلْطَانُهاَ المَوْلَى أبُو حَمُّو الرَّضي ذَو المَنْصِبِ السَّامِي الرَّفيعِ المُعْتَلي
تَاهَتْ تِلْمْسَانُ بِدَوْلَتِهِ عَلَى كُلِّ البِلاَدِ بِحُسْنِ مَنْظَرِهَا الجَلِي
رَاقَتْ مَحَاسِنُهَاَ وَرَقَّ نَسِيمُهَا فَحَلاَ بِهَاَ شِعْرِي وَطَابَ

ويقول في قصيدة أخرى عنها إذ قلما تخلو قصائده من ذكرها، والإشادة بحسنها وبهائها فهاهو يقرن حسنها بمدح السّلطان أبي حمو موسى الثاني:

تَاهَتْ تلمْسَانُ بحُسْنِ شَبَابِهَا وَبَدَا طِرَازُ الحُسْنِ فِي جِلْبَابِهَاَ

(1)- يحي بن خلدون: بغية الرّواد، ج 1، ص 204.

(2) – ديوان الثغري التلمساني.

فَالبِشرُ يبدوُ مِنْ حُبَابِ ثغُورهَا مُبتسِّماً أو مِنْ ثغُورِ حُبابِهَا
قدْ قابلتْ زَهْرَ النَّجُومِ بِزهْرِهَا وبُروجِهَا بِبُروُجِهَاَ وَقِبابَهَا
حَسُنَتْ بِحُسْنِ مليكَِهَا المَوْلَى أبِي حَمُّو الِذي يَحْمِي حِمَى أرْبَابِهَا[1]

وقد وصفها العبدري في رحلته بقوله: «تلمسان مدينة كبيرة سهليةٌ جبلية، جميلة المنظر، مقسومة باثنين بينها صور ولها جامع كبيرٌ مليحٌ متَّسعٌ، وبها أسواق قائمة، وأهلها ذوو ليانة ولا بأس بأخلاقهم وبظاهرها بسند الجبل موضع يعرف بالعبّاد، هو مدفن الصّالحين وأهل الخير... والدائر بالبلد كله مغروسٌ بالكروم وأنواع الثمار، وسوره من أوثق الأسوار وأصحّها، وبه حمّامات نظيفة ومن أوسعها وأحسنها وأنظفها حمام "العالية" وهو مشهور قلَّ أن يُرى له نظير، وهذه المدينة بالجملة ذات منظر ومفخرٍ وأقطارها متسعة ومبانيها مرتفعة»[2].

أمّا ابن خلدون فذكرها بقوله: « فأصبحت أعظم أمصار المغرب ورحل إليها الناس من القاصية ونقضت بها أسواق العلوم والصنائع، فنشأ بها العلماء واشتهر فيها الأعلام وضاعت أمصار الدّول الإسلامية والقواعد الخلافية »[3]

وعليه فهذا الجمال الباهر وهذا العلم الزّاخر وهذه المباني الفاخرة كانت من الأسباب التي حملت الدول المجاورة، كبني مرين، وبني حفص على الاستيلاء عليها، وهذا ما جعلها توصف بجوهرة المغرب أو غرناطة إفريقية.

وعموماً فإنَّ عصر بني زيان عصر طويل، متشعب الموضوع ورث العصور السّابقة في حضاراتها وآدابها وعلومها ودامت مدته من سنة (633-962هـ)، أي نحو تسع وعشرين سنة وثلاثة قرون، ولم تصل دولة من دول القطر السابقة إلى هذه المدَّة ولم

(1) - المرجع السابق، ص 181-182.

(2) – الرحلة المغربية للعبدري نقلا نوّار بوحلاسة ، الشعر الزياني، رسالة ماجستير، ص 11.

(3) - عبد الرحمن بن خلدون: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، ط 3، لبنان، بيروت، 1967، م 7، ج 1، ص 161-162.

تتعرَّض لأحداث جسيمة كالتي تعرَّضت لها ولم تنضج فيها الحركات الفكرية في العلوم النقلية والعقلية واللغوية مثل نضجها في هذه الفترة[1].

وهذا ما يجعل دراسة هذا العصر على أهمية كبرى، وعليه سنقسم أدواره وصراعاته السياسية بالنظر إلى قوة وضعف الدولة العبدوادية[2] إلى قسمين:

1- الدور الأول : دور القوة والاستقلال

ويبدأ باستقلال يغمراسن بحكم تلمسان سنة (633هـ) وينتهي بموت أبي حمو موسى الثاني سنة (791هـ) وهو عصر عظمة الزيانيين وقوتهم رغم الحروب التي تخللته في العاصمة تلمسان.

أهم مميزات هذا العصر[3]: لقد إمتاز هذا العصر بـ :

- قوة السّياسة الزيانية وتغلّبها على الهجمات المرينية والحفصية والموحدية وبعض القبائل كمغراوة وتوجين.
- محافظة الزيانيين على روح البداوة رغم تحضرهم الكبير وذلك ما ساعدهم على الالتجاء إلى الصحراء في حروبهم، فلم يستولِ عليهم الترف ولم تخمد روح فروسيتهم.
- تأثَّرهم الكبير بحضارة الأندلس، ويظهر ذلك جلياً في عمرانهم وعاداتهم وتأدبهم بآداب الموحدين العالية.
- اهتمامهم البالغ بالفلاحة والصّناعة والفروسية، حيث تمكنوا من إبعادها عن السياسة فسجلوا فيها نجاحاً باهراً.
- شغفهم بتشجيع الحركة الثقافية والدينية فأغلب السلاطين الزيانيين قربوا العلماء والأدباء كما كانوا يتذوقون الأدب بل كان من بينهم الشعراء كأبي حمو موسى الثاني.

([1]) – رابح بو نار: المغرب العربي، تاريخه وثقافته، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1968، ص 289.

([2]) - تطلق كلمة بني زيان على بني عبد الواد اكتفاء بأحد اللقبين على الآخر مع الإشارة إلى أن اللقب الأول قد اختاره سلاطينها السابقون في عهد يغمراسن (633-680)هـ، أما في عهد أبي حمو موسى الثاني (760-791هـ) فقد اختار هذا الأخير اللقب الثاني.

([3])-رابح بونار : المغرب العربي تاريخه وثقافته، ص 290.

2- الدور الثاني: دور الضعف السياسي

يمتد هذا الدور من سنة 791هـ وينتهي بسقوط الدولة الزيانية نهائياً (957هـ) ودخول سلطانها " مولاي الحسن " تحت حكم الأتراك، ومدته نحو 166 سنة.

أهم مميزات هذا العصر:

- ضعف سلاطين بني زيان سياسياً ورضائهم بالتبعية السياسية لبني مرين من سنة (791هـ) إلى عهد السلطان "ابن مالك عبد الواحد" (814-827هـ) لكنَّهم بعد ذلك أرادوا الانفصال عنهم فلم يتأتّ لهم مرادهم، لأن النّفوذ المريني ازداد قوّة واستفحالاً، فأذعنوا لهم ورضوا واعترفوا بالتبعية السياسية لسلاطينهم.

وبعد هذه الفترة لم تلبث الدول الثلاثة (بنو حفص، بنو مرين، وبنو زيان) حتى ضعفت ضعفاً بيّنا، فتعرّضت لهجومات الدول الاستعمارية الأوروبية؛ كإسبانيا التي قويت بعد أن هزمت العرب في الأندلس وطردتهم عام (897هـ) ([1])،وقد دبّ الضعف في سلاطين بني زيان عندما دخلوا تحت حمايتها إلى أن جاءهم الأتراك وقضوا عليهم نهائياً سنة 962هـ.

- ضعف السّلاطين وانغماسهم في التَّرف والمحرّمات، بحيث أصبحوا لا يقدرون على القيام بالنَّشاط الحربي كما فعل أسلافهم.

- اضطراب مجتمعهم لكثرة الفتن والخلافات بين عناصره؛ من عرب وبربر وجاليات مختلفة، حيث شاع الفقر المدقع عند بعضهم، والغنى الفاحش عند البعض الآخر وأصبحت الحضارة الزيانية أشبه ما تكون بالحضارة العبَّاسية "مسجداً وحانة، وقارئاً ومزمراً، ومجتهداً يرقب الفجر ومصطحباً في الحدائق، وساهراً في تهجّد، وساهراً في طرب .. وشك في دين، وإيماناً في يقين"[(2)].
- ازدهار الحركة الثقافية في القرنين الثامن والتاسع الهجريين، رغم الضّعف السياسي الذي منيت به الدولة الزيانية، ثم أخذ هذا الازدهار في التراجع والجمود في القرن العاشر الميلادي، واستمرّ الوضع على ما هو عليه حتى سقطت دولتهم على يد

(1)- رابح بو نار: المغرب العربي، تاريخه وثقافته، ص 293.

(2)- إيميل ناصيف: أروع ما قيل في الزّهد والتصوف، دار الجيل، بيروت، ص 11.

الأتراك عام (962هـ)، وكان ذلك بمثابة غروب الحضارة الإسلامية في المغرب العربي.

3- أهم سلاطين وأحداث الدور الأول:

لقد كان ملوك (بنو زيّان) يطلقون على أنفسهم لقب السّلطان، ولم يجرؤ أحدهم على ادّعاء الخلافة حتى جاء أبو حمو موسى الثاني فأطلق على نفسه لقب سلطان وخليفة.

وسنتناول الآن بالتفصيل أهم هؤلاء السلاطين، متتبّعين أبرز الأحداث في عصر كل واحد منهم:

أ- يغمراسنبن زيان بن ثابت بن محمد العبدوادي : (633-681هـ).

بويع هذا القائد السياسي يوم الأحد 22 ذي القعدة 633هـ، 1286م، ولقد تمكّن بفضل ذكائه السياسي أن يستقطب حب النّاس وثقتهم، فبايعوه بيعة عامة، حيث نشر العدل ووطّد الأمن، وقد حدّثنا يحي بن خلدون عن جهوده العظيمة في تأسيس الدّولة فقال: «والأرض يومئذٍ تموج بالسّكان والهرج ينبثق بالمساكن والفساد، عمَّر الأقطار وأنزح الأوطار، والعنف قد سلّ الأشفار، فسكن الأرجاف وسمن بكلأ الهداية العجاف، وقبض يد العداء، ومكّن يد عزّه من رقاب الأعداء، فجدّد الملّة وأشعر ذي الخلافة الجلة»[1].

وقال عنه عبد الرحمن بن خلدون: «فوقع التسليم به، والرّضا عنه من سائر القبائل، ودان له بالطاعة جميع الأمصار وكتب الخليفة الرشيد بالعهد على عمله، وكان ذلك سلّماً إلى الملك الذي أورثه بنيه سائر الأيام»[2].

وقد دامت مدة حكمه ثمانية وأربعين عاماً، تمكّن خلالها من تثبيت دعائم دولته، ودفع عنها كل الغارات والأطماع التي شنَّها ضدَّها الحفصيون والمرنيون والموحّدون، غير أنّه مني بعدَّة هزائم ومن بينها هزيمة "باسلي" قرب وجدة سنة 670هـ، وسنورد ملخصها كما جاء في الذّخيرة السنيَّة لأهميتها البالغة «لَّما عزم أمير المسلمين أبو يوسف على غزو تلمسان، بعث ولده الأمير 'أبا مالك" إلى مراكش يحشد له منها قبائل العرب وبني مرين والمصامدة.. ومن بها من الأندلس والرّوم، وذلك من شهر صفر من سنة سبعين، وأخذ

([1])- يحي بن خلدون : بغية الرواد ج 1، ص 112.

([2])- عبد الرحمن بن خلدون: كتاب العبر، ج 7، ص 152-153.

أمير المسلمين بالاستعداد إلى الحرب، فجمع أشياخ قبائل مرين وأمراء قبائل العرب.. فأشاروا عليه بصلح يغمراسن وتهدين البلاد... فشكرهم على ذلك وقال لهم: "والله هذا رأيي ونيتي وقصدي".. فسار الصّلحاء والأشياخ إلى يغمراسن بن زيان... فأخبروه برسالة أمير المسلمين... فقال لهم: "لا صلح بيني وبينك أبداً ولقد بلغت في حربه إلى الرّدى، لقد قتل ولدي وقرة عيني وولي عهدي عمر وأهدر دمه، والله لا كان هذا أبداً ولا أترك دم ولدي يمضي سداً حتى آخذ منه بالثأر وأذيق بلاده التّبار".

وأقبل نحوه لقتاله ونزاله.. فالتقى الجمعان بواد "إسلي" على مقربة من مدينة وجدة.. فرأى يغمراسن ما لا طاقة له به، ولا سبيل له بلقائه، ففرَّ منهزماً جريحاً... ولم يفلت منهم أحد وكانوا ما يزيد عن خمسمائة فارس.. فحلّت مرين محل بني عبد الواد.. وكان على يغمراسن يوم عسير باء فيه بالخسران والويل الثَّبير»[1]

وقد أنشد صاحب الذخيرة قوله:

فَـــذاَكَ يَـــوْمٌ للشَّـــقيِّ مُـــذَمَّمُ بـِهِ زُجِـرَ المشْـؤومُ طَيْـرَاً مُـذَمَّماً

تَغشَّـتْهُ عُقْيَـانٌ مِـنَ الخَيْـلِ وَقْـعٌ وَمَـا طَـالَ مَـا كانَـتْ عَلَـى ذلِكَ حُـرْمُ

ورغم الهزائم المذكورة إلا أنَّه لم يخضع مما كان سبباً في كثرة أعدائه، وظل ذلك إلى أن مرض ومات يوم الاثنين 29 ذي القعدة سنة 681هـ.

ب- أبو سعيد يغمراسن (681هـ، 703هـ) :

بويع بعد وفاة أبيه، وقد كان سياسياً يقظاً، حكم دولته بذكاء وفطنة ففتح "مازونة" و"المدية" سنة 688هـ وقلعة "الونشريس" من بلاد "توجين" سنة 689هـ، ولكنه كان في كل مرة يتلقّى هجمات بني مرين، وكان ذلك بين سنوات (689، 698)[2]، وآخرها هو الزّحف الذي حاول فيه "أبو يعقوب يوسف المريني" أن يستولي على تلمسان فحاصر جبهتها الغربية سنة 698هـ، ولأنَّ المدة طالت فقد شيّد بها الأسوار والقصور، وأوسع

(1)- مؤلف مجهول: الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، طبع بمطبعة جول كاربونل في ساحة الدولة الجزائرية، 1960، نشره محمد بن أبي شنب بالمدرسة الثعالبية في الجزائر، ص 146- 147.

(2)- رابح بونار: الأدب المغربي تاريخه وثقافته، ص 293.

الغروس، وقد أثر هذا الحصار على السكّان، فارتفعت الأسعار وانتشر الفقر وهلك الناس بالجوع والسيف والمنجنيقات[1]، وبلغ عدد الهالكين نحو مائة وعشرون ألفاً وأكل الناس أثناء الحصار الجيف والقطط[2]، وقد توفي هذا السلطان غرّة ذي الحجة سنة 703هـ.

جـ- أبو زيان بن أبي سعيد (703-707هـ) :

تولَّى الحكم سنة 703هـ، وقد كان نشيطاً حازماً كريم الخلق حسن السلوك، وقد كانت سنوات حكمه عسيرة جداً مات فيها مائة وعشرون ألف مسلم وبينما هم كذلك إذ جاءهم نعي "أبي يوسف المريني" محاصرهم الذي اغتاله "سعادة" أحد عبيده، فوقع القتل في صفوف المرينيين، واضطرّوا إلى مصالحة بني زيان فخرجوا من محنتهم العسيرة ففرحوا بذلك وكتبوا في مساكنهم «ما أقرب فرج الله»[3].

د- أبو حمو الأول بن أبي سعيد (707-710هـ) :

بويع يوم الأحد 21 شوال سنة 707هـ[4]، وقد كان ملكاً صالحاً قضى على المظالم وفتح بلاد "الزاب" سنة 710هـ و"تدلس"، فخضع له أميرها ومدينة الجزائر التي طرد حاكمها "أبي علان" الذي استبدَّ بها مدَّة أربعة عشر عاماً، وفي هذه الأثناء حاول السلطان المريني "أبي سعيد" الاستيلاء على تلمسان، فهاجمه أبو حمّو الأول وانتصر عليه، وقد بنى قصره المشهور في مدينة وهران المعروف "بحمّو موسى" الذي حرّف إلى "عمي موسى".

أما وفاته فلقد كانت على يد ابنه "أبي تاشفين" لأنّه كان يفضِّلُ عليه ابن عمه "أبو سرحان مسعود بن أبي عامر" وكان ذلك في اثنين وعشرون جمادى الأولى سنة 718هـ.

هـ- أبو تاشفين الأول بن أبي حمو الأول (718-787هـ) :

رغم فعلته السَّابقة كان أكثر الزيانيين خبرة وحماساً، فشيّد القصور وخط البساتين، وأهم الأحداث في عهده: فتح الزَّاب الذي كان تحت حكم الحفصيين، وإخضاعه أهل قسنطينة ومحاربته بجاية، وتعدّدت حروبه إلى غاية 780هـ، كان النَّصر في أغلبها حليفه

(1)- المرجع نفسه، ص 294.

(2)- المرجع نفسه، ص 295.

(3)- عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج 2، ص 190

(4)- المرجع نفسه، ص 294.

كما أخذ تونس عنوة، فلجأ الحفصيون إلى المرينيين فوعدهم سلطانهم "أبو سعيد" النَّصرة إلاَّ أنَّ الموت أدركه، فخلفه ابنه "أبو الحسن علي"، فأعدّ هذا الأخير جيوشه واتّجه إلى تلمسان ففتح "ندرومة" و "هنين" و"وهران"، وتم له فتح تلمسان سنة 737هـ فخرج أبو تاشفين وأولاده مهزومين هزيمة نكراء[1].

الاستيلاء المريني على تلمسان: (737-760 هـ)

لقد تعدَّدت زحوفات بني مرين على تلمسان قصد القضاء على الدولة الزيانية، وفعلاً دام احتلالهم لها من 737هـ إلى 760هـ، لكن لم يدم لهم ذلك لأنّ أبا حمو موسى الثاني كان يُعُد العدَّة لاسترجاع ملك أجداده وتمكّن من ذلك عام 760هـ ودخل تلمسان منشداً:

جَرَتْ أدْمُعِي بيْنَ الرُّسوُمِ الطّوَاسِمِ لِمَّا شَحَطَتْهَا مِنْ هُبُوبِ الرَّوَاكِمِ
وَقَفْتُ مُسْتَفْهِمًا بِخِطَابِهَا وَاَيُّ خِطَابٍ لِلِصَّلادِ الصَّلادِمِ[2]

و- أبو حمُّو موسى الثّاني: (760-791هـ)

يعتبر أبو حمّو موسى الثاني آخر سلاطين هذا الدور وأعظمهم، وبفضله استرجعت الدولة الزيانية أمجادها واستقرارها[3].

وأطلق عليها اسم الدولة الزيانية نسبة إلى "زيان بن ثابت" والد يغمراسن المؤسس الأول للدّولة، وقد كان في أخلاقه شهماً كريماً عطوفاً على أهل الأندلس.

كما كان محباً للعلم والأدب، يحتفل في كل سنة بالمولد النبوي الشريف، ويغدق العطاء لأهل الأدب، وقد ازدهرت الحياة الأدبية والاجتماعية والاقتصادية في عهده فعاش الزيانيون في نعيم رغم الحروب السياسية، وظلَّ حقد المرنيين عليه قائماً، يحاربونه بشتى الوسائل لكنّه كان دائماً ينتصر عليهم.

([1])- المرجع السابق، ص 295.

([2])- المرجع السابق، ص 296.

([3])- زهير إحدادن وآخرون: معجم مشاهير المغاربة، المؤسسة الجزائرية للطباعة، (د.ط)، الجزائر، نشره الأستاذ عبد الحميد حاجيات، ص 174-175.

السيطرة المرينية للمرة الثالثة على الدولة الزيانية (772هـ):

في هذه السنة أعدَّ السلطان المريني "أبو فارس عبد العزيز" قوّة ضخمة، واحتل تلمسان، فاضطرَّ أبو حمو موسى الثاني يومها أن يخرج منها مرغماً ودام احتلالهم هذا حتى وفاة سلطانهم سنة 774هـ وبعدها عاد أبو حمو وطردهم منها.

ز- الصّراع بين أبي حمو موسى الثاني وابنه أبي تاشفين:

في عام 788هـ يعلن أبو تاشفين عداءه لأبيه متهماً إياه بموالاة إخوته عليه[1]، فلم يكن من أبي حمو إلا أن يغادر تلمسان متجهاً نحو الجزائر، لكن أبا تاشفين يلحق بأبيه ويعود به ويسجنه في مدينة وهران، ويحاصر إخوته في جبل "تيطري" وبدا له أن يتخلص من والده نهائيا، فعلم بذلك وأخذ يستنجد بأهل المدينة فمنحوه تأييدهم فعاد مرة أخرى إلى تلمسان.

غير أنَّه يطلب من ابنه أن يسمح له بالذهاب إلى الحجاز لأداء فريضة الحج والاستقرار، بأحد الأقطار المشرقيّة، فوافقه غير أن تلك لم تكن إلا خطَّة للخلاص من المعتقل الذي وضعه فيه، فنزل في بجاية فاستقبله أميرها الحفصي لكنّه لم يطل البقاء عنده وقصد متيجة مستنجداً بالقبائل المجاورة، وجهز نفسه لقتال ابنه (أبي تاشفين) فنشبت الحرب بينهما، وعند احتدامها يدرك بعض أتباع "أبي تاشفين" مكان أبيه فيقتلونه رمياً بالرّماح ثم يأتون برأسه إلى ابنه العاق في ذي الحجة عام 791هـ.

وبمقتل أبي حمو موسى الثاني ينتهي العصر الذّهبي، عصر القوة والاستقلال في المملكة الزيانية.

4- أهم الأحداث في الدور الثاني: (دور الضعف السياسي)

بعد أن قتل أبو تاشفين أباه لم يلبث في الحكم طويلاً لأنّ أخاه "أبا زيَّان" حاكم مدينة الجزائر بدأ ينازعه على الحكم، فدارت بينهما عدَّة معارك انتهت بمقتل أبي تاشفين" واحتلال "المنتصر المريني" تلمسان، ومن هنا تنتهي الدولة الزّيانية لتحل محلها دولة بني مرين، وفي سنة 796هـ يموت السّلطان المريني "أبو العبّاس" فيضطر ابنه "أبو فارس عبد

(1)- نوار بوحلاسة: الثغري التلمساني حياته وشعره دراسة وجمع وتحقيق. بحث مقدم لنيل درجة دكتوراه دولة في الأدب العربي القديم، إشراف جودة الركابي، نوقشت في جامعة قسنطينة، الجزائر، 1996-1997، ص 12.

العزيز" لمغادرة تلمسان من أجل تولّي عرش أبيه في فاس، فيطلق سراح "أبي زيان بن أبي حمو الثاني"، ويرسله إلى تلمسان ليصير ملكاً عليها سنة 805هـ، حيث بدأ صرح بني زيان في الانهيار والسقوط لأن سلاطينها في السّنوات الموالية ركنوا إلى التخاذل والانهماك في التّسابق إلى العرش فعمّت الفوضى في جميع الميادين واضطربت الأحوال السياسية وكثرت المشاكل بأنواعها، وكان ذلك فرصة سانحة لهجوم الاسبان على الشّواطئ الجزائرية، فيتمكَّنوا من احتلال المرسى الكبير يوم 9 سبتمبر 1911م في معارك قليلة[1].

بعدها تعدّدت المعارك بين الأسبان والمسلمين بالإضافة إلى حملات الأتراك المتوالية، فأصبح القطر الجزائري تتنازعه قوتان؛ قوَّة الاسبان من جهة وقوَّة الأتراك من جهة وقمع الدَّولة السَّعدية المغربية من جهة أخرى، فقد احتل "محمد المهدي السّعدي" تلمسان سنة 957هـ فواجهه الأتراك وهزموه، فرجع إلى المغرب الأقصى من حيث أتى، وولّوا السّلطان "مولاي حسن الزياني" سنة 957هـ، فكان عاملاً لهم ومتعسّفاً خائناً، ميالاً للغزاة الاسبان، فخُلع من الحكم نهائياً، وضمَّت تلمسان إلى الجزائر تحت حكم صالح رئيس"باي لارباي"، وخرج "مولاي الحسن الزياني" إلى وهران سنة 962هـ إلى أن توفي بعدها بسنة "963هـ"، وبخلع هذا السلطان الخائن تسقط الدّولة الزيانية وينتهي أمرها نهائياً.

وهذا أمرٌ طبيعيٌّ، فالتَّاريخ يصوّر لنا أسباب سقوط الدّول واندثارها، إنّما يعود لسبب هام يتمثَّل في الخلافات بين أفراد الأسرة الحاكمة فيما بينهم، وانشغالهم عن المسؤولية العامَّة بالمسؤولية الخاصّة، كما حدث مثلا في دولة "بني الأحمر " بالأندلس، ولا بأس أن نذكر في هذا المقام الأسباب التي أدَّت إلى سقوط الدّولة الزّيانية في تلمسان:

- الخلافات السياسية بين أفراد الأسرة الحاكمة مما أدَّى إلى الحروب بينهم وإضعاف بعضهم لبعض.
- صدامات القبائل المتمرّدة من عرب وبربر.
- انغماس السّلاطين في التَّرف والملذَّات وإغفالهم سياسة الحكم ورح المسؤولية.
- ابتلاؤهم بالاسبان والترك فأعدهم الناس حماة للإسلام وأحق بالحكم من الزيانيين[2].

(1)-رابح بونار: المغرب العربي تاريخه وثقافته، ص 302.

(2)- المرجع السابق، ص 305.

ثانياً: الحياة الاجتماعية

تنتسب الدولة الزيانية إلى قبيلة بني عبد الواد الزناتية، وهي إحدى قبائل زناتة الكبرى، وأماّ خصائص زناتة فقد ذكرها ابن خلدون: «كانت مكاسبهم الأنعام والماشية وابتغاؤهم الرّزق من نحيف السَّابلة، وفي ظل الرّماح المشرَّعة، وكانت لهم في محاربة الأحياء والقبائل ومنافسة الأمم والدّول أيَّام ووقائع»[1].

وعليه فقد عرفت المملكة الزيانية في أوَّل الأمر بدولة "عبد الواد" وهي صفة خاصة بجدَّهم المتبتّل بواد هناك قصد العبادة والذكر[2].

أ- طبقات المجتمع الزياني:

لقد كان المجتمع الزياني مقسَّما إلى:

- طبقة الحكّام والأمراء.
- طبقة رجال الدين (الفقهاء، القضاة، الأئمة).
- طبقة الفرسان والجنود.
- طبقة أرباب الأقلام، حيث كانوا يعملون في الدَّواوين السلطانية.
- طبقة أصحاب الحرف والمهن والتجَّار، حيث تجتمع كل فئة في حي تسمى به؛ كحي العطارين والنجارين، ولا تزال هذه العادة موجودة في تلمسان إلى يومنا هذا.
- طبقة الفلاحين والمزارعين، وهم يمثلون أغلبية السكان.

ب- لغة المجتمع الزياني:

يرجع الفضل في تعريب سكان شمال إفريقيا إلى الفاطميين[3]، غير أنَّ هذا الدور ظل مقتصراً على المدن دون المناطق الجبلية، لكن شيئاً فشيئاً أخذ في الاتساع حتى ضعفت اللهجات المحلية، وأصبحت اللغة العربية هي اللغة الرسمية في المجتمع الزياني، حيث استعملوها في المعاملات الرَّسمية، إلا أنَّها مشوبة باللحن في الأحاديث اليومية، ولا

(1)-رابح بونار: المغرب العربي تاريخه وثقافته ، ص 159.

(2)- نوار بوحلاسة: الثغري التلمساني، رسالة ماجستير، ص 17.

(3)- المرجع نفسه، ص 18.

يزال الأميّون في تلمسان اليوم يستعملون بعض المفردات الفصيحة في أحاديثهم اليومية العادية.

جـ- عقيدة المجتمع الزياني:

لقد إهتم الزيانيون بالجانب الديني اهتماماً بالغاً كما فعل الموحدون، حيث أصبحت تعقد النَّدوات الدينية من حين لآخر، إلى جانب قصائد الشّعر الديني، أو ما يسمّى بالموليديات التي كان يعقدها "أبو حمو موسى الثاني" في كل عام احتفاء بذكرى المولد النبوي الشَّريف، ثمَّ إنَّ للتعليم وقتئذٍ دوره الفعّال في تأصيل الدّين الإسلامي، لا سيَّما التَّعليم الخاص بالزّوايا الذي يُعنى بتحفيظ القرآن الكريم، وترسيخ مبادئ الشَّريعة الإسلامية السَّمحة، وهكذا فقد تأصّل الدّين الإسلامي في نفوس الشعب، والحكَّام الزيانيين واستطاع هؤلاء أن يعيشوا بجانب أقلية من اليهود والنَّصارى، وقد كان هؤلاء يهود اسبانيا الذين فرّوا إثر قرار الطَّرد النهائي الذي سلط عليهم بعد سقوط غرناطة المسلمة سنة 801هـ[1].

أمّا النّصارى فكانوا جميعاً من التجّار يعيشون في المواني يتاجرون تحت شرف قنصل لدى العاهل الزياني.

والواقع يصعب الفصل بين الدّين والعروبة، وعزل بعضهما عن بعض، لأنّها تمثل بالنسبة للشّعب الجزائري قيماً ممتزجة يكمّل بعضها الآخر، وقد استمرَّ تداخلها في الأدب والشّعر خاصة حتى فترة متأخّرة جداً، ولعلَّ عدم الفصل بين هذه المفاهيم لا يخص الشّعر الجزائري وحده، بل ينطبق على الشعر العربي عامة في الأقطار العربية الأخرى، ولا سيما في المغرب العربي[2].

وممَّا سبق يتضح جلياً أنَّ الإسلام والعروبة قد تأصّلا في المجتمع الزياني نتيجة الاهتمام المتزايد من طرف الحكَّام والحضارات عموماً.

([1])- رشيد بورويبة وآخرون: الجزائر في العصر الإسلامي، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984، ص 490.

([2])- عبد الله ركيبي: الشعر الديني الجزائري الحديث، ط 1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1981، ص 22.

ثالثاً: الحيـاة الفكريـة والأدبيـة

لقد أصبحت تلمسان على عهد بني زيان حاضرة من أعظم حواضر العلم والفكر في العالم الإسلامي، إذ أنَّهم ساروا على خطى الموحدين الذين ساروا بدورهم على خطى الفاطميين والعباسيين، فقد شجّعوا العلوم والآداب والإبداع بمختلف أنواعه، محافظين في الوقت نفسه على قيم دينهم، كما شجعوا الفلسفة ولم يعتبروها ضدّ الدين كما فعل المرابطون وإنما جعلوا منها مساراً متوازياً مع العلم والدّين، لذلك اتسعت النَّهضة العلمية والأدبية في الجزائر وتجاوزت حدود المغرب والأندلس والمشرق، وأصبحت تستقطب المفكرين والأدباء من مختلف الجبهات في العالم، وانتشروا في حواضرها لا سيما تلمسان وخاصة المهاجرين الأندلسيين الذين فروا من بلادهم بعد استيلاء الاسبان على غرناطة سنة 1492م، فحملوا معهم علومهم وآدابهم، فكثرت حلقات التعليم والزّوايا والمدارس[1].

وبدا الاهتمام كبيراً بالتعليم، وكان ينحصر في ثلاث مراحل:

- **المرحلة الأولى**: وفيها يتعلم الطالب الكتابة والقراءة وحفظ القرآن، ويتم عادة في الزّوايا والكتاتيب والمساجد الصغيرة.
- **المرحلة الثانية**: وفيها ينتقل الطّالب لدراسة النَّحو واللَّغة والفقه والأدب قصد بلوغ مستوى ثقافي عالٍ، ومعرفة الدّين معرفة لائقة قصد الإلمام بالعلوم الاجتماعية والإنسانية.
- **المرحلة الثالثة**: بعد أن يبلغ الطّالب ذلك المستوى يدخل في مجال التَّخصّص في علم من العلوم، ويتم ذلك عادة في المساجد الكبرى ذات الشهرة الواسعة، كالجامع الأعظم بتلمسان[2].

(1)- محمد الطمار: تاريخ الأدب الجزائري، ص 108- 109.

(2)- نوار حلاسة، الشعر الزياني، رسالة ماجستير، ص 31.

أما طريقة التعليم بالإضافة إلى الطريقة التقليدية التي يستمع فيها الطلبة لما يشرحه الأستاذ من كتاب ما، بعد قراءته قراءة متأنّية، ثم يدوّنون ما يسمعون من تلك الشّروحات دون مناقشة أو أسئلة، فقد كانوا يلجأون أيضاً إلى دراسة العلوم المختلفة بواسطة المختصرات التي أشهرت في عصرهم كما كانوا يلجؤون إلى مطالعة الشّروح، وقد استحسن ابن خلدون هذه الطريقة بتلمسان وبجاية[1].

ثم إنّ تنافس الحفصيين والزيانيين والمرينيين في تقريب العلماء والأدباء وفي نشر الثقافة كان من الطبيعي أن تصبح تلمسان واحدة من أكبر حواضر العلم والثقافة والأدب بالعالم الإسلامي حينئذٍ.

ولقد تهيّأت لذلك عوامل شتَّى: منها أن ملوك الدّولة الزيانية كان أغلبهم من الأدباء والشّعراء، فبديهي أن يسعوا السعي كله لتنشيط الحركة الثقافية والأدبية فيحيطون أرباب العلم والأدب بعنايتهم الفائقة، ويغدقون عليهم العطاء الجزيل، وقد بَلَغت الحياة الأدبية ذروتها القصوى في عهد "أبي حمو موسى الثاني" الذي كان يشجّع الأدباء والشّعراء، كما كان يقرض الشّعر في مختلف الأغراض، فكانت تقام من حين لآخر المجالس العلمية والأدبية، كما كان يقام الاحتفال بالمولد النبوي الشريف كلَّ سنة، ولهذا انصرف هؤلاء الشّعراء إلى النَّظم للإشادة بعلو قدر هذه المناسبة العظيمة، فظهر عندهم غرض "المولديات" التي سيأتي الحديث عنه مفصّلاً في حينه بالإضافة إلى مختلف الأغراض؛ كمدح السلاطين ووصف تلمسان والتغني بجمالها.

كذلك نجدهم قد انصرفوا إلى شرح القصائد المشهورة (كالبردة)، كما تنافس الكتَّاب من جهة أخرى في إنشاء الرّسائل وتأليف الكتب المهمة، فقد نهضوا بالنّثر نهضة فنية وحلَّوه بخيال فسيح يلائم ذلك الجمال الإقليمي البديع، وزيَّنوه بالتشبيهات والاستعارات والعبارات الأنيقة[2].

(1)- محمد الطمار: الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج،ص 228-229.

(2)- المرجع نفسه، ص 123

بالإضافة إلى كل هذه العوامل نجد طبيعة تلمسان الفاتنة التي أثّرت في إحساس هؤلاء الشّعراء فوجدوا الأرض خصبة لمواهبهم، كما أن تلك الأحداث السياسية خاصة التي ألمّت بهذه الفترة من شأنها أن تؤثر كبير الأثر في نفوس هؤلاء الشّعراء.

ثم إنَّ هجرة الأندلسيين الذين استوطنوا الجزائر منذ القرن الخامس هجري كان لها الأثر البارز في التبادل الأدبي والثقافي، فقد حمل هؤلاء معهم أدباً وعلماً وفناً، ومن ثمّة راجت سوق الثّقافة رواجاً عظيماً، فهذه العوامل كلها شحذت قرائح أهل القريض، فجاءوا بشعر جديد في معظمه، وكتبوا القصائد السَّنية، فاستطاعوا أن يخلقوا حركة أدبية زاخرة تجلّت شعراً ونثراً، وما وصلنا من نتاجهم يؤكد ما ذهبنا إليه، حيث أصبحت تلمسان في هذا العهد قاعدة ثقافية كبرى للأمَّة الإسلامية يقصدها العلماء والأدباء من كل صوب وحدب، وقد اشتهرت بوفرة المدارس والعلماء رغم تدهورها السياسي، فبالإضافة إلى المدارس الابتدائية كان بها على الأقل خمس مدارس ثانوية وعالية، وهذه المدارس هي التي أشاد بها الرحالة المصري "عبد الباسط بن خليل"[1]، ولا بأس هنا من ذكرها:

- **المدرسة الأولى:** أسسها السلطان "أبو حمو موسى" وقد سماها مدرسة ابني الإمام.
- **المدرسة الثانية:** أسسها السلطان "أبو تاشفين"، وقد سميت بالمدرسة التاشفينية، وكانت تحفة معمارية وبقيت إلى غاية الاحتلال الفرنسي بالجزائر.
- **المدرسة الثالثة:** فقد أسسها "أبي الحسن المريني" السلطان المريني في عهد الاستيلاء المريني على تلمسان سنة 748هـ بقرية العباد.
- **المدرسة الرابعة:** فقد اسسها السلطان "أبو عنان المريني".
- **المدرسة الخامسة:** فقد أسسها "أبو حمو موسى الثاني" سماها بالمدرسة اليعقوبية سنة 765هـ.

(1)- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي من القرن (10-14هـ/ 16 إلى 20م)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص 274.

وقد كان جامع تلمسان الذي بناه "موسى بن نصير" سنة 89هـ على الحدود بين المغرب الأوسط والمغرب الأقصى يضاهي القيروان، فَعَلاَ أمر تلمسان على عهد بني زيان وتألّق نجمها خاصة في عهد "أبي حمو موسى الثاني"، فأصبحت في أيَّامه هو وخلفاؤه حاضرة من أعظم وأهم عواصم العلم والسياسة بالعالم الإسلامي قاطبة، فقد خصصت الأجور للأساتذة والمنح للطلبة تسهيلاً عليهم وتشجيعاً لهم.

ونبغ في جامعها عدد لا يشق له غبار من العلماء والأدباء والشعراء والباحثين، كما قصدها طلاب العلم من كل جهات العالم العربي[1].

(1)- محمد بن تاويت ومحمد الصادق عفيفي: الأدب المغربي، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، ط 2، بيروت، لبنان 1969، ص 78-79.

رابعاً: الحيـاة الاقتصاديـة

إن المملكة الزيانية فلاحية بطبيعة أرضها، وتجارية بطبيعة موقعها، وصناعية بطبيعة سكَّانها الأصليين، أو جاليتها الإسلامية أو الأجنبية التي استوطنتها[1]. فبالرغم من الاضطرابات والصّراعات التي اعترتها سياسياً إلا أنها عرفت ازدهاراً اقتصادياً كبيراً.

أ- في المجال الفلاحي:

نجد القمح أهم مصدر لثروة بني زيان الفلاحية، ثم إنَّ أراضيها كثيرة ومتنوعة وخصبة، كما عرفوا زراعة الزّيتون والقطن وقصب السكر والكثير من الفواكه والخضروات والبقول، ويعتبر عصر بني زيان أرقى عصور الفلاحة الجزائرية، حيث لم تبلغ الجزائر مستوى من الرّقي المادي مثل الذي بلغته في عصر بني زيان[2].

ب- أما في المجال التجاري:

فلقد احتلت تلمسان موقعاً استراتيجياً هاماً يربط المغرب الأدنى بالمغرب الأقصى من جهة، والبحر الأبيض المتوسط بالصَّحراء من جهة أخرى، حيث تلتقي عندها طرق التجارة الهامة الرابطة بين تونس من جهة والبحر الأبيض المتوسط والصَّحراء من جهة، وقد أدرك تجارها ذلك فأبعدوا التجارة عن السياسة قدر الإمكان، لذلك كانت المراسي السَّاحلية تخرج منها القوافل التجارية كوهران والجزائر ومحطَّات الصحراء نحو السودان ومن السَّواحل نحو أوربا، لذلك كانت التجارة رائجة لأهمية هذا الموقع الجغرافي، والعلاقات التجارية قوية مع المغرب والأندلس؛ فقد كانت تستورد وتصدّر السلع والبضائع إلى ما وراء الصحراء، ولم تقتصر حركة التجار على جهة الصَّحراء فحسب، بل تعدّتها إلى الأسواق الأوربية قاصدة الأندلس ومرسيلية وموانئ إيطاليا[3].

وبفضل هذا التبادل التجاري تتلاقح عادات الشعوب المختلفة وتنمو حضاراتها، فكما تنتقل البضائع والسّلع من بلد إلى آخر، تنتقل الأفكار والمعتقدات والمذاهب وتتفاعل، ولذا كانت التجارة منذ أقدم العصور سبيلاً واسعاً منتجاً من سبل تبادل الحضارات العالمية.

([1])- رابح بو نار: المغرب العربي، تاريخه وثقافته، ص 285.

([2])- المرجع نفسه، ص 384.

([3])- محمد الطمار: الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، ص 237.

وقد اشتهر تجار تلمسان بالسّلوكات الحسنة والمعاملات الطيبة، وفي هذا الصَّدد يقول يحي بن خلدون: «ناس أخيار أولو حياء ووقار ووفاء بالعهد، وعفاف ودين، واقتصاد في المعاش واللباس والسَّكن على هدي السلف الصَّالح رضي الله عنه»[1].

جـ- أما في المجال الصناعي:

فلقد نشأ عن الازدهار التجاري والاقتصادي عموماً ازدهار الصناعات والحرف الحرَّة، فتعدّدت بذلك الأسواق والمحلاَّت الكبرى، وأهم المصنوعات؛ كانت مصنوعات الصّوف والحرير، وقد ذكر "رابح بونار" بعض الصّناعات التي عرفتها تلمسان أثناء الحكم الزياني، وهي: النّجارة، الحدادة، الخزافة وغيرها.

ومّما يدل على تقدّم الصّناعة المنجانة[2] التي اخترعها "علي بن الفحَّام التلمساني" وقد وصفها يحي بن خلدون بقوله: «...وخزانة المنجانة ذات تماثيل اللجين المحكمة قائمة المصنع تجاهه بأعلاها أيكة تحمل طائراً فرخاه تحت جناحيه، ويخاتله فيها أرقم خارجٌ من كوّة بجدار الأيكة صعِداً، وبصدرها أبواب مجوَّفة عدد ساعات الليل الزمانية يصاقب طرفيها بابان مجوَّفان أطول من الأولى وأعرض، فوق جميعها ودُوَيْنَ رأس الخزانة قمرٌ أكملٌ يسير على خط استواء سير نظيره في الفلك، ويُسامتُ أوَّل كل ساعة بابها المرتجُّ، فينتقضُّ من البابين الكبيرين عقابان يضيء كل واحد منهما صنجة صفر يلقيها إلى طستٍ من الصِّفرِ مجوَّف بوسطهِ ثقبٌ، يفضي بها إلى داخل الخزانة، فيرنُّ وينهش الأرقم أحد الفرخين فيصفِّر له أبوه، فهنالك يفتح باب الساعة الرَّاهنة، وتبرز منه جارية محترمة كأظرف ما أنت راءٍ، يمناها إذبارةٌ فيها اسم ساعتها منظوماً ويسراها موضوعة على فيها كالمبايعة بالخلافة لأمير المؤمنين أيده الله»[3]

(1)- يحي بن خلدون: بغية الرواد، ج 1، ص 92.

(2)– المنجانة : هنا تعني الساعة.

(3)- يحي بن خلدون، بغية الرواد، ج 2، ص 40-41.

د- **أما النشاط المعماري:**

فقد شهد اهتماماً كبيراً كباقي المجالات المتقدّمة من لدن السَّلاطين الزيانيين، فقد تنافس أصحاب الثراء في إنشاء القصور والبنايات الفخمة، ولذلك راح السلطان "أبو حمو موسى الثانيّ يستقدم مهرةَ البنَّائين من الأندلس لهذا الغرض، غير أنَّ الحروب التي تعرّضت لها المنطقة أتت على جل تلك البنايات وذهبت بها، وتحدّث عبد الرحمن بن خلدون عن الحركة العمرانية في هذه الفترة بقوله: «وقد كانت قصور الملك بتلمسان لا يعبَّر عن حسنها، اختطّها "أبو حمو الأول" وابنه "أبو تاشفين" واستدعيا الصّنَّاع والفعلة من الأندلس، فبعث إليهما "أبو الوليد بن الأحمر" بمهرة البنـَّائين استجادُوا لهم القصور والمنازل والبساتين بما أعيا الناس بعدهم أن يأتوا بمثله»[1].

فالأسرى الأوربيين وصنـَّاع الأندلس الذين سبق الحديث عنهم تعاونوا على أن تكون تلمسان آية من آيات الفن الرائع، فبنيت القصور والمساجد والمدارس، فرواج التجارة كان عاملاً مهماً في ذلك فدرَّ الأمراء والسَّلاطين الأموال الطَّائلة لهؤلاء الصنَّاع وأغدقوا العطاء لرجال السَّيف والقلم، فأصبحت تلمسان ببناياتها وحدائقها أشبه باشبيلية وغرناطة.

وتلخيصاً لما تقدَّم يقول ابن خلدون: «ولم يزل عمران تلمسان يتزايد وخطَّتها تتَّسع والصُّروح بها بالآجر والقرميد تعلا وتشاد إلى أن نزلها آل زيان واتّخذوها داراً لملكهم وكرسياً لسلطانهم، فاختطُّوا بها القصور الموثقة والمنازل الحافلة، واغترسوا الرّياض والبساتين، وأجروا خلالها المياه فأصبحت أعظم أمصار المغرب، ورحل إليها النَّاس من القاصية، ونفقت بها أسواق العلوم والصَّنائع، فنشأ بها العلماء واشتهر فيها الأعلام وضاهت أمصار الدّول الإسلامية والقواعد الخلافية[2].

أ- اسمه ونسبه:

(1)- مبارك الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج 2، مكتبة النهضة، الجزائر، 1963، ص 379.

(2)- عبد الرحمن بن خلدون: كتاب العبر، ج 7، ص 161.

لقد جاء الحديث عن شخصية الثغري التلمساني في أغلب الكتب القديمة والحديثة التي اهتمت بتاريخ الدَّولة الزيانية[1] ، ولكن كل هذه الكتب لا تذكر عن حياة هذه الشخصية إلا النزر القليل.

وقد ترددت فقرات قصيرة ومتشابهة في أغلبها لا تتعدى الثلاث أو الأربع أسطر تذكر اسمه وبعض الصفات العلمية والأدبية التي تمتع بها هذا الشَّاعر المغمور، فيما يخص ترجمة حياته.

وسوف نحاول الحديث عن حياة هذا الشَّاعر الزياني من خلال زبدة تلك الكتب التي استنتجناها عند قراءتنا لها.

فهو أبو عبد الله محمد بن يوسف القيسي المعروف بالثغري وأحيانا الأندلسي،عالم وأديب وشاعر ،من أشهر علماء تلمسان وبلغائها المبرزين المتقدّمين لدى سلاطين بني زيان[2].

وقد عرف أحيانا بالقيسي وهي نسبة إلى القبيلة العربية المعروفة في الجاهلية"قيس"[3]

وأما الثغري فهو الاسم الذي غلب عليه في جل المصادر التاريخية والأدبية، ويبدو أنَّه لقّب بالثغري يرجع إلى كثرة ورود هذه الكلمة في شعره كقوله:

تَهَلَّلَ وَجْهُ الأرْضِ وابْتَسَمَ الزَهْرُ وغَارَتْ فِي أفْقِهَا الأنْجُمُ الزُهْرُ

وضَاحَكَتْ الأرْضُ السَمَاْءَ مَسَرَّةً وقَابَلَهَا فِي كُلِّ رَيْحَانِةٍ ثَغْرُ[4]

وقوله أيضا :

(1)- نفح الطيب للمقري، ج 7، ص170/نظم الدر والعقيان للتنسي، ص168-178/ البستان لابن مريم، ص122-123/ تاريخ الجزائر العام لعبد الرحمن للجلالي ج2 ، ص216-217/ بغية الرواد ليحي بن خلدون ص87-89 وغيرها.

(2)- الربعي بن سلامة وآخرون: موسوعة الشعر الجزائري، ج 1، ط 1، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2002، ص201.

(3)- نوار بوحلاسة: الثغري التلمساني، رسالة ماجستير، ص53.

(4)- محمد الطمار :تاريخ الأدب الجزائري، ص 263.

لَــوْلاَ هَــوَى ذَاتِ الجِنَــابِ السَــامِي ماشِــمْتُ ثَغْــرَ البَــارِقِ البَسَّــامِ[1]

وقوله أيضا:

تَاهَــتْ تِلِمْســانُ بِحُسْــنِ شَــبَابِهَا وبَــدَا طِــرَازُ الحُسْــنِ فِــي جِلْبَابِهَــا

فالبُشْــرُ يَبْــدُو مِــنْ حُبَــابِ ثَغُورِهَــا مُبْتَسِــمًا أوْ مِــنْ ثَغُــورِ حُبَابِهَــا[2]

أما فيما يخص اسم الثغري من الناحية التاريخية، فقد جاء في كتاب نهاية الأندلس لعبد الله عنان قوله: «إننا لم نعثر في الرواية الإسلامية على أية إشارة تلقي ضوءا على أصل بني الثغري وهم الذين يسمون في الرواية النصرانية (segria). ويقول المستشرق الإسباني "جاينجوس" مترجم نفخ الطيب: «إنَّ التسمية الفرنجية هي تحريف لكلمة الثغريين وهم الذين نزحوا من أراجون أو الثغر الأعلى "مملكة سرقسطة"إلى غرناطة بعد سقوطها في يد النصارى»».

على أنَّ هذا التعليل لا يكشف لنا لقب هذه الأسرة الغرناطية الحقيقي، وإنما ينصرف إلى الصّفة والشهرة ،وهناك ما يدل على أنَّ آل الثغري كانوا من البربر ومن قبيلة غمارة[3].

وعليه فهذا الأمر يبقى متردّدٌ فيه لعدم وجود دليل قاطع على ما ذهب إليه "عبد الله عنان".

ب- مولده ونشأته:

أمَّا مولده فالأرجح أنه ولد بتلمسان، رغم أن الكتب المتوفرة لدينا لا تذكر ذلك صراحة، وإنَّما دليلنا في ذلك هو اسمه الذي تكرر في معظمها "التلمساني"، وأمَّا سنة مولده فهي أكثر غموضا، حيث أنَّ كل المصادر ضربت صفحا عن ذكرها، غير أنَّ

قصائده التي وجدناها مؤرخة في النّصف الثاني من القرن الثامن هجري تؤكَّد أنَّ الشاعر الثغري قد عاش في هذه الفترة، ثم إنَّه كان كاتبا لدى السّلطان "أبي حمو موسى

(1)- يحي بن خلدون: بقية الرواد، ج2، ص210.

(2)- المقر:ي نفح الطيب، م5،ج9، ص331.

(3)-نوار بوحلاسة، الثغري التلمساني رسالة ماجستير، نقلا عن محمد عبد الله عنان، نهاية الأندلس، ص 166 .

الثاني"، الذي حكم بين سنتي (760-791هـ) ممَّا يفيد أنَّ حياة الشَّاعر قد امتدت إلى أواخر القرن الثامن هجري، فتعيينه كاتبا كما قلنا يمكن أن يفيدنا بأنَّه أتم تحصيله العلمي، وأصبح بارزا في ميدان الكتابة قبل سنة 760هـ، واعتمادا على هذا يمكننا أن نستنتج أنَّ ولادته كانت بين العقدين الثاني والثالث من القرن الثامن الهجري[1].

أمَّا عن نشأته فمن الواضح أنَّه نشأ في تلمسان، فقد تغنَّى بها في أغلب شعره، وقد قال عنه "محمد الطمار" أنه: يكلف بوطنه تلمسان، فيتغنى بسحرها ويمجّد جمالها وهي البلد الذي نشأ فيه والموطن الذي أحبه[2].

ومن تغزله بموطنه قوله:

كُلُ حُسْنٍ عَلَى تِلِمْسَانَ وَقَفٌ وَخُصُوصًا عَلَى رُبَا العِبَّادِ
ضَحِكَ النُور فِي رَبَاهَا وارْبَى لهُ ضِحَاكِهَا عَلَى كُلِ نَادٍ
وسَمَا تَاجُهَا عَلَى كُلِّ تَاجٍ وَسَطَا فَيْضُهَا عَلَى كُلِ وَادٍ
بَدَعَ غيْرُهَا الجَمَالَ فَيَقْضِي حُسْنُهَا أنَّ تِلْكَ دَعْوَى زِيَّادِ
وبِشِعْرِي فَهِمْتُ مَعْنَى عُلاَهَا مِنْ حُلاَهَا فَهِمْتُ فِي كُلِ وَادِ[3]

ويقول في قصيدة أخرى:

تَاهَتْ تِلِمْسَانُ بِحُسْنِ شَبَابِهَا وبَدَا طِرَازُ الحُسْنِ فِي جِلْبَابِهَا
فالبُشْرُ يَبْدُو مِنْ حُبَابِ ثَغُورِهَا مُبْتَسِمًا أوْ مِنْ ثَغُورِ حُبَابِهَا[4]

ويقول في قصيدة أخرى:

أيُهَا الحَافِظُونَ عَهْدَ الوِدَادِ جَدِّدُوا أنْسُنَا بِبَابِ الجِيَّادِ

(1)- الربعي بن سلامة وآخرون: موسوعة الشعر الجزائري، ص201.

(2)- محمد الطمار: تاريخ الأدب الجزائري، ص183.

(3)- المقري: نفح الطيب، م5، ج9، ص328.

(4)- المرجع السابق، ص331.

وَصُـــــولُهَا أصَـــــائِلاً بِلَيَـــــالِ كلآلِـــئِ نُضِـــمَنَ فِـــي الأجْيَـــادِ
فِـــي رِيَّـــاضٍ مُنْضَـــدَاتِ المَجَـــانِي بَـــيْنَ تِلْـــكَ الرُبَـــى وتِلْـــكَ الوِهَـــادِ
وبُـــــروجٌ مُشَـــــيَدَاتُ المَبَـــــانِي أدِيَـــاتِ السَّـــنَا كَشَـــهْبٍ بِـــوَادِ[1]

جـ- تعلّمه وشيوخه وتدريسه :

من خلال قصائده يبدو أن الثغري قد درس القرآن الكريم، وتفَّقه في أمور الدين حيث كان التعليم منتشرا في شتى المدن والقرى سواء في المدارس أو الزوايا أو المساجد، كما بيَّن ذلك ابن خلدون، ضف إلى ذلك أنَّ عناية الملوك الزيانيين بالعلم كانت كبيرة جدًا ومشجعة إلى حد بعيد، بداية "بيغمراسن بن زيان" المؤسس الأول لهذه الدولة، ثم إنَّ تلقين شاعرنا بالعالم والكاتب والإمام يؤكد ما نذهب إليه.

ولم يقتصر تعلّمه على العلوم الدينية فقط، بل تعدَّاها إلى الهندسة والرياضيات والجبر، وذلك استنتاجا من حديث المجاري، أحد طلبته حيث قال: « ....ومنهم الشَّيخ الفقيه العددي الفرضي الكاتب البارع أبو عبد الله محمد الشهير بالثغري، قرأت عليه كتاب "أوقليدس" في الهندسة من أوَّله إلى نصف العاشرة منه، بلفظي تصوّراً، وسمعت بقراءة غيره تلخيص "ابن البنَّاء" وكتاب الجبر والمقابلة "لابن الياسمين" تصورا وعملا»[2]

وأما عن شيوخه فالمصادر لا تذكر إلا شيخه الإمام "الشريف التلمساني"[3]، وقد وصفه ابن خلدون بقوله: «الإمام العالم الفذُّ، فارس المعقول والمنقول وصاحب الفروع والأصول»[4]

أمَّا إذا أردنا أن نتكلم عن الثغري الأستاذ، فالأمر يبدأ بعد مرحلة التّعلم والتَّحصيل، فقد كان الطلبة يرحلون من الأندلس والمشرق العربي للتتلمذ على يده، لما بلغهم من علمه وسعة إطلاعه، وكان من أشهر طلبته الإمام "أبو عبد الله محمد المجاري"[1].

([1])- الربعي بن سلامة وآخرون: موسوعة الشعر الجزائري، ص202.

([2])- أبو عبد الله محمد المجاري: برنامج المجاري، ص40-42، نقلا عن الثغري التلمساني رسالة ماجستير من إعداد نوار بوحلاسة.

([3])- الإمام الشريف التلمساني (710-771هـ).

([4])- عبد الرحمان بن خلدون :التعريف بإبن خلدون، ص64.

وعليه يمكن القول دون شك أو تردّد إن ثقافة الثغري كانت واسعة ومتنوعة، إذ كان يدرس -كما بينا سابقا- العلوم الدينية واللغوية والرياضية في ذلك العصر، ويدرّسها بدوره.

د- الثغري في بلاط أبي حمو الثاني:

يكاد يكون ارتباط الثغري بالسّلطان "أبي حمو موسى الثاني" كارتباط المتنبي بسيف الدولة، فقد أولى هذا السلطان عناية خاصة بالشعر والعلم وأهليهما، فقد أكثر من إنشاء دور العلم والزوايا والكتاتيب حتى أصبحت تلمسان مركزا ثقافيا وأدبيا هامًا يقصده الشعراء والعلماء والطلبة من كل جهات العالم العربي، فحظي الشّعر بتنافس حاد بين هؤلاء الشّعراء في بلاط هذا الأمير الشاعر، كجميع ملوك المغرب، فكان شاعره الثغري ينظم القصائد الطّوال بمناسبة الاحتفاء بهذه الليلة المباركة ويلقيها بنفسه[2]، فقد حظي عنده بمكانة مرموقة كتلك التي حظي بها المتنبي عند الأمير "الحمداني" فقد عمل عنده كاتب للدولة وشاهد في بيت المال. فأكثر من مدح السلطان "أبي حمو"، وأشاد بكرمه ونبله وشجاعته وعمله وظلَّ كذلك طيلة حياته، ومن أجلَّ قصائده التي قالها في مدح هذا السلطان:

تَاهَتْ تِلِمْسَانُ بِحُسْنِ شَبَابِهَا وبَدَا طِرَازُ الحُسْنِ فِي جِلْبَابِهَا
فالبُشْرُ يَبْدُو مِنْ حُبَابِ ثَغُورِهَا مُبْتَسِمًا أوْ مِنْ ثَغُورِ حُبَابِهَا
حَسُنَتْ بِحُسْنِ مَلِيكِهَا المَولَى أبِي حَمُو الذِي يَحْمِي حِمَى أرْبَابِهَا
مَلِكٌ شَمَائِلُهُ كَزَهْرِ رِيَاضُهَا ونَدَاهُ فَاضَ بِهَا كَفَيْضِ عُبَابِهَا
أعْلَى المُلُوكَ الصَيْدُ أعْلامُهَا وأجَلَّهَا مِنْ صَفْوَةٍ وَلِبَابُهَا[3]

ومن مرثياته القصيدة التي رثى بها والد موسى أبو حمو يقول فيها:

المَرْءُ فِي الدُّنْيَا رَهَيّنٌ خَطُوبِ والدَّهْرُ أفْصَحَ مِنْ خِطَابِ خَطيبِ
مَنْ صَاَحَب الدُّنْيَا الدَنِيّة لَمْ تَزَلْ تَأتِيِهِ بِالمَكْرُوهِ فِي المَحْبُوبِ
ومُؤَمِلُ الأيَّامِ لَيْسَ بِحَامِلِ الأعْلَى أمَلٌ بِهَا مَكْذُوبِ

([1])- هو عبد الله محمد بن علي بن عبد الواحد المجاري الأندلسي ولد في النصف الثاني من القرن الثامن وتوفي سنة862هـ .

([2])- محمد الطمار : الأدب الجزائري، ص177 .

([3])- المرجع السابق ، ص 181-182 .

دُنْيَايَ مِثْلُ الحُلْمِ مِنْ تجْرِيبِ ولِغَايَةٍ مَجْهُولَةٍ تَجْرِي بِي[1]

فالثغري لازم بلاط هذا الأمير وظلَّ مخلصاً له، يمدحه في كل مناسبة ويعلي من شأنه، وبالمقابل كان أبو حمو كريما معه يشجعه ويغدق له العطاء الجزيل.

هـ- وفاتـه:

أمَّا بالنسبة لتاريخ وفاته فهو مختلف فيه كذلك، فبعض المصادر تشير إلى أنَّ وفاته كانت مع بداية القرن التاسع[2]، ومنها ما يؤكد أنه توفي في نهاية القرن الثامن هجري[3]، كما نجد مصادر أخرى تؤكد جهلها التام بتاريخ وفاته، ومن هؤلاء "ابن مريم" الذي يذهب في قوله: «الشَّيخ الفقيه الإمام العلامة الأديب الأريب "أبي عبد الله" آخذا عن الإمام "الشريف التلمساني" وغيره ولم أقف على تاريخ وفاته انتهى» [4].

إلا أنَّه ممَّا لا شك فيه أن الثغري التلمساني قد عاش في النصف الثاني من القرن الثامن الهجري، وممـاً يؤكّد ذلك قصائده التي كتبها في عهد أبي حمو موسى الثاني، "وأبي تاشفين"، و"أبي زيان"، حيث تبدأ من سنة 760هـ، وتنتهي سنة801هـ، وهي السنة التي انتهت فيها المرحلة الأولى من عهد بني زيان.

و- آثاره :

لم نعثر إلاَّ على سبعة عشر قصيدة تحتوي على ما يقرب ألف بيت، تدور معظمها حول أغراض مختلفة، كالفخر والمدح والمولديات، وقد قيل معظمها في مناسبة الاحتفاء بالمولد النبوي الشريف في عهد "أبي حمو موسى الثاني" وابنيه "أبي تاشفين" و"أبي زيان".

([1])- المرجع السابق، ص183-184.

([2])- عبد الحميد حاجبات: أبو حمو موسى الثاني، حياته وأثاره، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر 1974، ص173.

([3])- عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ط 1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974، ص92 .

([4])- ابن مريم : البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، تحقيق محمد بن أبي شنب، نشره عبد الرحمان طالب، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986، ص 222- 223.

وقد كان شعر الثغري صورة للبيئة الاجتماعية الأدبية التي نشأ فيها، وعاش في ظلالها[1]، وقد وُصف شعره بأنَّه جيد في أغلبه، فيه مسحة جمالية وخيال واسع، لا سيما عندما يتغنَّى بتلمسان، فيستخدم الطبيعة سبيلا إلى ممدوحه، وشأنه في ذلك شأن الأندلسيين، وذلك لأنَّ بلاده الجميلة الفتانة أثَّرت فيه، فامتلكت قلبه وجوارحه كتأثير الأندلس في شعراءها وأدبائها.[2]

أمَّا فيما يخص النَّثر والتأليف، فلم نعثر للثغري على أيٍّ منها على خلاف معاصريه، كيحي بن خلدون صاحب "بغية الرواد" و"أبو حمو موسى الثاني" صاحب كاتب "واسطة السلوك في سياسة الملوك" فكلُّ المصادر القديمة التي أرخت لتاريخ دولة بني زيان أغفلت هذا الجانب تماما فلم يشر أي منها لهذا الأمر.

ز- منزلته الأدبية والعلمية:

لا شكَّ في أنَّ للثغري مكانة أدبية وعلمية هامة بين معاصريه، وذلك راجح لسببين اثنين؛ أولهما نعته في المصادر القديمة بالإمام الشاعر والكاتب وأحيانا بالفقيه والشيخ والعلاَّمة وهي ألقاب وصفات لم تأت من قبيل الصُّدفة لو لم يصل الثغري إلى تلك المراتب وصولا يكفل له أن يلقب بها.

وثانيهما، تمسّك السلطان الزياني "أبو حمو موسى الثاني" به واهتمامه البالغ برعايته وحرصه الشَّديد على بقائه في بلاطه طيلة مدَّة حكمه.

كل ذلك يدل دلالة قاطعة على أنَّ الثغري قد تمتع بمكانة مرموقة بين معاصريه ،حيث أتقن الأدب ورُزق حظا وافرا من الشعر فبرز فيه[3].

ثمَّ إنَّ الأوصاف المتقدّمة تدل على أنَّ للرَّجل مكانة عالية بين معاصريه من الشّعراء والعلماء أمثال: "يحي بن خلدون"، "لسان الدين بن الخطيب"، والشّاعر "الطَّيب أبو جمعة التلاليسي"، و"عبد الرحمن بن خلدون"، و"ابن مرزوق الخطيب".

وهكذا يظهر لنا بوضوح أنَّ الثَّغري إلى جانب إلمامه الواسع بالحديث والفقه نجده يهتم والعلوم العقلية الأخرى؛ كالهندسة والرياضيات، ثمَّ ميله الواضح إلى الأدب ونظم

(1)- محمد الطمار: تاريخ الأدب الجزائري ص177.

(2)- المرجع نفسه ص183.

(3)- محمد الطمار: تاريخ الأدب الجزائري، ص177.

الشّعر، وهذا دليل واضح على مكانة الثغري الأدبية والعلمية في تلك الفترة من حياة تلمسان الثقافية والفكرية.

أولا: المعجم (اللفظ والمعنى)

نشأت قضية اللفظ والمعنى، حين تساءل أهل العلم عن إعجاز القرآن؛ أهو معجز بلفظه أم بمعناه؟ أم بهما معا ًً؟ بحيث وقف العرب وهم أرباب الفصاحة والبلاغة مندهشين أمام روعة بيانه، ولم يجدوا سبيلاً للمقاومة والمجيء بمثله، فوقفوا عاجزين عن مجاراته، وأيقنوا أنَّه كلام إلهي لا يدرك سرَّه ولا يُعلَمُ كُنهَهُ، ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

بعد ذلك انتقل هذا التَّساؤل إلى ميدان الأدب بحثاً عن جوهره وماهيته، وخصَّ البحث الشّعر قبل النَّثر، نظراً لأنَّ معظم أدبهم إنَّما كان شعراً، وقد انقسم علماء اللّغة والأدب والبلاغة في هذا الموضوع، كما قسّموا الشّعراء بحسب موقفهم، فكانوا مذاهب شتَّى.

1. مواقف النقاد في قضية اللّفظ والمعنى:

أ- موقف الجاحظ :

إنَّ أوَّل مفكّرٍ عربي نقف في تراثه على نظرية متكاملة تقدر أن الكلام، وهو المظهر العملي لوجود اللّغة المجرَّدة، يُنجز بالضَّرورة في سياق خاص يجب أن تراعى فيه بالإضافة إلى النّاحية اللّغوية المحضة جملة من العوامل الأخرى للعناصر غير اللّغوية؛ كالسّامع والمقام، وكل ما يقوم بين هذه العناصر غير اللغوية Extra linguistique[1]

فقد قرَّر هذا النّاقد أنَّ «المعاني مطروحة في الطَّريق يعرفها العجمي والعربي والقروي والبدوي، وإنَّما الشَّأن في إقامة الوزن وتخيُّر اللّفظ وسهولة المخرج، وفي صحّة الطّبع وجودة السّبك، فإنَّما الشّعر صناعة وضرب من النسج وجنس من التصوير»[2].

فلا يكون اللَّفظ اسما دالاً وهو مُضمَّنٌ بمعنى، وقد يكون المعنى ولا اسم له ولا يكون اسم إلا وله معنى[1].

---

[1]- صمود حمادي: التفكير البلاغي عند العرب، أسسه وتطوره إلى القرن السادس، منشورات الجامعة التونسية، السلسلة السادسة، الفلسفة والآداب، مجلد العدد 21، تونس 1981، ص 185.

[2]- الجاحظ: البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام محمد هارون، لجنة التاليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1948، 1961، ص 92-93.

من هنا يبدو أنَّ الجاحظ من النّقاد الذين يقدّمون اللّفظ على المعنى، لكن هذا التَّمييز بينهما لم يمنع من ائتلافهما وتطابقهما عنده في مستويات شتَّى، منطلقها أساسٌ وجودي، إن صحَّ هذا الوصف يقوم على مقابلة المعنى واللّفظ بالرّوح والجسد[2].

إذ أنَّ الأسماء في معنى الأبدان والمعاني في معنى الأرواح –اللَّفظ للمعنى بدنٌ والمعنى للَّفظ روحٌ [3]

إنَّ تقديم الجاحظ للَّفظ تارة ومطابقته بين اللَّفظ والمعنى تارة أخرى، لا يوحي يتذبذب آرائه النقدية أو تناقض في حكمه، إذا حَمَلنا المعنى على أنَّه المقصود بالصّياغة أو المادَّة الأوَّلية حسب مقتضى آرائه البلاغية والنَّقدية، حيث يرى أنَّ هذه الصّياغة هي التي تفرد عبقرية الشّاعر.

ب- موقف عبد القاهر الجرجاني:

أُعتبر هذا النَّاقد أنَّ قيمة الأدب تكمن في معانيه لا في ألفاظه، وحدّد موقفه في قوله «إذا ظَفَرْتَ بالمعْنَى فاللَّفظُ معَكَ وإزاء نظَرَك»[4]

من هنا يتّضح الأمر إذاً اتّضاحاً لا يدعُ للشَّك مجالاً أنَّ الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجرّدة، ولا من حيث هي كلم مُفْرَدةٌ، وأنَّ الألفاظ تُبثُّ لها الفضيلة، وخلافها في ملائمة معنى اللَّفظة لمعنى التي تليها، أو ما شابه ذلك ممَّا لا تُعلَّق له بصريح اللّفظ دونها، يشهد لذلك أنَّك ترى الكلمة تروقك وتؤنسك في موضع، ثمَّ تراها بعينها تثقل عليك، وتوحشك في موضع آخر[5].

---

(1)- الجاحظ: رسائل الجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، (بدون نص)، مكتبة الخارجي، القاهرة، 964-1965، ص 262.

(2)- لخضر الجمعي: الائتلاف بين اللفظ والمعنى عند نقاد العرب القدامى، رسالة ماجستير، ص 283.

(3)- الجاحظ: وسائل الجاحظ، ص 100.

(4)- عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، تحقيق السيد محمد رشيد رضا، دار المعرفة للطباعة والنّشر، بيروت، 1398هـ، 1978م، ص 38.

(5)- المرجع نفسه، ص 38.

وما دامت البلاغة عالقة بالمعنى وكلُّ وصفٍ للَّفظ بالمزية إنَّما يكون تبعاً لموقعه في سياق دال، أمكن اعتبار ثبات الصّورة اللَّفظية الدّالّة، وثراء وتنوّع المعنى دليلاً أسلوبياً آخر يؤكّد سبق المعنى وأوليته[1].

ذلك أنَّه لو كانت المعاني تكون للألفاظ في تركيبها لكان مُحالاً أن تتغيَّر المعاني، والألفاظ بحالها لم تزل من ترتيبها، فلماَ رأينا المعاني قد جاز فيها التغيير من غير أن تتغير وتزول عن أماكنها، علمْنَا أنَّ الألفاظ التابعة والمعاني هي المتبوعة[2].

من هنا تكون العلاقة بينهما علاقة الوعاء بالشيء المـوُعى «فالألفاظ أوعية للمعاني»[3].

وعليه فاللّفظ عند عبد القاهر الجرجاني ليست له أهمية أكثر من اعتباره حاملا للمعنى.

جـ- موقف حازم القرطاجني:

أمَّا القرطاجنّي فيُقدّم في مستوى التّمييز بين المعنى واللَّفظ فهمًا بسيطا، لا يعدو أن يكون اجتراراً لمفاهيم شائعة، لا سيما مفهوم الجرجاني، فهو الآخر يعتبر اللَّفظ وعاءً الشيء المُحتوى؛ إذ يصف رغبة الشّعراء في رسم صورة لأحبابهم المقيمين في بيوت الشَّعر، حيث يقصدون في الأقاويل التي يدعونها المعاني المخيلة لأحبابهم المقيمة في الأذهان صُوراً هي أمثلة لهم ولأحوالهم... ويكون ما بين المعنى والقول من الملابسة مثلما كان بين السّاكن والمسكن[4].

فالمعاني هي الصّورة الحاصلة في الأذهان عن الأشياء الموجودة في الأعيان، فكل شيء له وجود خارج الذّهن فإنَّه إذا أدرك حصلت له صورة في الذهن تُطابق لما أدرك منه، فإذا عبَّر عن تلك الصّورة الذهنية الحاصلة عن الإدراك أقام اللَّفظ المُعبَّر به هيئة تلك

---

(1)- لخضر جمعي: ائتلاف اللفظ والمعنى عند نقاد العرب القدامى، بحث مقدم لنيل درجة دكتوراه دولة في النقد، نوقشت بجامعة الجزائر 1995م، ص 228.

(2)- عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 285، يُنظر أيضاً 283-284.

(3)- المرجع نفسه، ص 43.

(4)- حازم القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص 249-250.

الصّورة الذهنيـة فـي إفهـام السّـامعين وأذهـانهم، فصـار للمعنـى وُجـود آخـر مـن جهـة دلالـة الألفاظ[1]. فهو يميَّز بين المعنى واللَّفظ ويُقرُّ بفضل الأول عن الثَّاني.

د- موقـف ابن رشيـق:

يرى إحسان عباس أنَّ أغلب نقَّـاد القرن الخـامس الهجـري، يميلـون إلـى التّوفيـق بـين اللّفظ والمعنـى[2]، ومـن بينـهم ابـن رشـيق الـذي استمرّ علـى رأيـه الـدّاعي إلـى تطـابق اللّفظ والمعنـى، فهـو يـري أنَّ «اللَّفـظُ جسمٌ روحُـهُ المعْنَـى وارْتِباطُـهُ بـه كارتِبـاطِ الـرُّوحِ بالجسمِ يضْعُفُ بضعْفِهِ ويقوى بِقُوَّتِهِ، فإذا سلِمَ المعنىَ واختلَّ بعضُ اللّفظِ كـان نقْصـاً للشّـعْر وهُجْنـة عليه، كما يعرض لبعض الأجسام من العرج والشّلل والعور، ومـا شـابه ذلك، مـن غيـر أن تذهب الرّوح، وكذلك إنَ ضعف المعنى واختلَّ بعضه كان اللّفظ من ذلك أوفر حظـا، كالـذي يعرض الأجسام من المرض بمرض الأرواح»[3].

فهذه المقولة تعالج علاقـة اللَّفظ بـالمعنى، وتبيّن أنهـا علاقـة تـلازم لا يصـلح أحدهما بـدون الآخـر، تمامـاً كـالروح والجسد، كمـا تقوم هذه الصّـلة أو العلاقـة بينهمـا علـى التسليم المتبادل ضعفا وقوَّة[4].

فإذا حملناهما هذا المحمل وجداناهما يشكلان معاً اللّغة الشعرية التـي لا يقوم الشّـعر إلا بها، والمتأمّل في نشأتها يدرك أنَّها الظّاهرة الأولى في كل عمل فنـي يستخدم الكلمـة أداة للتعبير، فهي أول شيء يصادفنا، وهي النّافذة التي من خلالها تننسم، وقد عرف الإنسان العـالم أول مـرة يـوم أن عـرف اللّغـة، وهـو لـم يـدرك السّـحر إلا يـوم أدرك قـوة الكلمـة، ولـم يعرف الشّعر إلا يوم أدرك قوة السحر[5].

---

[1]- المرجع السابق، ص 19.

[2]- إحسان عباس: تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ط 3، دار الثقافة، بيروت، 1981، ص 370.

[3]- ابن رشيق: العمدة، ص 124.

[4]- المرجع نفسه، ص 124.

[5]- عز الدين إسماعيل: الشعر العربي المعاصر. قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، ط 3، دار الفكر العربي، القاهرة 1963، ص 174.

ومنـه فقد تـيقّن بعض البـاحثين فـي نشـأة اللّغـة وتطوّرهـا أنَّ اللّغـة والسّـحر والشّـعر ظـواهر مترادفـة ومتسـاندة فـي حيـاة الإنسـان، ارتبطـت ببعضـها منـذ النشـأة الأولـى ارتباطـاً وثيقاً[1].

ولمَّا كانت اللُّغة هي العنصر الأساسي الذي تُبنَى عليه أيُّ قصـيدة شـعريّة، بحيـث لا يمكن لأيِّ شاعر أن تتجسّد تجربته الشّـعرية بعيداً عـن المعجـم، أي الألفـاظ والمعـاني، ومـن هنا فقد كان لكلِّ معجمهُ الذي يُميّزُهُ، وتحصـيل حاصـل هذا يجعل تجربـة الثغري الشّـعرية التي نحـن بصـدد دراسـتها تخضـع لهذا التعامـل، فقد وجدنا معجمـه يحمـل ثـلاث مستويات ماثلة في مولدياتـه وهـي: المستوى الإسـلامي، والجـاهلي والغزلـي، وللتَّوضـيح أكثـر حاولنـا تمثيل ذلك في الجدول التالي:

[1]- السعيد الورقي: لغة الشعر العربي الحديث. مقوماتها الفنية وطاقاتها الإبداعية، ط 3، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1984 ، ص 62.

المعجـم	المستـوى	الشّاهـد
الفلـى	جاهـلي	إلى عَرفَات يمّمو فَتعَرَّفتْ بِهِمْ نَكَرَاتٌ للفِلى ومَجاهِلُ
الرَّبْع، الجزعُ، السّقيا	جاهـلي	سَقَى رَبْعَهُمْ بالجَزَعِ منْهَلْ الحَيَا فإنْ لَمْ يُصبْهُ مِنْهُ طلٌّ فوَابِلُ
الغمام، والكف	جاهـلي	ومَالِي أسْتسْقِي الغَمَامَ لِرَبْعِهِم ووَاكِفُ دَمْعي للغَمامِ مَساجِلُ
مسرح، غزلان مسرى أهلَّة	جاهـلي	ومَسْرحُ غِزْلانٍ ومَسْرَى أهلّة تُمنَّى سَناهنَّ البُدُورُ الكَوَاملُ
آساد، ملهى جآذر، ضباء، مربض المهـا	جاهـلي جاهـلي	ومرْبَضُ آسادٍ وَمَلْهَى جآذِر تَصِيد بِها الأسْدُ الظّبَاءُ الخَوَاذِلُ فكمْ عَبِثت تلك المَهَا بذوي النّهَى وكَمْ لعِبَتْ بالعَقْلِ تِلْك العَقائلُ
الوحـش، السّرب	جاهـلي	عَهِدْتُ بهِ سِرْباً منَ الإنْسِ خَالِياً فَعَادَ بِهِ سِرْبٌ منَ الوَحْشِ عَاطِلٌ

يبدو من خلال هذا الجدول، أنَّ المفردات الجاهلية حاضرة في مولديات الثغري؛ حيث احتل هذا المستوى مساحة واسعة فيها، فنجد منه الألفاظ التالية (الآساد، ملهى الجآذر، المها، الغمام، الوحش، الرّبع، الجزع...)، إذ بدا الثَّغري وكأنَّه شاعر جاهلي قد وظّف اللّغة القديمة الجزلة ممَّا يدلُّ على إحاطته بالشّعر الجاهلي ومقدرته على نظمه.

أمَّا عن مستوى معجمه الإسلامي فنجده حاضراً وبقوة، ذلك أن طبيعة المولديات تتطلب مثل هذا المستوى، حيث توسّع على كل جسد مولدياته، ولتوضيح ذلك نمثل بالجدول التالي:

المعجـم	المستـوى	الشـاهـد
أحمـد	إسلامي "أسماء الرَّسول الكريم"	فالدَّهْر أفقُ أحْمَد مُباحُه والخُلقُ جفنُ المداَشِنِ
محمّـد	إسلامي "أسماء الرَّسول الكريم"	أزْكَى سَلامَ النّبيِ مُحمّدٌ كالرَّوْضِ صَافِحٌ روُحَهُ رَيْحَانَه
محمد أحمـد	إسلامي "أسماء الرَّسول الكريم"	نَبِي تَسَمَّى أحْمَدَ ومُحمّد وأطنَبَ فِيهِ الوَحْيُ بالمَدْحِ والحَمْدِ وقد يذكر اسم أحمد مرتين إذ يقول: وألهمهَا فوْقَ السَّماوات أحمداَ ومازال للتَّوفيق أحْمَد يُلهمُ
يسين، طـه	إسلامي "أسماء الرَّسول الكريم"	وإلى سِيَادَتِه العَظيمَة أوْمأت يسِنِين فيهِ والطّهاَرةُ طَهَ
مـوسى	إسلامي "أسماء الرَّسول الكريم"	فإنْ كَان فَلقَ البَحْر قَبْلَكَ آية لمُوسَى فإنَّ الله شقَّ لك البدْرَا
داوود	إسلامي "أسماء الأنبياء"	وإنْ كان لِدَاوودَ سبَّحت الصَّوى فقد سبَّحتْ في راحَتَيْكَ الحصَى جَهْرَا
سليمان	إسلامي "أسماء الأنبياء"	وإن حَمَلتْ قدَمَا سُلَيْمَانَ رِيحهُ تروُحُ به شعْراً وتغْدو به شِعْرا
يوشع	إسلامي "أسماء الأنبياء"	وإن وقَفَتْ شَمْسُ النّهارِ لِيُوشعَ فقدْ وَقفَتْ للمُصْطفَى تَارَة أخْرى
إبراهيم الخليل	إسلامي "أسماء الأنبياء"	وإن خَمَدَتْ نَارُ الخَلِيل كَرامَةً فألْقَوْهُ إذْ ألقَوْهُ في رَوْضَةٍ خَضْرَا
المختـار	إسلامي "صفات الرسول المفردة"	كمْ مِنْ دَلائِل للمُخْتارِ قدْ حُسُبتْ ومنْ فَضَائِلٍ لا تُحْصَ بحُسبَانِ

المجتبي، المصطفى	إسلامي "صفات الرسول المفردة"	وأحْمَدَ ومُحمّدٌ والمُجْتَبَي والمُصْطَفَى والمَدْحَ لا يتَنَاهىَ
خيرُ الخلق	إسلامي "صفات الرسول المركبة"	عَساكَ يَا خيرُ خلق الله تشْفَعُ لي يوْمَ الحِسَاب فَإنِّي مُذْنِبٌ جانِي
أفضل الخلق	إسلامي "صفات الرسول المركبة"	يا أفْضَلَ الخَلْقِ مِنْ عَربٍ ومِنْ عَجَمِ وخير آتٍ بآياتٍ وفرقان
أعلى الورى	إسلامي "صفات الرسول المركبة"	أعْلَىَ الوَرَى مِنْ سَرَى ليلاً لخالقِهِ بِمَا لهُ مِنْ عَلاء القدر والشَّان
أكرم مُرسل	إسلامي "صفات الرسول المركبة"	وأزورُ ربعاً ضمّ أكرم مرسلاً وأرى حماه قبل يوم حمامي
نور الهدى	إسلامي "صفات الرسول المركبة"	فنُورُ الهُدَى في بُردِهِ مُتجسّمُ ونُورُ الهُدَى فيٍ كفّه متبسّمٌ
خاتم الرّسل	إسلامي "صفات الرسول المركبة"	فيَا خَاتِمَ الرّسُلِ الكِرامِ وَخَيْر مَنْ به يُبْدَأ الذّكْرُ الجَمِيل ويُختمُ
خير البريَّة	إسلامي "صفات الرسول المركبة"	المُصْطفَى خَيْرُ البَريَّة كلّها وَأجلَّها قَدْراً تعَاظم شَأْنُهُ
رسول كريم	إسلامي "صفات الرسول المركبة"	رَسُولٌ كِريمٌ خَاتَم الرّسل كلّهم وأعْظَمِ مَنْ تلقى إلَيْهِ الرّسَائِلُ
شفيع المذنبين	إسلامي "صفات الرسول المركبة"	لأرْجُو شَفيعَ المذنبيَن مُحمَّدا يُشَفِّعُهُ المَوْلىَ فَيَشْفَعُ فِي العَبْدِ
زمزم، الحطيم	إسلامي "أسماء الأماكن المقدسة"	قسَماً بزَمْزمَ والحطِيمِ ومَا حوَى مِنْ رَحمَة ذاكَ الحطِيم وزَمزَمِ
الحرم الشريف والبيت المنيف	إسلامي "أسماء الأماكن المقدسة"	وبِرَحْمَة الحَرَمِ الشّرِيفِ ورِفْعَة البَيْتِ المُنيفِ ومَنْ ينَجْدٍ خيّمُوا
مقام إبراهيم	إسلامي	ومَقامُ إبرَاهيمَ والرّكْنَ الذي

	"أسماء الأماكن المقدسة"	تُحْمى بِهِ الأَنَام سَاعَة يُلْثَمُ
الغيُّ، الرشد		وقد تماديْتُ في غيّ بلا رشدٍ والنّفْسُ تأمُرُنـي والشّيْبُ يَنْهَانِي
الخطايا، الله		كمْ خُطىَ فِي الخَطَايَا قدْ خَطوْتِ ولمْ تُراقِبِ الله فيِ سِرٍّ وإعْلاَنِ
الخشية من الله	إسلامي "ألفاظ إسلامية جاء ذكرها في القرآن الكريم"	فقُلْتُ للنّفْسِ إذْ طَالَتْ بطَالَتُها مَهْلاً ألمْ يَأنْ أنْ تخْشَيْ ألَمْ يانِ؟!
النَّدم، الاغترار بالدنيا		فَلا تَغُرنَّك الدّنيا بِزُخْرُفِهَا فيَا نَدَامَة مَنْ يغْترُّ بِالفَانِي

مـن خـلال الجـدول يتّضـح لنـا أنَّ المسـتوى الإسـلامي فـي معجـم الثَّغـري واسـع الحضـور، يغطّـي كل المولـديات، ولا غرو فـي هذا، فطبيعـة الموضـوع تتطلّب هذا، حيث نجده قد تنوَّع بين أسماء الرَّسول الكريم وأسماء غيره من الرسّل (سليمان وداوود وعيسـى وموسـى وإبـراهيم الخليـل)، حـين راح يقـارن بـين معجـزاتهم ومعجـزات الرَّسـول الكـريم، ليبيّن صـفاته صـلى الله عليـه وسلم، وهـذه الأخيـرة وجـدناها علـى نـوعين أيضـاً، منهـا المنفـردة مثـل (المصـطفى، المجتبـي، المختـار..) ومنهـا المركّبـة مثـل: (أفضـل الخلق، خير البرية، أكرم الرّسل، شفيع المذنبين..).

ولعل البيت التالي يضمُّ العدد الأوفر من تلك الصّفات:

وأصْـدَق مـنْ فِـي عَـالمِ الكـوْن لهجـةً وأكْــرَمُهُم فعــلاً وأشْــرفُهُم ذِكْــراَ
وأطْهَــرهُم قلبــاً وأكَمــلَهُمْ ثقَــى وأشَـرَحُهُمْ صَـدراً وأوْفَـرُهُمْ قـدْراَ[1]

ثمَّ ينتقل لتعداد الأماكن المقدّسة التي عاش فيها رسول الله؛ مثل: (زمزم والحرم الشَّريف، البيت العتيق، مقام إبراهيم).

ويعد يذكر لنا المفردات الدّينية التي غالباً ما ورد ذكرها في القرآن الكريم، حيث تتوزع على كامل أجزاء القصيدة، مثل: الغي، الرّشد، النَّدم، الخطايا، الشَّفاعة، التَّقوى، الهدى، الرّحمة...).

كما أنَّه يجدر بنا أن نشير إلى أنَّ الثغري عندما وظّف أسماء الرَّسول الكريم وصفاته استطاع أنْ يتخلَّص من الحشو الذي لا فائدة منه بل يجعلها ذات قيمة دلالية معبّرة، وهذا لم يمنع من وجود نوع آخر من اللّغة ذات الألفاظ العذبة، والحواشي الرَّقيقة التي عبَّر عنها في المستوى الغزلي، وهذا ما سيتّضح في الجدول التالي:

المعجم	المستوى	الشّاهد

(1)- الديـوان

المحبَّة، الدمع	غـزلي	سِرُّ المحبَّة بالدّموع يُترجَمُ فالدّمْعُ إنْ تسأل فصَيحٌ أعجَمِ ُ
الصبُّ، الهوى	غـزلي	والحالُ تنطِقُ عنْ لسَانٍ صامِتٍ والصّبُّ يصْمتُ والهَوَى يَتكلَّمُ
الجوى والجوانح	غـزلي	فريضِهُ يذْكِي الجَوَى بِجَوانِحِي مهْمَا تَألّقَ في مُتونِ غَمَامْ
السّلوى، اللّوام	غـزلي	ما إنْ سلوْت هَواهُم بِ ِسُرَاهُم يوْماً وَلا أُصْ ْغيْتُ للوَّامِ
القلب، هائم، الجفن، الأحبَّة	غـزلي	فالقلْبُ منْ فرْطِ المحبَّة هائمٌ والجَفْنُ منْ بُعْدِ الأحبَّة هامِي
الطّيف، الهجر، السّهر	غـزلي	أمْ هَل يزُورُ الطّيف مضْجَعَ سَاهِرٍ ما ذاقَ مذْ هَجَرُوه طعْمَ مَنَامِ ِ
الأهات، اللّيل، السّهاد	غـزلي	آه لِلَيْلِي ما أمرَّ سُهادهُ عنْدِي ومَا أحْلى جَنَى الأحْلامِ ِ
الوصْل، الوصال	غـزلي	وصْلُ الأحبَّة لو يُتاح وصَالهُمْ شهدٌ وهُجْرَانُ الأحبَّة عَلْقَمُ
القرب، البعد، المتيّم، المشوّق	غزلـي	والقربُ منهم للمتيّم جنّة والبُعْد عَنهُمُ للمُشوِّق جَهنَّم
المقلة، الرّبيع	غـزلي	ما مقْلتاَيَ جَمَادِيَانِ وإنّما جفنيَّ رَبيعٌ والمَنامُ مُحرّمُ
الألم، القلب، الفراق	غـزلي	لا أنْسَ تارِيخَ الفرَاقِ ومَا لهُ مِنْ روْعة قلْبِي بها متألّمُ

وبتأمّلنا لهذا الجدول، نجده قد ملأ بأعذب الألفاظ وأرقّها، كتلك التي ألفيناها عند الشّعراء المتيّمين أمثال: "المجنون"، و"كثير عزّة" و"جميل بثينة"، و"العبّاس بن الأحنف"،

فألفاظهم الغزلية حاضرة مثل: الشّوق، الهوى، المحبَّة، الدّمع، الشّكوى، الهجران، الوصل، الصّبابة، النَّوى، النّسيم، السّلوان، الأشجان، اللَّيل، القلب، وهذا دليل آخر على تمكّن الثغري فنياً من المستوى الغزلي، وقدرته على النَّظم فيه، حتى لتبدو أبياته كأبيات الشّعراء الغزليين في الأدب العربي، كما تظهر براعته في نقل الألفاظ الغزلية إلى المولديات.

ثانيا: التنــاص

التّناص مصطلح نقدي جديد في الدّراسات النَّقدية العربية، وفد إليها من النَّقد الغربـي المعاصر، ظهر لأوَّل مرّة على يد النَّاقدة البلغاريـة "جوليا كريستيفا"في عدَّة أبحـاث لهـا كتبت بين 1966 و 1967م[1].

ويُعدُّ التَّناص من الوسائل الإجرائية التي اعتمدها السيمائيون والتَّفكيكيّون في تحليلهم للنّصوص الأدبية، وملاحقة أبعاده الكثيفة ومدى انفتاحها على ثقافات الغير، فالنَّص الحداثي ليس نصًّا ساكناً مغلقاً، إنَّما هو نص متغيَّر قابل للمثاقفة والحوارية، وذلك لأنَّ مولده ونشأته أوجدته وسط عالم يتميّز بالشّمولية وتعدّد الجنسيات اللّغويـة، إن لم نقل العالميـة التـي تطبـع صفات الشّعر المعاصر، إذ هو خليط من بنيات سابقة له تشكّل جزءًا من بنيته الكلية[2].

وعليه فقد بات من الضّروري أن يعود الدّارس من خلال دراسته لكل نص شعري إلى هذا المستوى الإجرائي من أجل إزاحة القناع عن جملة من التَّفاعلات النَّصية، بغية ملاحظة تجليات انفتاحه على الثّقافات الأخرى، فعن طريق التناص النّافذ النصي يتوحّد الموروث مع الإبداع.

لقد حَدّد هذا المصطلح النّقدي ثلَّة من الباحثين، إلاَّ أنَّنا سنحصر التعاريف للتوصّل إلى تعريف يُلمُّ فيه بجميع المقوّمات والشّروط.

نستهلُّ هذه التَّعاريف بقول البلغارية "جوليا كريستيفا" مبينة ماهية التناص أنَّه: «امتصاص نصوص (معاني متعددة) داخل الرسالة الشّعرية التي تقدّم نفسها من جهة أخرى باعتبارها موجهة من معنى معين»[3].

ويرى جينيت أنَّ التّناص هو: «الدّخول الفعلي لنص في نص آخر»[4].

والجدير بالذّكر أنَّ التناص «يجعل النّص الشّعري مفتوحاً يرفض أي انغلاق للنّص، لأنّ على كل نص أن يبدو كعمل في نصوص سابقة[1].

---

(1)- نور الدين السّد: الأسلوبية وتحليل الخطاب، ج 2، ط 1، دار هومة للنشر والطباعة والتوزيع، الجزائر، (د ت)، ص 96.

(2)- محمد كعوان: الأبعاد الصوفية في الخطاب الشعري الجزائري المعاصر، رسالة ماجستير، ص 256.

(3)- جوليا كريستيفا: علم النص، ترجمة فريد الزّاهي، ط 1، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، 1991، ص 78.

(4)- Genètte, Palempestes, Editions du seuil, 1982, P02.

ويمكن صياغة مفهوم التَّناص على أنَّه: «دراسة الخطاب الأدبي بوصفه جزءً من سياق إبداعي أشمل، ويبحث عن التّناص عن مظاهر وشروط انضواء النَّص موضوع الدّراسة في سياقه العام، وأشكال استفادته من النّصوص السّابقة عليه، أو كيف استحالت في داخل عناصر وخصائص من تلك النّصوص السابقة عليه، وما أنتجه النّص الجديد من معنى أدبي، وما كسبته التجربة الجمالية من ابتكار الشَّاعر أو الكاتب»[2].

فالتناص إذن يتعلق بالصلات التي تربط نصًّا بآخر، وبالعلاقات أو التفاعلات بين النّصوص، مباشرة أو ضمناً بقصد أو بغير قصد[3].

من خلال ما سبق نحاول أن نحصر أنماط وأنواع وأشكال ومستويات التناص في المخطط التالي:

التنـــاص[4]

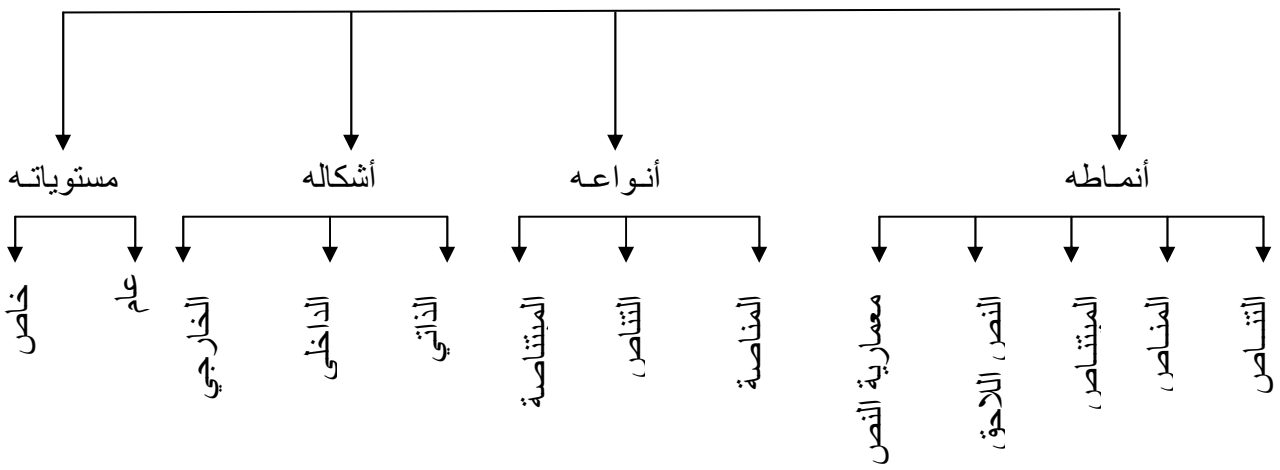

وفي هذا السّياق، وانطلاقاً من التّعريفات السّابقة ستقوم هذه الدّراسة برصد أهم مستويات التّناص المتوفّرة لدينا في مولديات الثغري، وخلافا لما جاء في خطَّة البحث

---

(1)- رمضان الصباغ: في نقد الشعر العربي المعاصر، دراسة جمالية، ط 1، دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية، 1998، ص 340.

(2)- نقلا عن نور الدين السد: الأسلوبية وتحليل الخطاب، ص 108.

(3)- صالح مفقودة: نصوص وأسئلة، دراسات في الأدب الجزائري، ط 1، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين، دار هومة، الجزائر، 2002، ص 172.

(4)- نقلا عن نور الدين السد.

فالتّناصـات الحاضـرة مسـتويين فقـط، ذلـك لأن التنـاص التمثيلـي مغيَّـب نهائيـاً فـي مدونـة الشاعر.

1- التَّناص الاجتـراري :

وفيه يعيد الشّاعر كتابة النّص الغائب، بشكل نمطي جامد لا حيـاة فيـه، وقد سـاد هذا النّوع في عصور الانحطاط[1].

وفيه يستمد الأديب من عصـور سـابقة، ويتعامل مـع النّص الغائـب بـوعي سكوني، فينتج عن ذلك انفصال بين عناصـر الإبداع السّـابقة واللاَّحقـة، ويمجّد السّـابق حتَّـى لـو كـان مجـرّد "شـكل" فـارغ[2]، وكانـت النَّتيجـة أن أصـبح النَّص الغائـب نموذجـاً جامـداً تضـمحل حيوته مع كل إعادة كتابية له[3].

2- التنـاص الحـواري:

وهو أعلى المستويات، حيث يعيد الشَّاعر كتابة النَّص الغائب وفق كتابـة فنيـة عاليـة، ولا يتأتّى هذا النَّوع من التَّنـاص إلا لشـاعر متمكّن مقوالٍ، ذلك لأنَّ هذا النَّـوع مـن التّنـاص يعتمد على القراءة النّوعية المعمّقة، وتتفاعل فيه النّصوص الغائبة والماثلة في ضـوء قوانين الوعي واللاوعي[4]، فالشّاعر أو الكاتب لا يتأمّل النَّص الغائـب، وإنَّمـا يغيره، وبـذلك يكـون الحوار قراءة نقدية علمية[5].

ويمثـل "محمّـد بنـيس" لهـذا النَّـوع مـن التَّنـاص بنمـوذج مـن قصـيدة "المـوت، النفـي، الميلاد" للشّاعر "عبد الرفيع الجوهري" يقول:

«غَرُبَتْ شَمْسُ العَالَمِ في القَلْبِ

فاحْفِرْ قَبْرَكَ ماتَ الحفَّارُ»

هذا النَّص ينطلق فيه الشّاعر من نص خليل حاوي الذي يقول فيه:

«عَمِّقِ الحُفـْرَ بإحْفَارُ

---

(1)- الشائعة باي: تناص التراث العربي الإسلامي في القصيدة الشعبية العربية الجزائرية أثناء ثورة نوفمبر (54-62)، بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في الأدب الشعبي، إشراف عربي دحو، نوقشت في جامعة قسنطينة، 2005، ص 65.

(2)- محمد عزام: النص الغائب، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001، ص 53.

(3)- محمد بنيس: ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب، ط 1، دار العودة، بيروت، 1979، ص 253.

(4)- محمد عزام: النص الغائب، ص 53.

(5)- محمد بنيس: ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب، ص 253.

عَمِّقْهَا خَلْفَ مَدَار الشَّمْسِ

لَيْـلاً مِنْ رَمَادٍ

وَبَقَايَا نَجْمَةٍ مَدْفُونَةٍ خَلْفَ المَدارِ»

والحوار يتجلَّى في إعادة كتابة النّص الغائب عند "الجوهري" الذي قلب تصوّر الشّاعر "خليل الحاوي" للعالم، فالحفّار الذي يحفر القبر للذَّات العربية التَّائهة في الحداثة المشوَّهة مات في نص الجوهري، وعلى الإنسان العربي أن يحفر قبره بنفسه[1].

وسنبيّن في هذا الجدول الأنواع التناصية السّابقة، والتي وجدناها ماثلة بقوّة في مولديات الثغري التلمساني.

النـــــص	المـتنـــاص	نوعيــة التنــاص

[1]- محمد بنيس: ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب، ص 261-263.

تذْكُرُت صحبًا يمَّمُوا الضَّال والسِّدْرا فهاجَتْ لي الذكْرى هَوى سَكنَ الصّدراَ.	يكَادُ قلبيِ كلّماَ هَاجَ شوْقُهُ حرَارَات أقْباسٍ تَلوحُ لرَاهِبِ (العباس بن الأحنف)	إعادة كتابة النص الأصلي تمت عن طريق قانون الحوار، فقد عمل النص الحاضر على تغيير معنى النص الغالب مما جعله يأخذ مفهوماً آخر في شكل مقابلة
سَروْا في الدُّجَى يَفْلُون نَاصيَة الَفلَى وعنْد صَباحِ القَوْمِ قدْ حمَدوًا المَسْرَى.	"وعند الصّباح يحمد القوم السُّرى" مثل عربي.	إنَّ إعادة النص الغائب تمت عن طريق قانون الإجترار، فهي استنتساخ تام للمثل العربي الشهير مع تغيير في كلمتي المسرى والسُّرى فقط، مع إبقاء للمعنى نفسه.
يُضِيءُ الدُّجىَ منْ عَزْمِهِمْ فَكأنهّمُ كَوَاكِبُ تَسْرِي للحِمَى كَيْ تَرَى البَدْرَا.	تكاَدُ تَضيءُ النّـارُ بيْنَ جَوانِحِي إذَا هِيَ أذْكَتْهَا الصَّبابَةُ والِفكْر "أبو فراس الحمداني"	تضمين للنص الغائب مع إعادة كتابته وفق قانون الامتصاص، وتعارض النصين أنشأ دلالة وسياقا
أصْدقُ منْ فِي عَالَمِ الكَوْن لَهْجَة وأكْرَمَهُم فِعْلاً وأشْرَفُهُمْ ذِكْرًا وَأطْهَرُهُمْ قَلبًا وَأكْمَلُهمْ تقىَ وأشْرُحهُمْ صَدْرًا وَأرْفَعُهمْ قَدْرَا وأفْصَح منْ بالضَّادِ والظَّاء نَاطقًا إذَا فَاهَ نُطقًا ِخلْتَه يْنثُر الدّرَا	(وإنك لعلى خلق عظيم) سورة القلم الآيـة 4. (أدبني ربي فأحسن تأديبي) حديث شريف.	إعادة صياغة الأسلوب القرآني، وأسلوب الحديث النبوي الشريف مع الحفاظ على نفس السياق عن طريق قانون الإجترار في المعنى وتضمين للأسلوبين.
أزَيَنُ الحُلىَ وَقْفٌ عَليْكَ محبَّتِي إذا رُمْت صَبْرًا عنْك لمْ أسْتطعْ صَبْرَا.	أزَيْن نِسَاءِ العَالمِين أجِيبِي قلْبَ مشُوقٍ بالِعِرَاقِ غَرِيبُ "العباس بن الأحنف" .	تناص حواري مع النص الغائب، مع تقاطع في السياق، وظهور طرف آخر في الدلالة ،يعارض دلالة النص الغائب.

يَمْثُل لي مرْآكَ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ وتَخْطُر لِي ذِكْراكَ ماَ جَرَتِ الذِّكْرَى إذا فَـُهْتُ لمْ أنْطِقْ بِغَيْرِ حَدِيثِكُمْ وإذَا غِبْتَ لمْ يُعَمِّرْ سِواكَـُمْ لي الِفكْـَرا	والله مَا طَلعَت شَمْسٌ ولَا غَرُبَتْ إلاَّ وَحُبَّكَ مَقْرُونٌ بأنْفَاسِي وَلاَ جَلَسْتُ إلِىَ قَوْمٍ أُحَدِّثُهُمْ إلاَّ وَأنتَ حَدِيثِي بَيْن جُلاَّسِي ولا ذَكَرْتُكَ مَحْزوًنا ولاَ فَرِحًا إلا وأنْتَ بِقلْبِي بَيْنَ وِسْواسِي "الحلاج"	تناص حواري مع النص الغائب، مع تقاطع في السياق، وظهور طرف آخر في الدلالة ، يعارض دلالة النص الغائب.
ومَالِي أطْوِي عَنْكَ سِرَّ الهَوَى وَقدْ تمَلَّكَ مِنِّي حُبَّكَ السِّرَّ والجَهْرَا	مَالي أكْتُم حُبًّا قَدْ بَرَى جَسَدِي وتدَّعي حُبَّ سيْفِ الدَّوْلةِ الأمُمَ "المتنبي".	تم التناص عن طريق إجترار للنص الغائب مع تغير في الأسلوب.
أبِيتُ إذَا مَا اللَّيْلُ أرْخَى سُدولَهُ وأسَامُر مِنْ شوْقِي لكَ الأنْجُمَا الزُّهراَ	وَلَيلٌ كَمَوْجِ البَحْرِ أرْخَى سُدولَهُ عَليَّ بأَنْواعِ الهُمُومِ لِيَبْتلي "أمرؤ القيس".	تناص حواري مع ظهور دلالة جديدة وتفاعلها مع الدلالة الأصلية للنص الغائب.
بأسْمائِكَ الحُسْنىَ سألْتُكَ ضارِعًا وبالمُصْطَفى أنْ لاَ ترُدَّ يَدِي صِفْرَا	فأدركت أنْ لاَ عِزّ بَعْدِي لِعَاشِقٍ وأنَّ يَدِي مِمَّا عَلِقْتُ بِه صِفْرَا "أبو فراس الحمداني" .	تناص حواري مع ظهور دلالة جديدة وتفاعلها مع الدلالة الأصلية للنص الغائب.
لإنْ كَانَ فَلقُ البَحْرِ قَبلْكَ آيَة لمُوسَى فإنَّ الله شَقَّ لكَ البَدْرَا	(اقتربت الساعة وانشق القمر، وإن يروا آية يعرضوا عنها ويقولوا سحر مستمر) الآية1 سورة القمر الآية 1.	تضمين للآيات القرآنية مع إبقاء المعنى نفسه واجترار في السياق
ففِي لَيْلَةٍ أسْرَى بِكَ الله رَاكِبًا بُراقًا يفُوقُ البَرْقَ فيِ سُرعَة الإسْرا مِنَ الفَرْشِ نَحْو العَرْشِ أسْرى بِعبْدِه إلى الحَضْرَةِ العُلْيَا فَسُبْحَانَ مَنْ أسْرَى	(سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله) سورة الإسراء الآية 1.	
وكلُّ النَّبيِئين انقَضَتْ معُجْزاَتُهُمْ وَمُعْجِزةُ القُرآنِ بَاقِيَة تُقْرَا	(إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) سورة الحجر الآية 9.	

ومَا كُنْ ِتُ أدْرِي النّثْرَ والنّظْمَ قبْلَكَ فعَلمَّنَي إحْسانَكَ النَّظْمَ والنثْرَا	وَلمْ أكُنْ مِمَّنْ يدْخُل العِشْقَ قَلبَهُ ولكِنْ مَنْ يُبْصِرُ جُفوُنَكَ يَعْشَقِ "المتنبي".	تمت إعادة النص الغائب عن طريق قانون الحوار.
سُتقْصِي َلكَ الأقْ ْدَارُ ماَ كُنْتَ نا َويًا وتُدنْي المُنىَ مِنْ حَيْث تقْصِي المَنَاوِيَا	ستُبْدِي لك الأيَّامُ مَا كُنتَ جَاهِلاً وَ َيأتِيكَ بالأخْبارِ مَنْ لمْ تُزَوِّدِ "لبيد بن ربيعة".	تم التفاعل النصي عن طريق قانون الاجترار.
وَمَا قتْلَة الأحْرَارِ كالعَفْو عَنهُمْ وما الحُرُّ إلاّ مَنْ يُرَ َاعِي الأيَادِيَا	وما قَتَلَ الأحْرَارَ كالعَفْوِ عَنْهُمْ ومنْ لكَ بِالحُرِّ الذِي يحْفَظُ اليَدَا! المتنبي	إعادة تشكيل النص الغائب وفق قانون الإجترار.
فكَأنّهُم وَوَلِي عهْدِكَ بَدْرُهُمْ بِسَمَاءِ حَضْرَتِكَ العَلِيَّة أنْجُمُ	إنّكَ شَمْسُ وَالمُلُوكُ كَوَاكِبٌ إِذَا طَلَعَتْ لمْ يُبْدَ مِنْهُنَّ كَوْكَبُ	تناص إجتراري تم عن طريق استنساخ تام لبيت النابغة، مع تغير لفظة الشمس بالبدر والكوكب بالأنجم.
إنيِّ بِجَاهِكَ واَثِقٌ مُتَمَسِّكٌ بِالعُرْوَةِ الوُثْقَى التِي لاَ تفْصَمُ	«لا إكراه في الدين قد تبيَّن الرّشد من الغيِّ فمن يكفر بالطَّاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم» سورة البقرة، الآية 256.	إجترار في الشكل والسياق مع تغيير طفيف في الأسلوب مع تضمين لمعنى الآية الكريمة.
واختار لنبيه في قوله: "لنولينك قبلة ترضاها"	(قد نرى تقلّب وجهك في السَّماء فلنولينك قبلة ترضاها) سورة البقرة الآية 144.	تناص اجتراري للآية الكريمة لغة وسياقا وأسلوباً.

دَنىَ فَتَدلىَّ قَابَ قَوْسَيْنِ رِفْعَةً وقرْباً فأَمْسَى لِلْحَبِيبِ مُنَاجِيًا	(والنجم إذا هوى ما ضلَّ صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى علمه شديد القوى ذو مرة فاستوى وهو بالأفق الأعلى ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى) سورة النجم الآية 1-9.	اجترار للآية الكريمة مع الحفاظ على نفس الأسلوب والسياق.
يا أَيُّهاَ المَلِكُ التّقِيُّ وَمنْ لَهُ بِشَرَفٍ علَى سَمْكِ السِّمَاكِ مُخيَّمٌ	إنَّ الذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بنا لَنا بَيْتًا دَعَائِمُهُ أعَزُّ وَأطْوَلُ "الفرزدق".	تم التناص عن طريق قانون الحوار.
أعْدَدْتُ للأعْداَءِ عُدَّتُهَا التِي بِسِلاحِهَا يُلْقَ العَدُوُّ فَيُهْزَمُ	أعْدَدْت للشّعَرَاءِ سُمًّا نَاقِعًا فسَقَيْتُ آخِرَهُمْ بِكَأسِ الأوَّلِ "جرير".	تم تفاعل النص عن طريق قانون الحوار والتوازي في الأسلوب.
وكأَنَّ تِلكَ العَادِياَتُ إذَا عَدَتْ سِرْبٌ لِشُرْبِ دَمِ الأعَادِي حُوَّمُ	(والعاديات ضبحا فالموريات قدحا فالمغيرات صبحا) سورة العاديات الآية 1-3.	تم التناص عن طريق قانون الحوار مع ظهور طرف آخر في الدلالة.
ولَيْسَ حدَيثًا حَاشَى لله مُفْتَرَى ولَكنَّهُ وَحْيٌ مِنَ الله مُحْكَمُ	(لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون) سورة يوسف الآية 111.	إعادة كتابة النص الغائب تمت عن طريق اجترار السياق العام ومعارضته في الشكل
لم لا يَحِنُّ لهُ فُؤَادٌ مُتَيَّمٌ والجِذْعُ حَنَّ لهُ حَنِينَ هُيَامِ	«معجزة حنين الجذع للرسول صلى الله عليه وسلم» السيرة النبوية "لابن هشام".	تم التفاعل النصي عن طريق قانون الاجترار.
وَقصَمْتُ عُقْدَة جَمْعِهِم فَتَفرَّقُوا أيْدِي سَباَ فِي الِبيدِ والأكَامِ	والخَيْلُ تعْلَمُ والفوارِسُ أنّني فَرَّقْتُ جَمْعَهُم بِضَرْبَة فيْصَلِ "عنترة العبسي"	حوار مع النص الغائب مع تقاطع في السياق

خَلِيلِيَّ مَا قلْبِي لَدِيَّ وإنّمَا أفَلْنَ بِهِ تِلكَ البُدُورُ الأوَافِلَ	خليليَّ تَيَّمْتْنِي وَحيدُ فَقلْبِي بِهَا مُعْنى عَنيدُ "أبو نواس"	وظهور طرف آخر في الدلالة يعارض دلالة النص الغالب.
حَيَاءٌ وإنْضَالٌ وعَدْلٌ وعِفّةٌ وحَزْمٌ وإقْدَامٌ وحِلْمٌ ونَائِلُ	ألاَ في سَبِيلِ المَجْدِ ما أنَا فِاعِلُ عَفافٌ وإقْدامٌ وحَزْمٌ ونَائِلُ "المعري" .	
وحَازَ تُراثَ المَجْدِ لاَ عنْ كَلاَلَـةٍ وَجَاءَ بِمَا لمْ تَسْتَطِعْهُ الأوَائِلُ	وإنيِّ وإنْ كُنتُ الأخِيرَ زَمَانَـهُ لآتٍ بِمَا لمْ تَسْتَطِعْهُ الأوَائِلُ "المعري"	
سِرُّ المَحبَّةِ بِالدُّمُوعِ يُتَرْجَمُ فَالدَّمْعُ إنْ سَالَ فَصيحٌ أعْجَمُ وَا حَيْرتِي بَيْنَ الصَّبَابَةِ والصَّبَا لاَ هذِي تُنْسِي ولاَ ذِي تُنْسِمُ	الحُزْنُ يقْلِقُ والنّجْمُ يَرْدِعُ والدَّمْعُ بيْنهُمَا عَصيٌّ طَيِّعٌ يتَنَازَعَانِ دُمُوعَ عيْنَي مُسَهِّدٍ هَذا يَجيءُ بها وهَذَا يَرْجِعُ.	
يتنزّلُ الرُّوحُ الأمِينُ بِهِ عَلَى خَيْرِ الوَرَى صَلُّوا علَيْهِ وسَلِّمُوا	(تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر) سورة القدر الآية 4.	تضمين للآية الكريمة مع إبقاء المعنى نفسه واجترار الصّيغ
لكَ أنْطقَ الله الجَمَادَ ولَمْ يَكُنْ لوْلاَكَ يَفْصَحُ بالخِطَابِ ويُفْهِمُ	ثبت أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان لا يمر بحجر أو شجر إلا وقال السلام عليك يا رسول الله سيرة ابن هشام	تم التفاعل النصي عن طريق قانون الاجترار.
يَارَبِّ عفْواً عنْ ذَنوُبِي كُلِّهَا عَفْواً تَمُنُّ بِهِ عَليَّ وتُنعِمُ	يا رَبِّ إنْ عَظمَتْ ذَنوُبِي كُلَّهَا فإنيِّ رَأيْتُ عَفْوَكَ أعْظَمُ "أبو نواس"	إعادة كتابة النص الغائب تمت عن طريق قانون الحوار وتوازي الأسلوب.
وآدَمُ لمَّا خَافَ يُجْزَي بِذَنْبِهِ توَسَّل بِالمُخْتَارِ لله داَعيا فتَابَ علَيْهِ واجْتبَاهُ وخَصَّهْ وأدْنَاهُ بَعْدَما كَانَ نَائِيَا	(فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنَّه هو التواب الرَّحيم) سورة البقرة الآية37.	تم التفاعل النصي عن طريق قانون الاجترار وتشمين لمعنى الآيات الكريمة.

وأَدرَكَ مُوسَى فِي المُنَاجَاةِ رَغْبَةَ فَكَلَّمَهُ الله العَظِيمُ مُنَاجِيًـا	(وكلم الله موسى تكليما) سورة النساء الآية 164.	
ومَنْ يتَوكّلْ فِي جَمِيعِ أُمُورِه عَلىَ الله يلْفِهِ كَفِيلا وكَافِيَا	(ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه إنَّ الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدرا) سورة الطلاق الآية 3.	

من خلال الجدول يظهر أن التَّفاعل النَّصـي فـي مولـديات الثّغري قد تمَّ عن طريق مستويين متقاربين، إذ تراوح بين الاجترار والحوار، هذا الأخير الذي وُظِّفَ توظيفاً ذكيـاً، فالحوارية هنا لم تشل حركة النَّص، وتجعله تابعاً لسياق النَّص الغائب، إنَّما هي تلك الحركـة التي وضعت القارئ أمام دلالات غير متناهية، تزيد من جماليتـه وشـعريته، خاصّـة وأنَّـه لا وجود لنص يبدأ من الصَّمت[1]، بل ينطلق من نصـوص سابقة بوعي أو بـلا وعـي، تلك النّصـوص التـي تشـكّل تاريخـه وثقافتـه، فقد تنوّعـت هـذه الحواريـة لتشـمل الـنَّص القرآنـي والسّيرة النّبوية والشّعر القديم.

أمَّا التّناص الاجتراري فلم ينل مستوى الحوار، حيث نجده أقل نسبة إذا ما قورن بـه، ويظهر ذلك حين يلجأ الثغري للحديث عن معجزات الرَّسول الكريم، ومن ثمَّـة فمنطقـي أن نجد الإحالة علـى السّيرة النَّبويـة ماثلـة، إذ أنَّ كل معجزاتـه صـلى الله عليـه وسلم قد أثبتتها كتب السّيرة الموثوق بهـا؛ كسيرة "ابـن هشـام" وسيرة "ابـن خلـدون"، فـلا منـاص إذن من وجود قانون الاجترار في هذا المقام.

من هنا يجدر بنا أن نقف عند رأي النَّقاد الذي مفاده أنَّ التَّعامل مع التَّناص الحـواري لا يقوم به إلاَّ شاعر مقتدر، ذلك أنَّ هذا النَّوع من التَّناص لا يقف عند حدود البنية السّطحية للنَّص الغائب، وإنَّما يعمل على نقده وقلب تصوّره[2].

---

[1]- محمد كعوان: الأبعاد الصوفية في الخطاب الشعري الجزائري المعاصر، ص 241.

[2]- جمال مباركي: التناص وجمالياته في الشعر الجزائري المعاصر، (د ط)، إصدارات رابطة الإبداع الثقافية، مطبعة دار هومة، الجزائر، 2003، ص 159.

وهذا ما يشجّعنا على إطلاق الحكم التالي دون تردّد، فالثّغري شاعر مقتدر، كونه وضَّف التّناص الحواري في مولدياته بنسبة تجاوزت الخمسين في المائة (50%)، إذا أدركنا أنَّ تعامله مع النّصوص الغائبة، سواء أكانت قرآناً أم حديثاً أم شعراً قد تفاعلت حوارياً أكثر منها اجترارياً.

ثالثا- الصّورة :

تُعدُّ الصُّورة إحدى المكونات الأساسية للشعر قديماً وحديثاً لما احتوته من أهمية بالغة في تحديد قوّة وضعف العمل الفنّي، والتَّعبير بالصّورة خاصية شعرية، ولكن ليست

خاصّة بالشّعر فقط، لقد آثرها التّعبير القرآني والحديث النّبوي كثيراً، واعتمد عليها المثل كما فضّلتها الحكمة[1].

والصّورة في القرآن أو الحديث ليست موضوعنا الآن، ولكنّ مقصدنا هو الصّورة الشّعرية، فهناك خبر يُروى عن أبي تمّام أنّه قال:

لا تســـقنِي مـــاءَ المـــلاَمِ فـــإنّني صَـبٌ قـد اسْـتعذبْتُ مـاءَ بُكـائي

فجاءه من يحمل بيده إناء ويسأله ساخراً أن يمنحهُ بعضاً من ماء الملام، فما كان من أبي تمّام إلاّ أن قال: «سأفعل إذا أحضرت لي ريشة من جناح الـذّل!»

يشير بـذلك إلـى قولـه تعـالى: «واخفض لهُمـا جنَـاح الـذُّلِّ مـن الرَّحمـة»، فـإذا كانـت الاستعارة في ماء الملائم قد جرت على غير المألوف عند العرب فقد سبق القرآن إلـى ذلك في "جناح الذّل"[2].

وعليـه فالصّورة موضـع الاعتبـار فـي الحكم علـى أي شـاعر، فلم يُقدَّم امرؤ القيس بإجماع نقدي واضح إلاَّ لأنَّه أوَّل من بكـى واستبكى، وقيد الأوابـد وشبَّه النّسـاء بـالبيض[3]، وعليه فإنَّ التَّمييز بالصّورة المبتكرة في شكل استعارة أو تشبيه واضح لا يخفى، ثمَّ إنَّ ناقداً بارزاً مثل ابن رشيق قد أقام منهج كتابـه "قراضـة الـذّهب" علـى أسـاس الصّـورة الشّـعرية مقرّراً أن السّرقات لا تقع إلاَّ فيها، وأنّ المفاضلة لا تقوم إلاّ على أساس منها[4]،

وهي محط نظر الشـاعر وغايتـه فـي تـداول المعـاني العامـة المشـتركة، وهـي سـبيله الوحيد إلى إحراز معنى فني جديد للخروج من محنة استنفاذ القدامى للمعاني[5]

إذن فالصّورة الشّعرية: «وسيلة الشاعر في التجديد الشّعري والتفرد يقاس بهـا نجـاح الشّاعر في إقامة العلائق المنفردة التـي تتجـاوز المـألوف بتقديم غيـر المـألوف مـن الصّـلات والترابطات التي تضيف إلى التّجربة الإنسانية المطلقة وعياً جديداً، ومـا ينبغـي للصّـورة أن

(1)- محمد حسن عبد الله: الصورة والبناء الشّعري، (د ط)، دار المعارف، القاهرة، (د.ت)، د ط، ص 16.

(2)- المرجع نفسه، ص 16-17.

(3)- المرجع نفسه، ص 17.

(4)- ابن رشيق: قراضة الذهب في نقد أشعار العرب، نقلا عن محمد حسن عبد الله، الصورة والبناء الشعري، ص 17

(5)- أحمد سليم غانم: تداول المعاني بين الشعراء، قراءة في النظرية النقدية عند العرب. ط 1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2006، ص 106.

تحقّقه من التّوازن بين ما ترصده من مظاهر حيَّة وما يعادلها من الانفعالات والأبعاد التقنية، وما تعبّر عنه هذه المظاهر أو العناصر من أثر ذوقي مباشر أو تداع وارتباط لا شعوري مبهم لدى الشّاعر تكشف عنه الصّورة بصيغة علائق إسقاط لا تحمل انعكاسات مقيدة، ثمَّ لا بدَّ للشّاعر من أن يخلق الانسجام والوحدة بين الصّور داخل القصيدة وصولاً إلى تشكيل صورتها الكلية، وهذا يفترض أن تتضافر مجموعات الصّور لتؤدّي إحساساً موحّداً يفضي إغفال أيَّة صورة منها إلى خلل معنوي واضح في القصيدة، وتهلهل بنائي مكشوف، فلابدَّ للصّور إذن من أن تتماسك على أساس الوحدة والتكامل[1].

ومن هنا فالصّورة الشعرية تضم عدّة عناصر، أهمّها الخيال الذي يمثّل العنصر الأول من عناصر بنائها، لأنَّه يقوم بالدَّور الأساسي في الجمع بين عناصرها المختلفة وإعادة التأليف بينها لتصبح صورة شعرية لشاعر ما، تعبِّرُ عن مشاعره ورؤيته، فالخيال في العمل الشّعري هو القدرة التي بها تستطيع صورة معيَّنة أو إحساس واحد أن يهيمن على عدَّة صور أو أحاسيس في القصيدة، فيحقّق الوحدة فيما بينها بالصّهر[2].

ومن عناصرها أيضاً التشبيه والاستعارة، إذ الاستعارة كانت لدى عبد القاهر الجرجاني تعدُّ طريقة لإثبات المعنى وتأكيده، في ما كان التشبيه لدى أسلافنا من النُّقاد البلاغيين يحتل أولوية فائقة لما يحتويه من مصادرة أساسية تنصُّ على الوضوح والتَّمايز بدل الغموض والاختلاط، ومن هنا كانت إصابة التَّشبيه ركناً من أركان الشعر»[3].

ولقد كان الثغري ميالا لعنصر الصّورة في كل مولدياته شغوفاً بتضمينه بشكل بعيد عن كل تكلف، مبيّناً قدرته في الصّياغة الفنية.

وبما أنَّ الرَّسول صلى الله عليه وسلم هو ممدوح الثّغري الآن، فإنَّ الصّورة الحقّة والتّشبيه الجميل الذي وصفه به هو القمر تارة والشّمس والنّجوم والثريّا تارة أخرى.

---

(1)- بشرى موسى صالح: الصورة الشعرية في النّقد العربي الحديث، ط 1، ، المركز الثقافي العربي بيروت، 1994، ص 12.

(2)- محمد زكي العشماوي: قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث، (د ط)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية 1990، ص 204.

(3)- إبراهيم الرماني: ظاهرة الغموض في الشعر العربي الحديث، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية بن عكنون، الجزائر، 1991، ص 256.

وقد ثبت الثغري على هذا التشَّبيه لتشكيل الصّورة الشّعرية المتعلّقة بشخص الرّسول الكريم، إذ نراه يقول:

يُضِـيءُ الـدُّجَى مِـنْ عَـزْمِهِمْ فَكَـأَنَّهُمْ كَوَاكِبٌ تَسْرِي كَيْ تَرَى البَدْراَ[1]

ويقول أيضاً:

لِمَوْلِـدِهِ نُـورٌ عَلَـى الأَرْضِ قَـدْ بَـدَا غَدَا دُونَهُ بَدْرُ الدُّجَى بَعْدَ إِكْمَالِ[2]

ويقول كذلك:

أَبْـدَى لَنَـا مِـنْ هَدْيِـهِ وَجبينِـهِ نُورَيْنِ شَمْسُ ضُحَى وَبَدْرَ تَمَامِ[3]

ويقول أيضاً:

قَمْـرُ بِيَثْـرِبَ أَشْـرَقَتْ أَنْـوَارُهُ حَتَّـى أَضـاءَتْ أَرْضُهَـا

فهذه الشَّواهد المتقدّمة أكَّدت لنا أنَّ تشبيه الرَّسول صلى الله عليه وسلَّم بالشَّمس والبدر والنّور من التَّشبيهات التي شاع ذكرها في غرض المولديات عموماً، وهذا ما وجدناه ماثلاً عند الثَّغري.

وبما أنَّ غرض المدح في المولديات لم يقتصر على شخص الرّسول الكريم، بل نجده أيضاً مدح الخليفة "أبي حمّو موسى الثّاني" أو مدحه لنجله وولي عهده، ومن أدبيات الثَّغري الرّائعة في هذا قوله:

وَنَجْلُـكَ مَيْمُـونُ النَّيـةِ مَاجِـدُ وللعُـرْفُ بَـذّالٌ وفـي الحَـرْبِ بَاسِـلٌ

بهَـدْيِكُمُ اسْـتَهْدَى بِمَجْـدِكُمُ اقْتَـدَى فَلاَحَـتْ عَلَيْـهِ مِـنْ سَـنَاكُمْ دَلاَئِـلُ

وَفي البَدْرِ نُوَرٌ مِنْ سَنَا الشَّمْسِ ظاَهِرٌ وللشِّبْلِ مِـنْ لَيْـثِ العَـرِينِ مَخَايِـلُ[5]

في هذه الأبيات يبدو ذكاء الثغري حين راح يمْدح ولي عهد الخليفة بالمجد العريق والشَّجاعة الفائقة والكرم الجميل، وهو يريد مدح الخليفة نفسه، وفي الأبيات تشبيه تمثيلي رائع ينمُّ عن قدرة تصوير الثغرين فشجاعة أبي حمو وكرمه ماثلان في ولي عهده، ولا

(1)- (3)-(4)-(5)- الديـوان.

عجب في هذا، فكما يبدو سنا الشَّمس في البدر وكما تبدو قوة الأسود في أشبالها كذلك يبدو كرم أبي حمو في أخلاق ابنه.

وفي بيت آخر يقول:

فَكَـــأَنَّهُمْ وَوَلـــيُّ عَهْـــدِكَ بَـــدْرُهُمْ ْ بِسَمَاءِ حَضْـرَتِكَ العَلِيـة أَنْجَمِ ُ

يتبادر لنا من الوهلة الأولى عند قراءة البيت استحضار صورة "النابغة الذّبياني" في بيته الشّهير حين مدح ملك الغساسنة، فراح يشبّهه بالشّمس وبقية الملوك بالكواكب، إقراراً منه برفعته وتميّزه:

فَإِنَّـــكَ شَـــمْسٌ والمُلُـــوكُ كَوَاكِـــبٌ إِذَا طَلَعْتَ لَمْ يُبْدِ مِنْهُنَّ كَوْكَبٌ[1]

ولم تقتصر براعة الثّغري التّصويرية في مدح الرَّسول الكريم، أو في مدح "أبي حمّو مومى الثاني" وإنَّما نجده طلاَّعُ الثَّنايا، وبارع التصوير والتَّشبيه في وصف المعارك الحربية التي خاضها "أبو حمّو الثاني" ضدَّ أعدائه المرينيين والحفصيّين، حيث تبدو للقارئ وكأنَّها ماثلة أمام ناظريه، فصهيل الخيل ووقع الرّماح وصليل السيوف يشكّكه في أمره، أهو قارئ أم متخيّل، وهذا إنْ دلَّ على شيءٍ فإنَّما يدل على أنَّ الثّغري بارع في هذا المجال براعةَ كفلت له أن يذكّرنا بالمتنبّي حين وصف معركة الحدث وبالبحتري حيث وصف صورة معركة انطاكية الشَّهيرة فاسمع إليه قائلاً:

أَعْـــدَدْتُ لِلأَعْـــدَاءِ عُـــدَّتَهَا التِـــي بِسِـــلاحِهَا يُلْقَـــى العَـــدُوُّ فَيُهْـــزَمُ

فَكَأَنَّمَـــا تِلْـــكَ السُّـــيوفُ بَـــوارِقُ ثَغْـــرِي فَتُغْمَـــدُ فـــي العَـــدُوِّ وتُـــدْغَمُ

وَكَأَنَّمَـــا تِلْـــكَ الـــذَّوَائبُ أَغْصُـــنٌ وَبِكُـــلِّ عَالِيَـــة سِـــنَانٌ لهْـــدَمُ

وَكَأَنَّمَـــا تلْـــكَ القســـيُّ أَهِلَّـــةٌ تَـــنَقَّضُ مِثْـــلُ الشَّـــهُبِ عَنْهَـــا الأَسْـــهُمُ

وكَـــأَنَّ تِلْـــكَ العَادِيَـــاتِ إِذَا عَـــدَتْ سِـــرْبٌ لِشُـــرْبِ دَمِ الأَعَـــادِي حُـــوَّمُ

وَكَـــأَنَّ سَـــابِحَهَا عُقَـــابٌ كَاسِـــرٌ وَعَلَيْـــهِ مِـــنْ أَسَـــدِ الفَـــوَارِسِ تَـــنَغُمِ

وَلَـــدَيْكَ جَـــيْشٌ مِـــنْ ْ سُـــعُودِكَ غَالِـــبٌ إِنَّ السُّـــعُودَ كَتَائِـــبٌ لاَ تُهْـــزَمُ ُ

وَأَســـوُدِ حَـــرْبٍ مِـــنْ بَنِيـــكَ تَخِـــيمُ عَـــنْ أَقْـــدَامِهَا أَسَـــدُ الحُـــرُوبِ وتُحْجَـــمِ[1]

[1]- ديوان النابغة الذبياني: تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، القاهرة، 1983، ص 74.

نخلص أخيراً ومن خلال الاطّلاع على فن التّصوير عند الثّغري أنَّه ليس بالمنفرد في الجمال والإبداع والابتكار، كما أنَّه ليس مغرقا في التقليد والإتباع، وإنَّما له طريقة مبتدعة حيناً وتقليدية جاهزة في أحايين آخرى، وهي أقرب إلى الصّورة الحسية منها إلى الجانب التَّجريدي، وهذا لا يثبت إلا حقيقة واحدة وهي مدى انتماء الشَّاعر إلى من سبقه من شعراء العصر الجاهلي، حيث يقول في إحدى مولدياته:

نَبـيٌّ لَـهُ فَضْـلٌ علـى كـلِ مُرْسَـلٍ كمَا فُضِّلتْ شمْسِ النَّهار الدَّراريَا[2]

فالثغري هنا يشبه فضل النبي الكريم على كل الأنبياء بفضل الشمس على سائر الكواكب والنجوم، ومن الصور التي شاع ذكرها في مولدياته تشبيه الرسول الأعظم بالنّور كالقمر والنجوم والشمس والبدر والكواكب، وفي حقيقة الأمر نجد هذه التشبيهات حاضرة في شعر المولديات عموماً، ومن ذلك قوله:

فـي لَيْلَـةِ الاثْنَـيْنِ أشْـرَقَ نـورُهُ بأجـلِّ شـهْرٍ أوْ بأسْـعَدِ عـامِ[3]

إن هذه الرقة في التعبير والدماثة والإحساس الراقي جاءت مجدولة في إتقان، صوَّر فيه الشاعر ما جال في نفسه من حب واحترام كبيرين للشخصية المحمدية، فجاء ذلك في صورة رائعة تنمّ عن قوة التعبير، وروعة التصوير، حيث غدت مزيجاً بين الاستعارة والتشبيه، مكونة في النهاية صورة تحمل كل هذه السمات، وعلى العموم فالصورة عند الثغري ارتبطت بالواقع الذي عاشه، حيث صوّر – كما رأينا – جانباً من المعارك التي خاضها أبو حمو موسى الثاني، ومن ثمَّ فقد برز هذا الجانب في شعره.

(1)-الديوان.

(2)- (3)- الديـوان.

رابعا- البنيـة العروضيـة و الإيقاعيـة :

1- الإيقـاع (الوزن والقافيـة) :

حظيت الموسيقى في القصيدة العربية القديمة بمكانة بالغة الأهمية، وقد تمثلت الصورة الموسيقية في الشعر العربي القديم في بحوره وقوافيه، التي مثلت بشكلها الذي وصلنا في مرحلة ناضجة...فكان البيت هو الوحدة الموسيقية للقصيدة العربية الجاهلية، وكانت صورته الموسيقية تتكون من الوزن والقافية[1].

وإنَّ فن الشعر في اللغة العربية، يناسب اللغة الشاعرة التي انتظمت مفرداتها وتراكيبها ومخارج حروفها على الأوزان والحركات وفصاحة النطق بالألفاظ، فأصبح لها من الشّعر الموزون فن مستقل بإيقاعه عن سائر الفنون التي يستند إليها الشعر في كثير من اللغات، فلا حاجة بالشعر العربي إلى إيقاع الرقص الذي يصاحب إنشاد الشعر كثير من اللغات الأخرى، لأن أشعار تلك اللغات تستعير الحركة المنتظمة من دقات الأقدام وحركات الأجسام في حلقات الرقص أو اللعب المنسق على حسب خطوات الإقبال والإدبار، والدوران، ولا حاجة بالشعر العربي إلى ملازمة الإيقاع المستعار من الرقص واللعب لأن أوزانه مستقلة بإيقاعها الذي يميز أقسامها وحدودها ويغنيها عن الأقسام والحدود في الفنون الأخرى[2]

لقد أجمع النقاد العرب على أن الوزن والقافية عنصران أساسيان في الشعر، وركن من أهم أركانه، لهذا لم يطلقوا مصطلح "شعر" على غير الكلام الموزون المقفى، بل إن ابن خلدون يقول عن الشعر والنثر: «ولم يفترقا إلا في الوزن»[3].

والحق أنَّ من أوتي أذنا مرهفة مرنت على حسن الإصغاء للشعر تدرك أن البيت الشعري يتكون من عدة وحدات نغمية تتكرر فيه كما يتكرر الإيقاع في الجملة الموسيقية، والوحدة النغمية هي توالي الحروف المتحركة والساكنة، على نحو منتظم دقيق، وتسمى

---

(1)- علي رحماني: الرفض والتجاوز في شعر أمل دنقل، بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في الأدب العربي، نوقشت في جامعة بسكرة 2003، إشراف مفقودة صالح، ص 81.

(2)- عباس محمود العقاد: اللغة الشاعرة مزايا الفن والتعبير في اللغة العربية، (دط)، مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة (د ت) ص30.

(3)- ابن خلدون: مقدمة بن خلدون، ط 5، الناشر دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، (د ت)، ص 520.

بالتفعيلة، فإذا بلغت التفعيلات عددا معينا نشأ ما يسمى بـ "الوزن" أو "البحر"، ويضاف إلى الوزن ما يعرف بـ"القافية" وهي الأصوات التي تتكرر في أواخر الأبيات من القصيدة، والقافية بمنزلة الفواصل الموسيقية، يتوقع السامع ترددها، ويستمتع بهذا التردد الذي يطرق الآذان في فترات منتظمة، وبعد عدد ثابت من التفعيلات.

وقد احتلت القافية مكانا هاما في الشعر العربي حتى كانت القصيدة تنسب إلى الروي، وهو أبرز حروف القافية فقيل: سينية البحري، وبائية أبي تمام، ولامية الشنفرى....

ويعتبر الوزن في الشعر العمودي مقوّما أساسيا، إذ البناء في القصيدة لا يقوم على الوزن وحده، وإنما يحتاج أن تنسجم جملة من العناصر لتحقق مع بعضها البعض التناسب الضروري بين المعنى والمبنى، وإذا كانت هذه العناصر متفاوتة في الأهمية فإن المتفق عليه أن القافية أهم هذه العناصر، حيث يرى النقاد القدامى وبعض المحدثين في قضية الوزن الشعري تتطلب ركوب بحر معين، تكون له علاقة وطيدة بالإحساس الذي يتفاعل في نفس الشاعر، فيرى " البهبيتي " أن أوزان الشعر قوالب للانفعالات، التي تجيش بنفس الشاعر، تتناسب مع حالاتها وتجانس صورها[1]، وعليه مال الشعراء القدامى إلى البحور الطويلة التي تتسع لعواطفهم وأحاسيسهم، ونحن حين نتساءل عن مدى ارتباط الثغري التلمساني في بحوره بمولدياته، يتبين لنا أن اعتماده على البحور الطويلة كالكامل والطويل والبسيط مرتبطة بالموضوعات التي يقل فيها الإنفعال، وإنما وجدناها ماثلة في فترات هدوئه فإرتبطت بمولدياته، ففي مولدياته التي يقول فيها :

أَعَلَّلُ نَفْسِي وَالتَّعَلُّلُ لاَ يُجْدِي ۞وإِنْ كَانَ أَحْيَانًا يُسَكِّنُ مِنْ وَجْدِي

فهذه القصيد من البحر الطويل، تجاوزت أبياتها الستين.

وكذلك قوله في مولودية أخرى :

(1) - نجيب محمد البهبيتي، تاريخ الشعر العربي حتى القرن الثالث هجري، دار الفكر مكتبة الخانجي ص 86.

شَرَفُ النُفُوس طَلاَبُهَا لِعُلاهَا وَلِبَاسُـــهَا التَقْـــوى اجَـــلُ حُلاهَـــا

حيث أن بحرها هو الكامل وعدد أبياتها تسعون بيتا وعلى العموم، فإن جل مولدياته تسير على هذا النمط، والثغر نجده في بعض قصائده، قد تقلب في أغراض مختلفة في القصيدة الواحدة، التي على وزن واحد حيث نجد فيها الغزل والزهد والمديح النبوي ومدح الملوك والأمراء مما يدل بوضوح، أنه ليست هناك صلة على الإطلاق بين الوزن والمعنى، فلو كانت هناك صلة، لنوّع الثغري أوزانه في القصيدة الواحدة، ليحقق بذلك مشاكله الوزن لتعدد الأغراض[1].

في الأخير نصل إلى النتيجة التالية، إن الثغري لم يربط في بحوره بين الوزن والمعنى، فهو ليس قالبا يصب فيه، ثم إن شاعرا قديرا كالثغري لا يفكر بالوزن في اللحظة التي يفكر فيها بالمعنى وسنبين في الجدول التالي البحور التي استعملها الثغري في مولدياته التي وصلتنا.

البحور	الكامل	الطويل	البسيط	الخبب
المولديات	04	05	01	01

ولا شك أن أهمية القافية لا تنبع من قيمتها الدلالية بقدر ما تنبع من الإيقاعية « فهي بمثابة الفواصل الموسيقية يتوقع السامع ترددها ويستمتع بمثل هذا التردد » [2]

وبديهي أن التوقع والاستماع ناتجان أساسيان عن التكرار المنتظم للمقاطع [3] وقد اهتم النقاد بدراسة القافية، فاختلفوا حول مفهومها، وهل هي آخر كلمة في البيت أم هي حرف الروي، أم أنّها تبدأ من آخر حرف متحرك في البيت إلى آخر ساكن ومتحرك يسبقانه [4].

والقافية بسبب تكرار حرف رويها فإنها أعلق بالحافظة، وأشد أثرا من بباقي كلمات البيت

(1) – نوار بوحلاسة، الثغري التلمساني، حياته وشعره دراسة وجمع وتحقيق، رسالة دكتوراه، ص 152.

(2) - عياد شكري محمد: موسيقى الشعر العربي، دار المعرفة، القاهرة، 1968، ص 246.

(3)- جابر عصفور : مفهوم الشعر، ط3 ، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، 1983، ص 263.

(4)- السعيد الورقي : لغة الشعر العربي الحديث ومقوماته الفنية وطاقاته الإبداعية، ص 165.

ولا شك أن أهمية القافية لا تنبع من قيمتها الدلالية بقدر ما تنبع من الإيقاعية « فهي بمثابة الفواصل الموسيقية يتوقع السامع ترددها ويستمتع بمثل هذا التردد»[1].

ولعل مكانـة القافيـة هو مـا أدى إلـى اختلاف أهل اللغـة والعروض فـي حصـرها، إذ يـرى بعضـهم أنهـا الكلمـة الأخيـرة، وبعضـهم الآخـر يـرى أنهـا الكلمـة الأخيـرة بشـيء قبلهـا، وقال بعضهم أنها القصيدة كاملة، وذهب بعضـهم إلـى أنهـا البيت، وقـال بعضـهم أنهـا حـرف الرّوي من البيت وما بينهما مع حركة ما قبل الساكن الأول[2].

بالنظر إلى الرّوي تنقسم القافية إلى موحدة ومتعددة، فإذا تكرر الرّوي فـي القصـيدة من أولها إلى آخرها كانت القافية موحدة، وإذا اختلف فيها من مكان إلى آخر كانت متعددة.

2- التكـرار:

أ- مفهـومـه لغـة: هو مصدر"كرَّر" إذا ردد وأعاد ،يقال كرر الشيء تكريرا وتكرارا أعـاده مرة بعد أخرى[3]

ب- اصطلاحا: هو دلالة اللفظ علـى المعنـى مرددا كقولـك لمـن تستدعيه: أسـرع فـإن المعنـى مردد واللفظ واحد[4] ويكون بتكرار حرف، أو لفظة أو جملة أو حركة .

وتعريفـه عنـد القدماء لا يخـرج عـن هذا الإطـار وقسموه إلـى تكرار لفظـي وتكـرار معنوي[5]

- وظائفــه :

يجمع التكرار بين وظيفتين: جمالية ونفعية

---

(1)- عياد شكري محمد: موسيقى الشعر العربي، دار المعرفة، القاهرة، 1968، ص 246.

(2)- التنوخي أبو يعلى عبد الباقي بن محسن: كتاب القوافي، تحقيق محمد عوني عبد الرؤوف، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1975، ص 37.

(3)- الفيروز أبادي : القاموس المحيط، ج2، مطبعة مصطفى الحلبي، القاهرة، ص 125 ، ولسان العرب، م5، ص135.

(4)- محمود السيد شيخون: أسرار التكرار في لغة القرآن، نقلا عن عبد الرحمن تبرمسين، ص203.

(5)- عبد الرحمان تبرما سين: البنية الإيقاعية للقصيدة المعاصرة في الجزائر، ط1، دار الفجر للنشر والتوزيع، 2003 ص197.

- فالجماليـة كمـا فـي النصـوص الأدبيـة والأعمـال الفنيـة والعمرانيـة القائمـة علـى الحركـة الإيقاعية فقط، والقصيدة بصفة خاصة تستفيد من التكرار فائدة العمارة من تتالي العنصر الهندسي المكرر أو من انتشاره كما في الزخرفة الإسلامية[1].

- أما وظيفته النفعية فتنقسم إلى قسمين:

1- تساعد على الحفظ و حسن الأداء في الأعمال المعنوية والمروية.

2- تستفيد من أشكاله الهندسية المكرَّرة إمَّا في العمارة أو في الأواعي والأواني المنزلية المختلفة، وفي هذا يقترن النفعي بالجمالي، كما هو الشأن في تقديم وجبة شهية محملة بعناصر غذائية صمَّمت وفق شكل ما اعتمد التكرار كأساس للتلوين والتجميل[2]

أما في قصائد الثغري، فالتكرار يمثل عنده مظهرا من مظاهر الصَّنعة الفنية ويتجلى ذلك في تكراره لبعض الكلمات أو الأشطر في القصيدة الواحدة مما يجعل في القصيدة بعض النقص والضعف الفني، حتى يصل بها إلى فقدان رونق الشعر وجمال عبارته، ويتضح ذلك في قوله عندما يمدح أبا حمو موسى الثاني:

أعْـدَدْتُ للأعْـدَاءِ عُـدَّتَهَا التّـي ... سِـلاَحُهَا يَلْقَـى العَـدُوَ فَيُهْـزَمُ
فَكَأنَمَـا تِلْـكَ السُـيُوف بِـوَارِقٍ ... تُعَـرَى فَتَغْمَـدُ فِـي العَـدُو وَتَـدْغَمُ
وكَأنَمَـا تِلْـكَ الـذَوَابِلُ أغْصُـنٌ ... وبِكـلِّ عَالِيـةٍ سِـنَانٌ لَهْـذَمٌ
وكَأنَمَـا تِلْـكَ القسِّـي أهِلَّـةٌ ... تَـنْقَضُّ مِثْـلَ الشَـهْبِ عَنْهَـا الأسْـهُمُ
وكأنَّمـا تِلْـكَ العَادِيَـاتِ إذَا عُـدَّتْ ... سِـرْبٌ لَشَـرَبَ دمِ الأعَـادِي حَـوّمٌ
وكـأنّ سـابِحَاتِ عُقَـابَ كَاسِـرٌ ... وعَلَيْـه مِـنْ أسْـدِ الفَـوَارِسِ ضَـيْغَمٌ[3]

وقوله أيضا:

---

(1)- المرجع السابق، ص 198.

(2)- المرجع السابق، ص 198.

(3)- (2) - الديـوان.

أوْصِـي بِهَـا نَفْسِـي ومَـا مِـنْ أَمَـةٍ إلاّ وخَالِقُهَـــا بِهَـــا أوْصَـــاهاَ
مَـنْ لِـي بِـنَفْسٍ تَـدَّعِي طَلَـبَ العُـلا قَـــوْلاً فَيُصِـــيبُ فعْلُهَـــا دَعْوَاهَـــا
مَنْ لِي بِنَفْسٍ تَمْتَطِي خَطَرَ السَّرَى لِتَـــرَى مُنَاهَـــا عِنْـــدَ خِيِـــفِ مُنَاهَـــا
إن كَـــانَ مُوسَـــى للخِلاَفَـــةِ بَـــدْرُهَا فَالتَاشْـــفِّ ُي شَمْسُـــهَا وضُـــحَاهَا
إن كَـــانَ مُوسَـــى للخِلاَفَـــةِ صَـــدْرُهَا فَالتَاشْـــــفِي قَلْبُهَـــــا وحُجَاهَـــــا
إن كَـــانَ مُوسَـــى للخِلاَفَـــةِ سَـــحْبُهَا فَالتَاشْـــــفِي غَيْثَهَـــــا ونِـــــدَاهَا
إن كَـــانَ مُوسَـــى للخِلاَفَـــةِ لَحْظَهَـــا فَالتَاشْـــــفِيُّ نُورُهَـــــا وسَـــــنَاهَا[1]

إن من الثابت أن الثغري قد تعمد تكرار بعض الجمل والكلمات أكثر من مرة مما ولّد نوعا من الثقل والركاكة، ولعل السّبب يعود إلى البيئة التي نشأ فيها الشاعر، هذه البيئة التي عرفت ترتيل الأذكار في المساجد والزوايا، حيث كانت هذه الأخيرة تقوم على خاصية التكرار، إذ يتردد فيها الكثير من الكلمات والمقاطع التي تساهم في خلق إيقاع موسيقي معين ينسجم مع ما يهيم فيه المنشدون من نشوة وخشوع.

3- رد الصدر على العجز:

يسمى بالتَّصدير أو كما يطلق عليه البلاغيُّون بالملحق المتجانس الآخر، إلا أنَّه قليل جداً في شعر الثغري إذا ما قسناه بالنسبة للطباق والجناس وأنواع أخرى من التشبيهات المعروفة والمعتادة فمن ذلك قوله:

سَرُوا فِي الدُجَى يفْلُون نَاصِيةَ الفَلَى وعِنْدَ صِيَاحِ القَوْمِ قَدْ حَمَدُوا المَسْرَى [2]

وقوله في القصيدة نفسها:

وأخْطَرُ مَا يَلْقَى المُحِبَّ ِبهِ الرَّ ِدَى وكُلُّ مُحِبٍ لا يَرَى للرَّ ِدَى خَطَرًا[2]

---

(2) – (2) – (3) – الديوان.

[4]- الأزهر الزناد دروس في البلاغة العربية نحو رؤية جديدة، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1992، ص 153.

وقوله كذلك :

الطَلَـى أدْرَى بِطَعْنِ الـرُمْحِ فِـي مُهْـجِ ولَكِـنْ بِضَـرْبِ السَـيّفِ فَـوْقَ الطَلَـى[2]

ففي هذه الأمثلة التي وقفنا عندها نجد أنَّ الثغري قد استطاع أن يرد الصَّدر عن العجز بذكاء فني غير متكلّف، حتى بدت الأبيات مشرقة الإبداع، وجميلة السَّبك.

4- التجنيس:

يعد نوعا من المحسنات وعموما فإن تعريفه عند البلاغيين (أن يتفق لفظان أو أكثر في الأصوات المكونة لهما ويختلفان في المعنى) [4] حيث يعرف ترديدا صوتيا يثري القصيدة إيقاعيا.

والذي يتبع شعر الثغري يجده مفتونا بالجناس حيث استخدمه استخداما واسعا ومن أمثلته قوله:

تَاهــتْ تِلْمْسَــانُ بِحســنِ شَــبَابِهَا وَبَـدَى طِـرازُ الحُسْـنِ فِـي جِلْبابهَـا

فَالبِشْـرُ يَبْـدُو مِـنْ حُبَـابِ ثَغُورِهَـا مُبْتَسِــما أوْ مِــنْ ثَغُــورِ حُبَابِهَــا

حَسُـنَتْ بِحُسْـنِ مَلِيكهَـا المَـوْلَى أبِـي حَمُـو الَـذِي يَحْمِـي حِمَـى أرْبَابِهَـا

مَلــكٌ شَــمَائِلُهُ كَزَهْــرِ رِيَاضــهَا وَنَـدَا فَـاضَ بِهَـا كَفَـيْضِ عُبَابِهَـا

أعْلَـى المُلُـوكَ الصَـيْدَ مِـنْ أعْلاَهَـا وَأجَــلُ مِــنْ صَــفْوَتِهَا وَلُبَابِهَــا

ما نلاحظه في هذه الأبيات اعتماد الشاعر على التجنيس الاشتقاقي، فقد جانس في البيت الأول بين (حسن، الحسن)، وفي الشطر الثاني بين (حباب ثغورها، ثغور حبابها)، وفي البيت الثالث بين (حسنت، حسن) وبين (يحمى، حمى)، وفي البيت الرابع بين (فاض، فيض)، البيت الأخير (أعلى، وأعلاها).

وفي الواقع هذه الجناسات تقريبا هي جناسات إشتقاق حيث أشتق بعضها من بعض، لكن هذا لم يمنع من وجود التوافق والانسجام الصوتيين داخل القصيدة، حيث مناحاها جرسا موسيقيا مميزا، وبذلك استطاعت هذه المفردات المتجانسة أن تعطي القصيدة ميزة جمالية تنضاف إلى القيم الإيقاعية التي تجمل القصيدة وتمنحها الجرس العذب الذي يؤثر في القارئ سمعا وبصرا.

ويقول في قصيدة أخرى:

كَيْــفَ لاَ يحــنُ لَــهُ فُــؤادُ مُتَــيَّمٌ وَالجِــذْعُ حَــنَّ لَــهُ حَنِــين هُيَــامِ

إلى أن يقول:

وَلَقَــدْ عَــلاَ فَــوْقَ السَــمَوَاتِ العُلَــى وَسَــمَا إِلَــى ذَاكَ المَحَــلَّ السَّــامَيِ

فِــي حِــين لاَ مُلْــكُ وَلاَ فُلْــكُ وُلاَ نَجْــمٌ وَلاَ عَلَــمٌ مَــنْ الأعْــلاَمِ

فَــأَتَمَ نِعْمَتَــهُ عَلَيْــهِ رَبَــهُ فِــي كُــلِ أَمْــرٍ أَفْضَــلَ إِتْمَــام

إن الجناسات الواردة في هذه الأمثلة محدودة القيمة في جانبها الفني لأنه يأتي بالمعاني المخالفة فهو أقرب إلى تكرار الكلمة بمبناها، لكنه من الناحية الإيقاعية أعطى للقصيدة ترددا صوتيا ظهر بقوة في الأحرف المتجانسة في العديد من تلك الكلمات والتي لم تخل من التكرار الذي منحها صفة ذاك التردد في جو من التناسق والتناغم وهذه صفات رئيسية في الإيقاع الذي يحدثه الجناس، وخلاصة القول في هذا المبحث عند الثغري أنه يكثر من الجناس ويوليه اهتماما بينا مثله مثل الطبقات الكبيرة في ثغره، حيث بدل ذلك على مهاراته الإبداعية فهو يسعى إلى تحقيق النغم في قصائده.

5- الترصيــع :

عنصر بديعي وعامل ايقاعي يعمل على تحلية القصيدة فيضفي عليها شيئا من الرونق يحي ماءها الذي يمنحها فرع من الومضات النغمية التي تجعل العملية الإيقاعية تتحدد وتتمدد ومن ثمت يقوم بوظيفة سلب المتلقي وتجعله يهتز طربا لهذا التركيب [1]

وقد اشترط البلاغيون منه التقليل منه كي يكون حسنا فإذا كثر وتوافى دل على التكلف والضعف، وعموما فالترصيع نوع من أنواع التكرار الصوتي وعادة ما يكون في حشو

[1] - عبد الرحمان تبرماسين، البنية الإيقاعية للقصيدة المعاصرة في الجزائر، ط1، دار الفجر للنشر والتوزيع، 2003، ص 240.

البيت فالقوافي الداخلية إذا تنتج عن هذا الترصيع، حيث لا يمكنها أن تكثر اعتبارا لشرطي القلة وعدم التكلف اللذين قال بهما البلاغيون، لكن هذا لا يمنع أن الترصيع يأخذ أبعادا جمالية في القصيدة حيث تقوم بالوظيفة التعبيرية وتحديد النغم الموسيقي في القصيدة، ومثال ذلك قول الثغري:

أَسَـائِلُ عَـنْ نَجْـدٍ وَدمْعِـي سِـائَلُ بَـيْنَ صَـبَا نَجْـدِ وَشَـوْقِي رَسَـائِلُ

وَلِي عِنْدَهُمْ مِنْ صِدْق وَدِي وَسَائِلُ وَحَاشَـا لـدَيْهُمْ أنْ تَغِيـبَ الْوَسَـائِلُ

كذلك قوله:

ذَكَـرَ الحِمَـى فَتَضَـاعَفَتْ أشْـجَانُهُ شَـوْقًا وَضَـاقَ بِسِـرَّهِ كِتْمَانُـهُ

دَنِـفٌ تَـذَكَّرَ مِـنْ عُهُـودِ وَدِادَهِ مَـا لَـمْ يَكُـنْ مِـنْ شَـأنِهِ نِسْـيَانُهُ

إن الترصيع الموجود في المثاليين المتقدمين قد وجد في حشو الأبيات وخلق ما يسمى بالقوافي الداخلية وهذا ما منح القصيدة ترديد مقاطع صوتية متماثلة نقد حزبا من الإيقاع والتناغم، كما نجده قد جمع بين مستويي الترصيع والتكرار في قوله:

إن كَـانَ مُوسَـى للخِلاَفَـةِ بَـدْرُهَا فَالتَاشْـفِّـُي شَمْسُـهَا وضُـحَاهَا

إن كَـانَ مُوسَـى للخِلاَفَـةِ صَـدْرُهَا فَالتَاشْـفِي قَلْبُهَـا وحُجَاهَـا

إن كَـانَ مُوسَـى للخِلاَفَـةِ سَـحْبُهَا فَالتَاشْـفِي غَيْثُهَـا ونِـدَاهَا

إن كَـانَ مُوسَـى للخِلاَفَـةِ لَحْظَهَـا فَالتَاشْـفِيُّ نُورُهَـا وسَـنَاهَا

لقد استطاع الثغري في هذه الأبيات أن يجمع بين الترصيع والتكرار حيث عمل هذا الترصيع على التكرار الصوائت القصيرة والطويلة المولدة للنغم في جو من التناسق القائم على التوازن في تكرار الجمل.

وأخيراً يمكننا أن نستخلص أنَّ شعر الثغري التلمساني في أغلبه بسيط، ذو مسحة جمالية وصور فنية مشرقة، رغم أنَّه عاش في فترة خمدت فيها قوة الإبداع، حيث تلون

الشعر فيها بـألوان المناسبات الدينية، كما لاحظنا ذلك. غير أنَّ مولدياته تظل تحكي نبل التجربة وصدق العاطفة وجمال الصياغة.

أولا: الانفــراد

يجب أن نؤكّد بأنَّ الثغري التلمساني، وبعد تفحصنا لديوانه قد وجدناه شاعرا مقلداً كغيره من الشعراء المغاربة في القرنين الثامن والتاسع الهجريين ،

غير أن هذا لم يمنع من تميزه وتفرده في باب مهم جدا يكمن في كون غرض المولديات عنده لم يعد مجرَّد تعقُّب لآثار القدماء والأسلاف، وإنَّما كان إلى جانب ذلك فناً شعرياً له منطقه وقوانينه الخاصة، تلك القوانين التي نجدها تتكرر من نص إلى آخر لتعطينا في النهاية مضموناً له مكوناته التي تنظِّمه، وتجعل منه عملاً متفرداً بخصوصيات بارزة تتمثل في صدق العاطفة الدينية، وشمولية الشعور بالقداسة والتعظيم، لا زيف ولا تعمّل في مولدياته جميعها، فهو يعبر بها عن روح ملأى بنشوة الإجلال والإكبار، الفوّاحة بعبير التبجيل والتكريم، ذلك العبير الذي نلحظه في ثنايا الصفات الكثيرة التي وصف بها الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم[1].

ومردّ افتقار الثغري للتميز والانفراد في بناء القصيدة المولدية وخصائصها يعود إلى عاملين أساسيين :

أولهما : تأثير قصيدة الأديب الشقراطيسي فيما جاء بعدها من مولديات إذا عرفنا أنَّه عاش في القرن الخامس الهجري، وأنَّ" ابن عمار" الرحالة الجزائري: رأى فيها فتحاً جديداً لشعر المولديات وذلك «لانقياد البلاغة في أزمتها ولكونها فتحت للافتتان أبوابا وأحكمت من نسج البديع أثوابها، وطار صيتها في الآفاق، وانعقد على بركتها الإجماع والاتفاق»[2].

وقد علّق عنها عبد الله حمّادي على أنَّها تركت على كل المولديات بصمات، حيث سدَّت أمامها الأبواب الشعرية، ورسمت لهم منهجاً سار فيه الجميع، كذاك التأثير الذي تركته القصيدة الجاهلية على سائر الشعر العربي، حيث لم يستطع الشعراء الذين جاءوا بعده أن يبدعوا في هذا المجال، ممَّا دفعهم للعودة إلى كتب السّير والمغازي علّهم يظفرون بجديد، فقد أحاط الرجل بكل تلك المادة[3].

وعليه فإن الثغري كان واحدا من هؤلاء، لم يستطع أن يأتِ بجديد في هذا الباب.

([1])- الثغري التلمساني: مذكرة ماجستير، إعداد نوار بوحلاسة ، ص 93.

([2])- ابن عمار: الرحلة ، ص117.

([3])- عبد الله حمادي: دراسات في الأدب المغربي القديم، ص 243-244.

وثانيهما : نجد أن مجاراته النَّموذج القديم الأمثل راجع إلى سببين اثنين هما:

الأول: إلحاح الظروف في التنافس الحاد بين الثغري ومنافسيه في حضرة السلطان أبي حمّو الثَّاني، وأيّهم أكثر شاعرية في نظره ليكون الأجدر بنواله وعطاياه، خاصة وأنَّه أمير أديب وشاعر كما أنَّه واحد من الشعراء المقلّدين المحبّبين للنموذج القديم.

أما **الثاني**: فراجع لرغبة الثغري في تأكيد اقتداره على مجاراة الأوائل في فنِّهم، ثمَّ إنَّ تأثير ناقد مغربي كبير "كابن رشيق" له وزنه في اتباع الثغري هذا النّموذج القديم. فرغم إقراره بالتطوّرات التي وجدت على حياة الشعراء العبّاسيين وانعكست آثارها على بناء قصائدهم، فإنّه يشير في خفاء إلى عدم رضاه بما استحدثه الشعراء من تغيرات في نظام القصيدة العربية الجاهلية في قوله: «... فلذلك أول ما تبدأ أشعارهم بذكر الدّيار فتلك ديارهم وليست كأبنية الحاضرة، فلا معنى لذكر الحضر الديّار إلا مجازاً، لأنَّ الحاضرة لا تنسفها الرياح ،ولا يمحوها المطر... ولم يكن أحدهم يرضى بالكذب فيصف ما ليس عنده كما فعل المحدثون... إلاَّ أنَّ منهم –المحدثون- من خالف هذا كله، فوصف أنّه قصد الممدوح راجلاً، إمّا إخباراً بالصّدق وإماً تعاطي صعلكة ورُجلة»[1].

ثانيا: الاشتـراك

تجدر بنا الملاحظة في هذا الباب أن نبين الأمر التالي: وهو أن مولديات الثغري تحافظ على خصائص الشّعر العربي القديم، أو ما يسمَّى بعمود الشعر عند النقّاد القدامى، كما تحافظ على خصائص الشّعراء المعاصرين له في القرنين الثامن والتاسع الهجريين، فلا تخلو قصيدة من قصائده من هذه السنة المتبعة التي اتخذها النقاد العرب منذ بداية الشعر العربي مقياساً ثابتاً يقوِّمون على أساسه الشُّعراء، فقد بيّن ابن قتيبة دواعي إتباع هذا الشَّكل الفني واستمراره،" إنّ مقصد القصيد إنّما ابتدأ فيها بذكر الديّار والدمن والآثار، فبكى وشكا وخاطب الربع واستوقف الرفيق ليجعل ذلك سبباً لذكر أهلها الضاعنين عنها، إذ كان نازلة العمد في الحلول والضعن على خلاف ما عليه نازلة المدر، لانتجاعهم الكلأ من ماء إلى ماء، وتتبّعهم مساقط الغيث، حيث كان،ثم وصل بعد ذلك بالنسيب فشكا شدّة الشوق وألم الوجد والفراق، وفرط الصبابة ليميل نحوه القلوب، ويصرف إليه الوجوه ويستدعي به

(1)- ابن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ج 1،تحقيق محمد محي الدين عبد المجيد، دار الرشاد الحديثة،الدار البيضاء بالمغرب الأقصى(د،ت)،ص 226-228.

إصغاء الأسماع إليه، والاستماع به عقب بإيجاب الحقوق فرحل في شعره، وشكا النّصب وسرى الليل، وانضاء الراحلة والبعد، فإذا علم أنّه قد أوجب على صاحبه حق الرجاء وذمامة التأميل وقرر عنده ما ناله من المكاره في المسير بدأ في المديح، فبعثه على المكافأة وهزّه للسماح..»[1].

ومن هنا يأتي الحديث عن بناء ومضمون القصيدة المولدية عند الثغري وعليه، فقصائده تنقسم إلى ثلاثة أقسام وهي: المقدمة والصّدر الذي ينقسم بدوره إلى قسمين؛ مدح الرّسول الكريم ،ومدح الخليفة أو السلطان الذي رفعت إليه المولدية، أمَّا القسم الثالث فهو الخاتمة التي نادراً ما تخلو منها بعض القصائد.

1- المقدمة :

لقد تعدَّدت أنواع المطالع عند الثغري كالوقوف على الأطلال والبكاء عليها، ومحاولة استنطاقها والدعاء لها، وقد تأتي المقدمات غزلية كالتغزّل بالأماكن المقدسة والشوق إليها وتحميل الركب حديثاً شيقاً يبثه لتلك البقاع المقدسة[2].

وقد تكون مطالع شيبية، حيث يبكي الشاعر على مرحلة الشباب ويخاف من إنذار الشيب، حيث يعبّر عن ندمه واستعداده للتَّوبة واللّجوء إلى الرَّسول الكريم، كما نجد نوعاً من مختلفاً من هذه المقدمات كالحديث عن الرّحلة إلى البقاع المقدّسة ووصف مشقّة السَّفر وما يلاقيه الشّاعر من متاعب وأخطار نظراً لبعد المسافة بين تلمسان والبقاع المقدّسة.

وقبل أن نعطي أمثلة على كل نوع، لا بأس أن نأتي برأي النقّاد حول هذه المطالع،و كيف فسّروها،" فابن قتيبة" يرى في المقدّمة الطللية أن الشاعر لم يقف على الديار إلاَّ ليتّخذها وسيلة لذكر أهلها، ويتخذ منها أداة لجلب الانتباه واستمالة القلوب نحوه ،لأنَّه بذكره للغزل يوقظ عند السّامعين تجاربهم المشابهة لتجربته[3].

([1])- ابن قتيبة عبد الله بن مسلم: الشعر والشعراء، ط 2 ،دار إحياء العلوم،بيروت 1987م، ص 31.

([2])- محمد زلاقي: شعر المولديات في المغرب الإسلامي بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير، نقلا عن نوار بوحلاسة"الثغري التلمساني"ص 172.

([3])- فاتح الجميلي: بناء قصيدة المديح عند ابن هاني الأندلسي، بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير،إشراف الربعي بن سلامة ،نوقشت في جامعة قسنطينة، 1998-1999، ص 80.

وهذا الرَّأي نفسه نجده عند ابن رشيق، حيث عبَّر عن ذلك في قوله: «وللشّعراء مذاهب في افتتاح القصائد بالنسيب، لما فيه من عطف القلوب، واستدعاء القبول، بحسب ما في الطباع من حب الغزل والميل إلى اللَّهو والنّساء، وإنَّ ذلك استدراجاً لما بعده»[1]

أمَّا فيما يخص المقدّمة الشيبية فيبكي الشاعر ذكريات شبابه فيتألَّم لضياعها، ويبكي على فقدانها، وفيها يفسح العبرات تفجّعاً على حبه الدّاثر في الأيام الماضية، وعموماً فمقدمات القصائد بأنواعها ذات أهميّة بالغة كما بيَّن ذلك "كولوريدج"، حيث وقف عندها وقفة طويلة على اعتبار أنَّ كل شيء سيولد منها[2].

وخلاصة الأمر في المقدمات أن تكون مؤثرة في السّامع لفظاً ومعنى، تدل على الغرض المراد ،لأنَّ الشّاعر يصوغ القصيدة بما يلائم أحوال المستمعين بغية خلق أثر في نفوسهم، والأثر هنا معناه الوصول إلى وعي مشترك بين الشاعر والمستمع، بواسطة الخطاب، والوعي قد يكون قيمة أخلاقية أو جمالية فنية، أو غير ذلك ممَّا يريد الشاعر إثباته وزرعه في نفس المتلقّي.

أ-المقدمة الغزلية:

وانطلاقاً من هذه الإحاطة الوجيزة بمطالع القصائد يمكننا أن ندرس الأنواع التي جاءت في ديوان الثغري،يقول الثغري في إحدى مولدياته التي رفعها لأبي حمو موسى الثاني سنة 720هـ وقد جاء مطلعها غزلياً:

لَوْلاَ هَوَى ذَات الجِنَانِ السَّامِي مَا شِمْتُ ثَغْرَكِ البَسَّامِ
بَرْقٌ يُعَارِضُهُ الفُؤادُ إذَا بَدَا مَا بَيْنَ خَفْقٍ دَائِمٍ وضِرَامِ
فَوَمْضُهُ يُذكِي الجَوْى مِنْ جَوانحِي مَهْماَ تَألّقَ في مُتُونِ غَمَامِ
وَافى بِخَبَرٍ عَنْ رُبُوعِ أحبَّتي خَيْراً لِحَديث العَهْدِ بالإلْمَامِ[3]

(1)- ابن رشيق: العمدة، ج 1، ص 225.

(2)- بدوي محمد مصطفى: كولوريدج، سلسلة نوابغ الفكر العربي، ط 2، دار المعارف، مصر،1958م، ص 93.

(3)- ديوان الثغري التلمساني.

إنَّ الشَّاعر في هذه الأبيات يتذكَّر حبيبته ،ويحنُّ إليها، فيستعمل البرق والربح كوسيلة من وسائل الإخبار عن الحبيب، غير أنَّ حبيبة الثَّغري هنا ليست امرأة يدعوها باسمها وإنَّما هي البقاع المقدّسة حين يزداد تشوُّقهُ إلى زيارتها.

ويبدوُ استدعاء الشّاعر لمفردات الشّعر القديم واضحة في شعره ممَّا يحيلنا إلى الشّعر الجاهلي في قول عبيد بن الأبرص:

يَا مَنْ لِبَرْقٍ بِتُّ اللّيْلَ أرْقُبُهُ مِنْ عَارضِ كَبَيَّاضِ الصُّبْحِ لَمَّاحِ

كما يبدو تأثُّرهُ بالإمام البوصيري في قوله:

أمْ هَبَّتِ الرّيحُ مِنْ تِلْقَاءِ كَاظِمَةٍ وَأوْمَضَ البَرْقُ في الظَّلْمَاءِ مِنْ إِضَمِ

أمَّا في مقدمة غزلية آخرى،فإنه يتذكر حبيبته فتتضاعف أشجانه، ولم يعد بإمكانه الكتمان، فيطلب من النَّسيم أن يحمل سلامه إليها، ويبثُّ الرّكبان حديثاً يبلّغونه إليها، أمَّا هو صابرٌ على حاله لأنّه يدرك أنّه ككل المحبّين يصبرون ولا ينسون أبداً، فالمحبُّ محرَّم سلوانه:

ذَكَرَ الحمَى فَتَضاعفَتْ أشجَانهَ شَوْقاً وضَاقَ بسرّهِ كِتْمَانُهُ

دَنِفٌ تذّكُرُ مِنْ عُهودِهِ وِدَادَهُ مَا لَمْ يَكُنْ مِنْ شَأنِهِ نِسْيَانُهُ

يَهْفُو لِبَرْقِ الابْرقيْنِ تعَلّلاً والقَلْبُ منْهُ دَائِمٌ خَفَقانُهُ

ويُسَائلُ الرُّكْبَانَ عنْ ذَاكَ الحِمَى فَتُثِيرُ كَامِنَ وجْدِهِ رُكْبَانُهُ

ويَرُومُ سُلْوَانُ الحِمَى فَيُجيبُهُ: أنَّ المُحبَّ مُحَرَّمٌ سلْوَانُهُ[1]

ب- المقدمة الشيبية:

أمَّا المقدمة الشيبية فنجدها ماثلة في المولدية التالية التي قالها في سنة 771هـ:

أقصْرُ فَإِنَّ نَذيرَ الشيبِ وأفَانِي وأنْكَرَتْني الغَواني بعْدَ عِرْفَاني

وقَدْ تَمَاديْتُ في غَيٍّ بِلاَ رَشَدٍ والنَّفْسُ تأمُرنِي والشّيبُ يَنْهَانِي

قَقلْتُ للنَّفْسِ إذْ طَالَتْ بطَالَتُهَا: مَهْلاً ألَمْ يَإنْ أن تخشي ألَمْ يانِ؟

كَمْ منْ خُطَى في الخُطَايا خَطوْتِ ولمْ تُراقبِ الله في سرٍّ وَ إعَلاَنِ؟!

(1)- الديوان.

فـــلاَ تغرُّنَّـــكَ الـــدُّنْياَ بزُخْرفِهَـــا فيـــاَ نَدَامَـــةَ مـــنْ يغْتـــرُّ بالفَـــاني
فَلـــيْسَ فيهـــاَ وِصَـــالٌ دونَ هجْـــرَان ولـــيْسَ فيهَـــا كَمـــالٌ دونَ نقصَـــانِ[2]

إنَّ الشّاعر في هذا المقدمة الشيبية يبكي شبابه الذي وضعه أمام أمر قطعي محتوم، وهو ضرورة التَّوبة والرّجوع إلى الله قبل فوات الأوان، لأنَّه أدرك أنَّ الدّنيا زوال وقتا مهماً طالت أيّامها وأنَّ النَّاس فيها على ميعاد،فراح يخاطب نفسه التي طال غيّها وطيشها،قائلا:ألم يحن وقت التوبة والخشية من الله،إلى متى وأنت تخطين خطى الشيطان والمعصية، وتتناسين مراقبة الله لك، إن الدنيا دار زائلة فانية،فعليك بالعودة لله تعلى مادامت هناك فرصة.

ولا يخفى أنَّ الثَّغري في هذا المقدمة قد استدعى قصيدة أبي العلاء المعري التي يقول فيها:

غيْـرَ مجْـدٍ فـي ملّتـي واعْتِقَـادي نَـوْحٌ بـاكٍ أوْ تـرَنُّمِ شَادي
وَشـبيهُ صَـوْتُ الْشـيرِ إذاَ قيسَ بصوْتِ النَعّي في كلِّ وادِ
أبَكَـتْ تلْكُـمُ الحمَامَـة أمْ غنَّـتْ علـى فـرْعِ غُصْـنِهَا الميَّـادِ

إلى أن يقول:

تَعَـبٌ كُلّهَـا الحَيَـاةُ فَمَـا أعْجَـبُ إلاّ مـنْ رَاغـبٍ فِـي ازْدِيَـادِ
إنَّ حُزْنًـا فِـي سَـاعَةِ المَـوْتِ أضْـعَا فُ سُـرورُ فِـي سَـاعَةِ المِـيلاَدِ
خُلـقَ النّـاسُ لِلْبَقَـاءِ فَضـلتْ أمَّـةً يَحْسَـبُونَهُمْ للنّفَـاذِ
إنَّمَـا يُنْقلُـونَ مِـنْ دَار أعْمـا لٍ إلـى دَارِ شِـقْوةٍ أوْ رَشَـادِ
ضَجْعة المَوْتِ رقْدَةٌ يسْتَريحُ الجسْـمِ فِيهَا والعَيْشٌ مِثْلُ السُّهَادِ

وفي مقدمة أخرى يقول :

ومَـا إنْ ذَممْـتُ الشيبَ أدْخلُ مَفْرَقَـي فَكمْ منْ يَّدِ الشّيبِ شمَكْنُورةُ عنْدِي
ينفّـرُ شـيْطَانُ الغِوايَـةِ نُـوره إذَا حلَّ في فُودي ويَهْدي إلَى الرُّشْدِ
إذَا ابْـيضَّ فـوَادي زَادَ طبْعـي رِقَّـةً كماَ وَصَفُوا البيضَ الرّقاَقَ منَ الهنْدِ
وإنِّـي وَإنْ كُانـتْ ذَنُـوبي كَثيـرةٌ وآثَـرْتُ غَـيَّ إذْ تَعاميْـتُ عـنْ رَشَـدِ

لأرْجُـــو شَـــفيعَ المُـــذنبينَ مُحمَّـــداً يشْـفَعُهُ المَـوْلَى فيشْـفَعُ فـي العَبْـدِ[1]

فهنا يذكر الشَّاعر شكره العميق للشّيب الذي بدأ يدخل مفرقه، حيث أنَّ ظهوره قد نفَّر منه الشَّيطان؛شيطان الغواية والذّنوب، بينما قرَّب منه نور الهداية والرّشد ،وزاد طبعه رقَّة ورزانة، ورغم كثرة ذنوبه التي ارتكبها في صباه وشبابه إلاَّ أنَّه يرجو شفيع المذنبين محمّداً ليشفع له عند الله سبحانه وتعالى[2]، فيغفر له ذنوبه ويتجاوز عن سيئاته،ويدخله مدخلا كريما بإذنه،وعموماً فالمطلع الشيبي هذا،فيه استدعاء للشّعر القديم وبالتّحديد قول أبو العتاهية:

عُرّيـتُ مـنَ الشَّـبابِ وكَـانَ غضًّـا كمَـا يُعـرَّى مـنَ الـوَرَقِ القَضـيبُ
بَكيـتُ علـى الشَّـبابِ بـدمْعِ عيْنـي فَلـمْ يُغْـنِ البُكـاءُ ولاَ النَّحيـبُ
ألاَ ليْـتَ الشّـباب يعُـودُ يوْمـاً فـأخْبرُهُ بمَـا فعَـلَ المَشـيبُ

كما يبدو تأثّره بقول أبي نوّاس التالي:

يـا ربُّ إنْ عظَمَـتْ ذَنـوبي كثِـرة فلقَـدْ علمْـتُ بـأنَّ عفْـوَكَ أعْظَـمُ

جـ- المقدمة الخاصة بالرحلة إلى البقاع المقدسة:

ثمّ إنَّنا نجد نوعاً آخر من المطالع لا يقلّ شأنًا عن سابقه، وهو ما تعلّق بالرحلة إلى البقاع المقدسة، ووصف متاعب السّفر ومشقة الطريق، نظراً لبعد المسافة بين تلمسان والبقاع المقدسة من جهة ،وصعوبة التنقل من جهة أخرى، يقول في هذا الشأن:

وللهِ قـوْمٌ عنـدما دُعـوا للهـوَى أجـابُوا فَجَـابُو للحِجَـازِ الفيافِيـاَ

(1)- الديوان.

(2)-نوار بوحلاسة: الثغري التلمساني، رسالة ماجستير ، ص 97.

هــمَّ أوردُوا مـــاءَ العَــذابَ ظمـــاءهُمْ وخلّفتْ مَصْدُودً عـن الـوردِ صـادياَ
غَريـــبٌ بِغَـــرْبٍ أوْبَقتْـــهُ ذنُوبُـــهُ فَأصْـبَحَ فـي أسْـرِ البِطالـة عانيـاَ[1]

ففي هذه الأبيات تعبير صادق عن الصعوبات التي وقفت في وجه الشاعر وحالت دون تحقيق آماله في اللحاق بالرّكب المتّجه نحو الأرض الطاهرة،رغم شدة شوقه لزيارتها.

د- المقدمة الطَّللية:

تعد هذه المقدمة أكثر المقدمات انتشاراً في الشعر العربي القديم، وقد رأى فيه" حسين عطوان" أنّه لا يعدو أن يكون ذكريات وضرباً من الحنين إلى الماضي والنزوع إليه، فإنَّ الشعراء دائماً يرتدّون بأبصارهم إلى الوراء إلى أعلى جزء مضى وانقضى من حياتهم يوم كانوا في الصبا وريعان الشّباب، لا همَّ لهم ولا شيء يشغلهم سوى العكوف عن اللّهو والمتعة[2].

وفي المقدمة التالية يصدق تفسير "حسين عطوان" إلى حدٍّ ، فالثغري فعلا يتذكّر ما مضى من أيام حياته الخوالي، أيام الشباب والقوة فيتذكّر ما فيه ويحنُّ إليه، فحين ذاك يرتدّ بصره إلى الوراء،فيدرك أنْ لا أمل له في عودة الماضي، سوى أن يرضى بواقعه ويلجأ إلى الله بطلب عفوه، ويدعوه بالحبيب المصطفى علَّه يغفر له، فيمنّي نفسه بزوره للبقاع المقدّسة فيعترف بذنوبه للرسول الكريم وندمه على ما مضى من أيّامه،

وفي هذا الشّأن يقول:

أعلّـلُ نَفْـسـي والتّعلّـلُ لاَ يُجْـدي وإنْ كـانَ أحْيانـاً يُسـكُنُ مـنْ وجْـدي
فهَـلْ مـنْ سـَبِيلٍ والأمـانيِ ضِـلّـةٍ إلـىَ معهـدٍ بـالأنْسِ طَـال بـهِ عهْـدِي
وأيّـــامُ وصْـــلٍ كُلْهُـــنَ أصَـــائِلٌ ومَاضـي زَمـانٍ كلّـهُ زَمـنُ الـورْدُ
ســمحْتُ بــدمْعي للطّلــولِ مُســائلاً رسوُمَ* الهَوَى لوْ أنَّ تسأَلها يُجْدي
ولــمْ يَــكُ أطْــلاَلاً لهنْــدَ مــواثلاً بـذي الأثْـلِ* لكنِّـي بكيْـتُ علـى هنْـدِ

(1)- الديوان.

(2)- حسين عطوان: مقدمة القصيدة العربية في الشعر الجاهلي، (د ط)، دار المعارف، 1986، ص 227-229.

وكـمْ كـاتمُ سـرِّ المحبَّـةِ قـد وَشَـى بهِ مهْراَق* الدّمعِ في مـهْرَقِ الخدِّ
ومـا هـاجَ ركـاَئبيِ* غَيْـرَ زَمِ ركائـبُ تخـبّ* بـأبْراجِ الهـوادجِ أوْ تخْـدي
بـدورٌ طَوتْهـاَ حـينَ جدَّت بهـا النَّـوى* خُدورٌ كماَ يُطْوَى الكمَـامُ علـى الوردِ
فجُدْتُ بروحـي حين ضَنوا* بوصْلهمْ وعـادَتْ دُمـوعِي تـلُ منتثـرُ العقـدِ
فللـــه دمْـــعٌ يَجُـــودُ علـــى الثَـــرى ياقوتَـــةَ الفـــاني وجَـــوْهرةَ الفـــرْدِ
فرفْقـاً بصَـبٍّ فـي يـدِ الشَّـوق مفْـردِ بأشْـجانهِ يـا سـاَكنِ العلـم الفـرْد[1]

إنَّ الوقـوف والبكـاء عنـد الطلـل سنّة الجـاهلين، حيـث يـدرك الشـاعر أن الوقـوف والسؤال لا يجديان، وإنما يهدئان شدة الوجد، وهذا ما عبّر عنه" امرئ القيس"أيضا:

قفـاَ نبْـكِ مـنْ ذكْـرَى حبيـبٍ ومنـزِلِ يَسْـقطَ اللِـوى بـيْنَ الـدّخولِ فحوْمَـلِ

وقولـه:

وإنَّ شِـــفَائِي عَبْـــرَةٌ مِهْراقَـــةٌ فَهـلْ عنْـدَ رسْـمٍ دَارسٍ مـنْ مُعَـوَّلِ

وفي المطلع الطللي التالي استدعاء للشعر العباسي أيضاً وبالتحديد قول ابن الرومـي عندما رثى ابنه "محمد" أوسط صبيته:

بُكاؤكُمـاَ يُشْـفي وإنْ كـانَ لا يُجْـدي فجُـوداَ فقـدْ أوْدَى نظيرُكُمـاَ عنْـدي

وسأشير إلـى سر استبقاء الثغري لعناصر الطّلل، ورحلـة الصـحراء التـي استبدلها بالرحلة إلى البقاع المقدّسة –كما بيّنا ذلك سابقا- في بناء مولدياته إنَّما يدخل ضمن مـا ذهب إليه شوقي ضيف عندما فسَّر سبب استمرار المقدّمات الطللية رغم فنائها فـي الوجود، حيث

(1)- الديوان.

* الرسوم:وهي ما بقي من الديار من آثار بالية.

* بذي الأثل:إسم مكان في الجزيرة العربية.

* تخب:تسرع في مشيتها.

* النوى:البعد

* مهراق الدمع: الدمع حين يسيل بغزارة.

* الركائب:وهي ما يركب من الدواب أثناء السفر ،والمقصود هنا الإبل.

* ضنوا:بخلوا.

عدَّ ذلك من قبيل الرّمز؛ فالأطلال رمز لحبّهم الدّاثر وأمَّا الرحلة فرمز لرحلة الإنسان في الحياة[1].

ولتأكيد ما ذهب إليه شوقي ضيف لا بأس أن نأتي بمثال من مولديات الثَّغري - وليكن المطلع المتقدّم- بشيء من التمعّن ندرك أن هذا الأخير ليس عنصراً منفصلاً عن جسد القصيدة –كما يبدو للوهلة الأولى- وإنَّما تعتبر هذه المطالع عند الثغري نسيجاً متّصلا بالموضوع الأساسي وبداية حتمية له، فالقصيدة هنا تعبّر عن تجربة شعورية عاشها الشّاعر غير قابلة للتّجزئة أو الفصل، وإنَّما هي وحدة عضوية متماسكة في نسيج دقيق متماسك محكم إلا أنَّها نتاج طبيعي لوحدة الإحساس المتكوّنة لديه طبيعياً.

ومن هنا اختلفت المطالع عند الثغري عمَّا ذهب إليه ابن قتيبة، حيث يرى أنَّها جاءت في القصائد من أجل استمالة القلوب، غير أنَّها عند الشّاعر الثغري تعتبر جزءًا غير منفصل عن الموضوع الأساسي –مدح الرسول الكريم ومدح الملك الذي رفعت إليه المولدية- حيث يشكلان معاً وحدة متكاملة وموضوعاً واحداً ولو طالت أبياته وتعدّدت.

ففي المطلع الذي أخذناه كأنموذجٍ والذي يقول فيه:

أعلَـــلُ نفْســـي والتَّعلّـــلُ لا يُجْـــدي وإنْ كـانَ أحْيانـاً يُسْـكنُ مـنْ وجْـدِي

فقد تحدّث الشّاعر عمَّا عاشه سابقاً، من الحب والشّوْق، وكيف عندما وقف عند الطّلل مرّت به ذكريات الماضي وعاوده طيف الحبيبة التي رحلت إلى مكان آخر، ولكن في الواقع لا يحتوي هذا المطلع على غزل حقيقي أو طلل ماثل أمامه، لأنَّه كمـــا قال ابن رشيق: «...لأنَّ الحاضرة لا تنسفها الرّياح ولا يمحوها المطر..»[2]، وإنّما يتعلق الأمر بالتّجربة الشّعورية التي يعاني منها الشاعر، فذاك الحب وتلك الشكاوى ما هي إلا رموزاً للبقاع المقدسة التي يسكنها قبر الرسول الكريم –صلى الله عليه وسلم- فالشاعر يبكي أملاً أن يزوره يوماً ما، فهو السّبيل الوحيد والمخلّص الفريد من هذا الألم وشدّة الانتظار.

وعليه فهذا المطلع مفتاح رمزي للموضوع الأساسي، وبدونه يفقد النّص قيمته الفنية.

إنَّ معشوقة الشَّاعر إذن ليست سعاد أو هند وليست ليلى أو بثينة، وإنَّما هي الحبيبة الرّمز، إنّها البقاع المقدّسة، فهي كل آماله في الحياة وهدفه الأسمى، ثمَّ إنَّه بقليل من التأمّل

(1)- شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي. العصر العباسي الأول، ط 6، دار المعارف، مصر، 1966، ص 163.

(2)- ابن رشيق: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ص 32.

ندرك أنّ هذه الحبيبة لا تبادل الشّاعر هذه الأحاسيس الرقيقة كي يتأكّد لدينا أنَّه حبّ من طرف واحد ومن ثمّة فهو حب مختلف إنّه حبُّ الأرض الطاهرة.

وتبقى مع ذلك ذات علاقة وثيقة بالمقدّمات التقليدية ولْنُبْقٍ مثالنا السّابق كي يتضح ما نذهب إليه:

أعلّــلُ نفْســـي والتّعلّــلُ لا يُجْــدي وإنْ كـانَ أحْيانـاً يُسْـكنُ مِـنْ وجْـدي

إلى أن يقول:

وإنِّـــي وَإنْ كُانـــتْ ذَنُـــوبيِ كَثيـــرةٌ وآثَـرْتُ غَيـيَّ إذْ تَعاميْـتُ عـنْ رُشْـدِ

لأرْجُـــو شَـــفيعَ المُـــذنبينَ مُحمَّـــداً يُشْـفَعُهُ المَـوْلَى فيشْـفَعُ فـي العَبْـدِ

فالقارئ لا يشعر عند قراءته المولدية بأنه قد انتقل من حديثه عن الغزل والطلل إلى حديثه عن المصطفى الكريم والملك الذي رفعت إليه المولدية، ولا بدَّ أنَّ الشَّاعر هنا ذو براعة فائقة لم تشعر القارئ بالانتقال من المطلع إلى الموضوع الأساسي، وهذا ما يسمىَّ "بحسن التخلص" عند النقاد، فقد أشار حازم القرطاجنّي إلى ما يشبه الوحدة الفنية في القصيدة العربية المتعددة الأغراض، فيرى أنَّ أمر هذه الوحدة متوقف على حيلة الشاعر في الرَّبط بين أجزائها المتباينة دون أن يترك فجوة أو انقطاعا بينهما، بحيث لا يشعر القارئ بهذا الانتقال وذلك «بأن يحتال الشاعر فيما يتصل بحاشيتي الكلام ويجمع بين طرفي القول حين يلتقي طرفا المدح والنسيب أو غيرهما من الأغراض المتباينة التقاءً محكماً فلا يختل نسق الكلام ولا يظهر التباين في أجزاء النظم...»[1].

أمَّا إذا لم يكن التخلص دليلا على هذا النّحو -الذي حدّده النقاد- فهو طفرٌ أو انقطاع[2] وهو أن يقطع الشّاعر كلامه ويستأنف كلاماً غيره من مدح أو هجاء ولا يكون للثاني علَّة بالأوّل.

(1)- حازم القرطاجني، منهاج البلغاء، سراج الأدباء، ط 2، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة، ،دار المغرب الإسلامي، بيروت، 1981، ص 308-309.

(2)- ابن رشيق، العمدة ، ص 239.

وقد عدَّ النقَّاد حسن التخلّص دليلاً على فطنة وذكاء الشّاعر، وقوّة تصرّفه وطول باعه، وعليه فاقتفاء الثغري لمن سبقوه من الشعراء القدامى لم يكن من أجل التقليد بل كلن مدفوعاً إليه بفعل الإحساس العميق والبعيد كل البعد عن التقليد، فالمقدّمات التقليدية لم ترد اعتباطاً في شعره وبخاصة في مولدياته[1].

(1)- قاسم الحسيني، الشعر الأندلسي في القرن 9هـ موضوعاته وخصائصه، ط 1، الدار العالمية للكتاب الدار البيضاء المغرب الأقصى، 1980، ص 297.

وخلاصة القول في المقدمات أن تكون مؤثّرة في السّامع لفظاً ومعنى، تدل على الغرض المراد لأنَّ الشاعر يصوغ القصيدة بما يلائم أحوال المستمعين بغية خلق أثر في نفوسهم، والأثر معناه هنا الوصول إلى وعي مشترك بين الشاعر والمستمع بواسطة الخطاب، والوعي قد يكون قيمة أخلاقية أو جمالية فنيّة أو غير ذلك ممَّا يريد الشّاعر إثباته وزرعه في نفس المتلقّي[1].

وهذا ما نراه ماثلاً في مقدمات الثغري، حيث صاغ مقدماته بما يلائم أحوال المستمعين في حضرة السلطان الزيَّاني، فهو يبدأ بذكر المطلع الشيبي مثلاً، فيبيّن ندمه الشَّديد عن المعاصي التي ارتكبها أيام شبابه، فيصرّح بأنَّه قد آن الأوان لمحاسبة هذه النفس وتعنيفها، ولا يجد أمامه سوى التضرّع لله تعالى برسوله الكريم، علَّه يغفر له، بخاصة وأنّه أعلن توبته النَّصوح، فيقول:

لأرْجُــو شَــفيعَ المُــذْنِبِينَ مُحمَّــداً يُشَــفِّعُهُ المَــوْلَى فَيَشْــفَعُ لِــي
نَبِيَّــا يُسَــمَّى أحْمَــداً ومُحَمَّــداً وأطْنَبَ فِيهِ الوَحْيُ بالمَدْحِ والحَمْدِ[2]

وهكذا نجد الثغري قد وصل إلى صدر المولدية في نسيج محكمٍ، وانتقال لا يشعر به المستمع، قد ربطته بالمطلع خيوط رفيعة جداً، لا يمكن أن يفصل بينها، وإلا اهتزَّ بناء المولدية، وذلك تبعاً لأحوال المستمعين، وهذا ما لم نعثر عليه في الشعر الجاهلي القديم.

(1)- محمد أحمد علي، أثر النزعة العقلية في القصيدة العربية، ط 1، دمشق، السيروان للطباعة والنشر والتوزيع، 1993، ص 67.

(2)- الدّيوان.

ثانيا: صدر القصيدة المولدية

ينقسم صدر القصيدة المولدية إلى قسمين رئيسيين: مدح الرسول ومدح الملك الذي رفعت إليه المولدية، وسنتكلم عن كل قسم على حدة:

أ- مدح النبي الكريم:

يعتبر الموضوع الأساسي في المولدية، فهو يتعلق بشخصية الرسول صلى الله عليه وسلم، وتعداد مآثره ومعجزاته، ممَّا يدلُّ على اطّلاع الشَّاعر الواسع ومعرفته الدقيقة بالسيرة النبويّة الشّريفة، وقد ركّز في كل هذا عن المعجزات التي صاحبت مولده الكريم؛ كانهيار إيوان كسرى، وانخماد نار الماجوس، وتحطّم أصنام مكّة وأوثانها، والحديث عن المعجزات بعد بعثته، كانشقاق البدر وانفجار الماء بين أصابعه وحادثة الإسراء والمعراج والمعجزة الكبرى المتمثلة في القرآن الكريم، بالإضافة إلى الحديث عن فضائله الخُلقية والخَلقية، وعليه سنقسّم الكلام في هذا الشأن إلى: فضائله الخَلقية والخُلُقية ثم معجزاته التي صاحبت مولده ثم معجزاته بعد البعثة.

وقد فصل الثغري في ذلك حيث قال:

وَكَمْ آيةٍ قبْلَ مَوْلِدِهِ وبعْدَهُ ... على فَضْلِهِ دلّتْ لِمَنْ يتوسَّمِ

- فضائل الرسول الخُلقية والخَلقية:

تعبّر أخلاق الرسول الكريم النّموذج الأعلى للكمال الإنساني، فلا يختلف اثنان على علوِّ أخلاقه، وكمال فضائله وسموِّ شمائله، فهو القرآن يمشي كما حدّثت عنه السيدة عائشة رضي الله عنها، وقد سئلت عن خلقه فقالت «كان خلقهُ القرآن، ما أمره به ائتمر وما نهاه عنه انتهى».

ومن هنا جاء حديث الثغري عن أخلاقه الكريمة فقال:

بمَوْلِدِهِ الأيَّامِ رَاقَ جمالُهَا ... فَطَابتْ لنا أسحارُهَا والأصَائِل

أشهَرَ رَبيعٍ حُزْتَ كلَّ فضيلةٍ ... بِأفْضَلُ مَنْ تمَّت بهِ الفضائِلُ!

وَلَيْلَةُ اثْنَيْ عَشَرْ منهُ أشْرَقَتْ ... ففيهَا بدا بدْرُ الدُّجَى وهوَ كاملُ

إنَّ الشّاعر في هذه الأبيات يمجّد ليلة المولد النبوي الشريف، ويرى أن هذه الليلة الكريمة قد حازت على كلَّ فضيلة وكيف لا؟ وقد شرَّفها النّبي الكريم بمولده عن سائر الأيام واللّيالي.

وهو استدعاء لقول أبي العلاء المعري التالي:

وإنْ كنْتَ تهْوَى العيْشَ فابْغِ توسّطاَ فعنْدَ التّناهي يقصُرُ المتَطاولُ

تُوقّى البدورُ النّقصَ وهي أهلّة ويدْركُهاَ النّقْصاَنُ وهي كواملُ

ومن الشعر الذي عدّد فيه الثغري بعض صفات الرّسول الخَلقية والخُلقية قوله:

يـاَ أفْضَلَ الخلْقِ منْ عُربٍ ومنْ عجَمٍ وخيْـــرَ آتٍ بآيـــاتٍ وقُـــرآنِ

عَسَـاَكَ يـاَ خيْـرَ خلْـقِ الله تشْـفَعُ لِـي يـوْمَ الحسـابْ فـإنّني مـذنِبٌ جـاَنِي

وأنْـتَ لـي أمَـلٌ إذْ لـيْسَ لـي عمَـلٌ مـنَ التّقَـى يقْضـي تـرجيحَ ميزَانِـي

لعـلَّ حسْـنٌ يَقينِـي فِيـكَ وَيَمْنَحُنِـي شـفاعةٌ ويقينـيِ لفْـحَ نيرانِـي

دِينِـي عَلَـى الـدَّهْرِ حـجُّ البيْـتِ مُعتمـراً فَهَـلْ يسَـاعدُني دهْـري بإمكَـاني

وَزَوْرَةٌ لرسُـولِ الله ملتمِحًـا ذَاكَ الضَّـريحُ الـذي بـالنّورِ يغْشَـاني[1]

في هذه الأبيات يذكر الشاعر صفات رسول الله، فهو أفضل الخلق على الإطلاق، وخير من أكرمه الله بالقرآن، فهو من يحق له أن يشفع في النَّاس يوم الحشر، فما على العبد المؤمن إلا أن يرجو الله أن يمُنَّ عليه بزورة حيث يوجد قبر الحبيب صلى الله عليه وسلم، كي يشفع فيه يوم يقف المرء بين يدي ربّه عزّ وجلّ، كما فضله عزّ وجل بحسن الخليقة وإشراق الوجه، وفي هذه الأبيات استدعاء بيّن لقول ابن هاني الأندلسي في مدح جعفر بن علي الحمدوني:

وأفْضَلَ النَّاسِ منْ عُرْبٍ ومنْ عجَمِ يـا خيْـرَ مُلْتحـف بالمَجْـدِ والكَـرَمِ

وفي هذا الشّأن أيضاً يقول:

زيْنُ الإرْسالِ وخَاتِمُهُمْ * وشَفيعُ الخَلْقِ ورَاحمُهُمْ * هُوَ مُنجِّيهُمْ هُوَ عاصِمُهُم

في يوْمٍ تَبينُ جَرائِمُهُمْ * وتزَلُّ بِهِمْ فيهِ القَدَمُ

رَسُولُ اللهِ كمَا ورداَ * يرْوي بالكَوْثَرِ من وردٍ * لا يظْمَأُ وارِدُهُ أَبَداَ *

ولِوَاءُ الحمْدِ لهُ عقِّداَ * وشَفاَعَتُهُ ترْجُو الأُمَمُ

ياَ ربُّ افتحْ بِمحبَّتِهِ * مشْتاقاً أسْنَى رغْبَتَهُ * تقْبيلَ مقدَّسِ ترْبَتِهِ

وقبُولُ منْكَ لتوبَتِهِ * عمَّا يجْنيهِ ويَجْتَرِمُ

- معجـزات الرّسـول التي صـاحبت مولـده:

أما هذه المعجزات فجاءت في قوله:

وفـي ليْلـةِ المـيلادِ لاَحـتْ عَجائِـبُ قيْصـرَ أوْدَتْ بعْـدَما كَسَـرتْ كِسْـرَى

وسَلَّتْ على الإيوَان سَيْفَ مهابَة فخَـرَّ بِهَـا الإيـوَانُ مـنْ بعْـدِ مـا قَـرَّا[1]

ويقول في مولدية أخرى:

فقدْ خَمَدتْ للمُصْطَفىَ نَارُ فَارِسِ بِمولِـدِه مـنْ بَعْـدِ مـاَ أضْـرَمتْ دَهْـراَ[2]

ويقول أيضا:

بِبِعْثَتِـهِ نطَقَـتْ مـنْ قبْـلِ مولِـدِهِ فـي الكُتُـبِ أخْبـارُ أحْبَـارِ ورُهبَـانُ[3]

ويقول كذلك:

وتَسَاقَطـتْ أصْـنَامُ مكَّـةَ رَهْبَـةً والجِنُّ بالشّهبِ الثّواقِبِ تُرجَمِ[4]

لقد عدّد الثّغري أهم المعجزات التي صاحبت مولد الرسول صلى الله عليه وسلم، كانطفاء نار فارس رغم اشتعالها الدّائم، وتحطُّم إيوان كسرى، وتساقُط أصنام مكَّة تعظيماً لمولده الشّريف، كما بيَّن أنَّ الجنَّ رُجمت بالشُّهب، وهذا استدعاء للآية الكريمة «قل أوحي إليَّ أنَّه استمَعَ نفرٌ من الجنَّ فقَالواُ إنَّا سمعْناَ قرآناً عجباَ، يهْدِي إلى الرُّشدِ فآمنَّا به ولنْ

(1)- (2)-(3)-(4)- الديوان.

تشْرِكَ بربِّناَ أحداَ»، إلى قوله تعالى «وأنَّا كُنَّا نقْعُدُ منْهَا مقاعِدَ للسَّمْعِ فمَنْ يسْتَمِعِ الآنَ يجدْ له شهاباً رَصَداَ، وأناَّ لا ندْري أشرٌّ أُريدَ بمنْ في الأرْضِ أمْ أَرادَ بهمْ ربُّهُمِ رشَداَ»[1]

فقذف الجن بالشّهب دلالة على مبعثه صلى الله عليه وسلم: فلما تقارب أمر رسول الله وحضر مبعثه، حجبت الشياطين عن السمع، وحيل بينها وبين المقاعد التي كانت تقعد فيها لاستراق السّمع فيها، فرموا بالنّجوم، فعرفت الجن أنَّ ذلك أمر حدث من أمور الله في العباد. يقول الله تبارك وتعالى لنبيه محمد حين بعثه وهو يقص عليه خبر الجن إذ حُجبوا عن السّمع فعرفوا ما عرفواً وما أنكروا من ذلك حين رأوا ما رأوا «وأنَّا كُنَّا نقْعد منها مقاعد للسّمع فمن يستمع الآن يجدْ له شهاباً رصدا، وأنَّا لا ندري أشرٌّ أُريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربُّهم رشداَ». فلمَّا سمعت الجن القرآن عرفت أنَّها ستشهد بعثة الرَّسول الكريم، وإنَّما حجبت لئلاَّ يُشكل الوحي بشيء من أخبار الجن، فيلتبس على أهل الأرض ما جاءه من أمر الله وذلك لوقوع الحجّة وقطع الشّبهة.[2]

أمَّا فيما يخص تنبُّؤ الرُّهبان والأحبار بمولده، فهُو استدعاء لرواية ابن إسحاق التي أوردها ابن هشام، حيث قال: «كانت الأحبار من يهود والرّهبان من النّصارى قد تحدّثوا بأمر رسول الله قبل موعده، لما تقارب من زمانه؛ أمَّا الأحبار من اليهود والرّهبان من النّصارى فعمَّا وجدوا في كتبهم من صفته وصفة زمانه، وما كان من عهد أنبيائهم إليهم فيه، وأمَّا الكهَّان من العرب فأتتهم به الشَّياطين من الجن فيما تسترق من السّمع، إذ كانت هي لا تحجب عن ذلك بالقذف بالنّجوم، وكان الكاهن والكاهنة لا يزال يقع منهما بعض أموره، لا تلقيِ العرب لذلك فيه بالاً، حتَّى بعثه الله تعالى ووقعت تلك الأمور التي كانوا يذكرون فعرفوها[3]. وعلى العموم فكُلُّ هذه المعجزات مستدعاة من السّيرة النّبوية الشَّريفة.

- معجزاته بعد البعثة :

أمَّا فيما يخص هذه المعجزات فقد جاء ذكرها في قوله:

([1])- سورة الجن، الآية 1.

([2])- ابن هشام: السّيرة النَّبوية، المجلد الأول، تحقيق طه عبد الرّؤوف سعيد، دار الجيل، بيروت، 1998، ص 28-29.

([3])-المرجع السابق، ص 27-28.

مُتنَــزِلُ الــوَحْيِ الــذي يُتْلَــى فــلاَ سَـــمْعٌ يُمـــلُّ وَلا لِســـانٌ يسْـــأمُ
يتنــزل الــروح الأمــين بــه علــى خيْـرِ الـوَرَى صـلّوا عليـهِ وسـلّمُوا
شَــمْسُ الرِّسَــالَةِ وَالنُّبُــوَّةِ وَالْهُــدَى بـــدْرُ الجلالَـــةِ نوُرُهَـــا المُتجَسِّـــمُ

إلى أن يقول:

أنْــتَ الــرَّؤوفُ بِأمّــةٍ بشّــرْتَهاَ يَــوْمَ القِيامـــةِ أنّهـــا بـــكَ تُـــرْحَمُ
أنْــتَ المُرفِّــعُ والمُشَــفِّعُ فــي غَــدٍ يرْجُــو شــفَاعَتَكَ المُســيءُ المُجْــرِمُ
أنْتَ الَمسُوغُ مُشَرِّعُ الحوْضَ الذي يـــرْوِي بِكَـــوْثَرِهِ التَّقـــيُّ المسْـــلِمُ
أنْــتَ المُبَلِّــغُ حِكْمَــةَ الــذَكْرِ الــذي بيَّنــتَ فيــهِ مــا يَحِــلُّ ومــا يُحــرَّمُ[1]

ففـي هـذه الأبيـات يُبـيّن الشـاعر أنّ الأسـماع لا تمُـلُّ الاسـتماع إلـى الفـرآن الكـريم والألسنة لا تسأم من ذكره، بل تظل تلهج به، هذا القرآن الذي نزَّلـه الله علـى رسوله الكريم بواسطة الرّوح الأمين جبريل، ثمّ ينتقل الشّاعر ليُعدّد بعض معجزات النّبـي الكـريم كشفاعته في أمَّته يوم القيامة، والله اعتبرها أعظم بُشرى للأمَّة المسلمة، فهو رحمة مُهداة بلَّغت حكمة القرآن للنَّاس.

(1)- الديوان.

وقد عدّد الشّاعر بعض المعجزات الأخرى في أغلب مولدياته منها قوله:

هوَ الوحْيُ أجْلَى منْ سنَا الشَّمْسِ سَـنَاهُ وَاحْلَـى حـينَ يُتْلَـى مِـنَ الشَّـهْدِ
لـهُ انشَـقَّ بَـدْرُ الـتَّمِ عِنْـدَ كَمَالِـهِ فَشَـاهَدَهُ مَـنْ كَـانَ بـالقُرْبِ والبُعْـدِ
وَفُـاضَ نمِيـرُ الْمَـاءِ بـيْنَ بَنَانِـهِ إلَـى انْ تَـورَّى الجَـيْشُ مِـنْ ذَلِكَ الْوَرْدِ
وآيَتِـهِ قَبْـلَ الـوِلادِ وبعْـدَه لِكَثْرَتِهَـا لـمْ تُحْصَـى فـي القَبْـلِ والبَعْـدِ

ففـي هـذه الأبيـات يعـدد بعـض معجـزات الرسـول الكـريم: كـالقرآن وإنشـقاق البـدر وإنفجار الماء بين أصابعه الكريمة.

ويقول في مولدية أخـرى:

لَكَ حنَّ جذعُ النّخلِ إذْ فارَقْتَـهُ شَـوْقاً كمَـا حنّـتْ عشَـارُ

ويقول في أخرى:

وإليْـهِ حـنَّ الجِـذْعُ عنْـدَ فراقِـهِ وأنَـتْ لـهُ الأشْـجارُ حـينَ دَعاهَـا
إذْ سبَّحتْ في كفّكَ اليمْنى الحَصَـى فيهَـا الأنامِـلُ فجَّـرتْ أمْوَاهـاَ
لـوْلاَكَ مَـا نَطَـقَ الجمَـادُ ولـمْ يَكُـنْ بخِطابِهـاَ العجْمَـاءُ تفغَّـرْ فاهـاَ
لـكَ فـي انْشِـقَاقِ البـدْر أعظَـمَ آيـةٍ لمَّـا تَكامَـلَ حسـنُهُ وتنَـاهَى[2]

إنّ مـا نلاحظـه فـي هـذه الأبيـات أنَّ الشَّـاعر اسـتطاع أن يجمـع عـدداً مـن معجـزات الرّسول الكريم بعد البعثة؛ فمنها قصة حنين الجذع إليه وخلاصتها أنَّ مسجد الرَّسول الكريم كان قائماً على جذوع النّخل، وأنّه صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن يخطب في المسلمين أتـى إلى أحد تلك الجذوع فاتّكأ عليه، ولكن بعد أن صُنع لـه منبراً أصبح يقف فيـه، وإذا بالجذع بكى وتصدَّع وانشق، وفي رواية أخرى أن النّخلة أو الجذع صاح حتى نزل الرَّسول صلى الله عليه وسلَّم وضمّه إليه، فجعل يئن أنين الطّفل الذي يشكو جوعاً أو عطشاً، وفـي روايـة ثالثة أنّ أنس بن مالك رضي الله عنه سمع الخشبة تحنُّ حنين الواله،

(1)- (2)- الديوان.

فمازالت تحنُّ حتَّى نزل الرسول الكريم من على المنبر فمشى إليها فاحتضنها فسكتت»[1]

كما يبيّن لنا طواعية الأشجار لرسول الله، فحين يدعوها تستجيب له، ثمَّ يأمرها بالرجوع فتعود أدراجها، وقد جاء في سيرة ابن هشام عن ابن إسحاق عند حديثه عن "ركانة" مع الرسول الكريم حين صارعه وهزمه مع أنَّه من أشد فتيان قريش، ثمَّ أظهر له ما هو أعجب من ذلك إذ قال: «أدعو لك هذه الشَّجرة التي ترى فتأتيني، فقال ادعها، فدعا فأقبلت حتَّى وقفت بين يدي رسول الله فقال لها: ارجعي مكانك، قال: فرجعت إلى مكانها»[2].

أمَّا المعجزة الثالثة فهي تسبيح الحصى في كفّه وانفجار الماء من بين أصابعه، فعن أبي ذر قال: تناول النَّبي سبع حصيات فسبّحن في يده، حتَّى سمعت لها حنيناً ثمَّ وضعهنَّ في يد أبي بكر فسبَّحن ثمّ وضعهنَّ في يد عثمان فسبحن»[3].

وأمَّا المعجزة الأخرى فهي انفجار الماء بين أنامله، فعن أنس قال: «رأيت رسول الله وحانت صلاة العصر والتمس النَّاس الوضوء فلم يجدوه، فأتى رسول الله بوضوء فوضع يده في ذلك الإناء، فأمر النَّاس أن يتوضّأوا منه، فرأيت الماء ينبع من بين أصابعه وأطراف أصابعه حتَّى توضّأ القوم، قال راوية: كم كنتم؟ قال كنَّا ثلاثمائة[4].

أمَّا المعجزة التالية فهي حادثة انشقاق البدر حيث جاء قوله تعالى «اقتربت الساعة وانشق القمر وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر»[5].

وكان سبب حدوث هذه المعجزة العظيمة هو أنَّ بعض كفَّار مكَّة طلبوا من الرَّسول الكريم آية من آيات الله، مشترطين أن تكون انشقاق القمر فسأل النَّبي الله ذلك فإذا بالقمر ينشق فرقتين[1].

([1])- محمد زلاقي: شعر المولديات في المغرب العربي، نقلا عن نوار بوحلاسة، الثغري التلمساني، رسالة ماجستير، ص 244.

([2])- ابن هشام: السيرة النبوية، ج 2، مج 1، ص 31.

([3])- يوسف بن إسماعيل النبهاني: الأنوار المحمدية في المواهب اللدنية (د ط)، (بدون مكان الطبع)، 1312هـ، ص 273.

([4])- المرجع نفسه، ص 274.

([5])- سورة القمر، الآيتان 1، 2.

ومن المعجزات بعد البعثة قول الثغري:

لكَ رُدَّ قرْصِ الشَّمسِ بعْدَ غُروبِهاَ وانشَـقَّ بـدْرُ الأفْـقِ وهُـوَ مُـتمِّمُ

وعن المعجزة نفسها يقول في مولدية أخرى:

لـكَ اللهُ ردَّ الشَّـمْسَ بعْـدَ غروبِهَـا فـأدْركَ إذْ صلّى بهـاَ علـيٌّ العَصْـراَ

حيث جاء في السّيرة النَّبويـة أنَّ النَّبـي الكريم دعـا ربَّـه أن يـردَّ الشّمس بعد غروبها كي يصلّي علي كرّم الله وجهه، وكان له ماً أراداً[2]

ومن أكبر معجزاته - صلى الله عليه وسلم- الإسراء والمعراج، فقد ذكرها الثّغري في أغلب مولدياته وبيّن كيف أُسريَ بالرَّسول الكريم من مكَّة إلى سدرة المنتهى وهو ما أعجز عقول النَّاس وما لم ينله غيره من الأنبياء:

ففِـــي ليْلـــةٍ أسْـــرَى بـــكَ الله راكِبـــاً بُراقـاً يفُـوُقُ البـرْقَ فـي سـرْعةِ الأسْـراَ

مـنَ الفَـرْشِ نحْـوَ العـرْشِ أسْـرَى بعبْـدِهِ إلـى الحضْـرة العلْيـاَ فسبْحَانَ مَنْ أسرَى

وعَـادَ إلـى مثْـوَاهُ والصُّـبْحِ لـمْ تَشُـبْ دواَئِبُـهُ والصُّـبْحُ مـا فجَّـرَ الفجْـراَ[3]

وهنا استدعاء لقوله تعالى: «سبحان الذي أسرى بعيدهِ ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنَّه هو السَّميع البصير»[4]

وفي مولدية أخرى ينتقل الثغري للحديث عن أكبر وأعظم معجزة خُصّ بها الرسول الكريم وهي معجزة القرآن الكريم، حيث يقول:

مُتضمّـــنٌ كـــلَّ العلـــومِ بأسْـــرِهَا ومُفصّـــــلٌ لأدِلّـــــة الأحْكَـــــامِ

وأجلّهَـــا الـــوحْيُ الـــذي إعْجَـــازُهُ مُتَجـــــدِّدٌ بِتجَـــــدُّدِ الأيَّـــــام[5]

ويقول في مولدية أخرى:

لـــهُ معْجِـــزَاتٌ ماتَلَـــتْ كُـــلَّ مَـــا أتَـــى بـــهِ الرُّسُـلُ مـنْ آيٍ وأرْبـتْ علـى العَـدِّ

([1])- العسقلاني: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج 14، حديث عبد الله بن مسعود رقم 3636، ص 129.

([2])-نوار بوحلاسة: الثغري التلمساني، رسالة ماجستير ، ص 106.

([3])- الديـوان.

([4])- سورة الإسراء، الآية 1.

([5])- الديـوان.

([5])- الديوان

وأعْظَمُهـــاَ القُـــرْآنُ يهْـــدي للْهُـــدَى فيُـاحُسْنِ َنَ مـا يهْـدي ويـا فـوْزَ مـنْ

يبيِّن الشّاعر في هذه الأبيات أكبر معجزات الرَّسول ؛ وهي القرآن الكريم، حيث أكَّد أنَّه حوى كل العلوم، وأنَّه أعجز البشر جميعاً وأنَّه صالح لكل زمان ومكان، فهو دستور المسلمين الحاوي لكل أمور دينهم ودنياهم.

كما نجد أنَّ الشّاعر في مدح الرَّسول – صلى الله عليه وسلم- يلجأ إلى توظيف الصّيغ القرآنية كقوله:

ألَـــمْ يَـــأتِ بالآيـــاتِ تُتْلَـــى علـــيهِمُ يُشَـــابْهُ بعْضُـــهَا بعْضـــاً ويُشَـــاكِلُ

وهنا استدعاء لقوله تعالى: « هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هنَّ أم الكتاب وأخُرُ متشابهات»[2]

وأخيراً فإنَّ الثَّغري عند مدْحه لرسول الله الكريم، يقتبس من القرآن على صعيد المعنى، أو يشير إلى آيات قرآنية بعينها، وهذا إنَّما يدلُّ على ما له من ثقافة دينيّة واسعة، وقدرة أدبية وفنية أعانته على توظيف تلك الثّقافة أحسن توظيف.

كما يدل على تمتّعه بثقافة دينية واسعة، أعانته كثيراً على صياغة مولدياته وتضمينها، هذه الثقافة الدينية التي كان ملماً بها إلماماً كبيراً.

ب- مدح الملك الذي رفعت إليه المولدية :

إنَّ القسم الثاني من صدر المولدية يتمحور حول مدح الملك أو الأمير الحاضر، الذي غالباً ما يكون أبو حمُّو موسى الثّاني أو نجله، فيخصّص الشّاعر جزءًا كبيراً من قصيدته لمدحه والثّناء على أفعاله، أو مهنِّئًا له بمناسبة المولد النَّبوي الشّريف، داعياً له باستمرار المُلْكِ وطول السَّلامة والبقاء، والانتصار على الأعداء داخلياً وخارجياً، والإشادة بفضائله وكريم أعماله، كإحيائه للدّولة الزّيانية، وبعث مجدها بعد أن كاد يندثر بفعل الأعداء والعملاء، والتَّنويه بسخائه، وجميل عطائه، لا سيما في وقفته الكبرى إلى جانب الأندلسيين وإمدادهم بأنواع الزُّروع والثّمار.

غير أنَّه يجدر بنا أثناء هذا الحديث أن لا ننكر أنَّ مدح الملك في مولديات الثّغري أحياناً يطغى على مدح الرَّسول الكريم ويتجاوزه، ولعلَّ السَّبب في هذا راجع إلى أوضاع

([1]) - الديوان

([2])- سورة آل عمران، الآية 7.

تلك الفترة سياسياً، حيث كانت تخوض الحروب والمعارك، وبالتَّالي الحديث عن شجاعة أبي حمُّو موسى، ثمَّ إنَّ عادة الشُّعراء، سواء أكان القدامى أم الذين عاصروه مدحوا الملوك وأطالوا في مدحهم، بغية نيل رضاهم وجوائزهم، ولا يخفى أنَّ مثل هذا المدح من الأمور التي تقرّب الشعراء للملوك زلفى.

ومن تلك المولديات التي مدح به هذا الملك قوله:

مَلِكٌ جَاوَزَ المَدَى في المعاني فالنّهايـــاَتُ عنـــدَهُ كالمَبَـــادِي
كَمْ هبـاتٍ لـهُ وكَمْ صـدَقاتٍ عائِـــداَتٌ علـــى العُفـــاَة بِوَادي
فأيَـــادِي خليفـــة الله موُسَـــى أبْـــحُرٌ عذْبَـــة علـــى الـــوُرَّادِ
رَكَبَ الجوَّ فـي بَسْطِ يدِيْـهِ فـتلاقَى بـهِ تلاقِـي العِبـاَدِ[1]

فقد حدّدت الأبيات مكانة الممدوح، فأرته لنا عظيماً، ونعتته بصفته الجود والكرم، فكم طالب رزقٍ، وكم محتاج ما يرغب من يدي هذا الملك، الذي يشبه البحر في تدفّقه بالعطايا والهبات، والصّدقات، حتَّى إنَّ هذه العطايا والهبات قد استطاعت أن تسدَّ حاجة الملهوف وتنجد المستغيث إلى قضاء آماله، وكم من مرَّة أنقذت شريداً تائهاً ضاقت به السّبل ورمته على غير أملٍ بالعودة[2].

وفي مولدية أخرى يقول مادحاً له كذلك:

بُشْرَى لعبْدِ الوَاَدِ بالمِلِكِ الذي خَلصوا بهِ مِنْ كُلِّ خطْبٍ مُعْضلِ
بِأعزِّهِمْ جاراً وأمْنَعُهمْ حِمَى وأجلّهُمْ مَوْلَى وأعْظَمُهمْ موْئِلِ
بالعاَدِلِ المنْتَصِرِ المنْصوُرِ الـ مَأمُونِ والمهديِّ المتَوكِّلِ
وكَفَى الورَى أسْعُداً أبو حمُّو الذي يَحْمي حِماهُمْ بالحُسَامِ الفيْصَلِ
وبحُسْنِ نيَّتِه لهُمْ وبجدّهِ وبِسَعْدِهِ وبِسَعْيِهِ المُتَقبِّلِ
بَحْرُ النَّدى الأحْلى وفخْرُ المنتَدَى وسَنَى الدُّجَى وزيْنُ المحْفَلِ
هنئاً بهِ زَمنُ الرَّبيعِ وقلْ لهُ بُشْرَى بأمْلَحِ مَنْ حلاكَ وأجْمَلُ

(1)- الديوان.

(2)- الثغري التلمساني: رسالة ماجستير إعداد نوار بوحلاسة، ص 114.

وعَلى عُلاهُ مِنْ صَنيعةِ فضْلِهِ تَزْدَادُ نافعةُ السَّلامِ الأكْمَلِ[1]

إنّه كما اتضح لنا قد قدّم لنا هنا أبا حموّ موسى بالفارس العادل الشّجاع، كما أنَّ نيّته حسنة وملكه عادل، لا همَّ له سوى إسعاد أمّته ودفع الضَّرر عنها، فيفضّله هبَّت رياح السّلام على البلاد، فهنيئاً لدولة بني عبد الواد بهذا الملك الهُمام.

كمَا أبدع في مدحه في مولدية أخرى:

مُوسَى الخليفَةُ والإجْمَاعُ منْعَقِدٌ عليْهِ لَمْ يخْتَلِفْ فِي فضْلِهِ اثْنَانِ

كأنّهُ للوَرى روحٌ وهُمْ جَسَدٌ ولا حَيَاةَ لِرُوح بِلا جثْمَانِ

لهُ وقَارٌ نُهَى في طيَّهِ قُطْنٌ عن يُرْسِل الظّنَّ يأتيهِ بإتقَانِ

فِراَسَتُهُ منْ هبَات الله صَادقة يَرى المغيِّبُ منْ سرٍّ كإعْلانِ

تنهَاهُ عفَّتُهُ عنْ أمْرِ بطّشِته يرْعَى الرَّعايا بعيْنِ العاطِفِ الحاني

فالحقُّ في الخلْقِ جارٍ في إيَالِتِهِ مُسْتضْعفٌ وقويٌّ في سيَّانِ

أعَاد دوْلَة عَبْدِ الوَادِي ثانيَةً حتَّى اسْتَقامَتْ بأسَاسٍ وأرْكَانِ

يا ناظِمَ المُلْكِ بالأمْوَالِ ينْشُرُهاَ كمْ كفَّ كَفَاكَ من أزْمانِ أزْمَانِ

نوَالِكَ الغيْثِ إلاّ أنَّ ديمَتُهُ ضَرْبَانِ من ورقٍ محْضٍ وعقبَانِ

إلى أن يقول:

مَا مِثْلُ عنْدَكَ من مدَّاحِ مجْدِكَ منْ مُثْنٍ ولا لكَ في الأفْلاكِ منْ ثانٍ[2]

لقد استطاع الثّغري أن يضفي على ممدوحه صوراً جميلة، حيث ضمَّنها فضائل متعدّدة؛ كالشّجاعة والنّسب الرّفيع، وعلو المكانة، والهمَّة، والفراسة، وشدّة الذكاء حتى ليبدو شكله يقيناً، كما أنَّه الشّديد الرحيم في آن واحد، أعاد ملك أجداده من جديد بعدما كاد يمَّحي، فهو العطوف على الرّعية فلا حياة له إلا بجانبها راعياً وحامياً كالرّوح لا يحيا إلاَّ في الجسد، كما بيّن بطشه في الحروب، وعفّته عند المغانم، وهذه الصّفات لم يذكرها الثغري مجاملة أو نفاقاً وإنَّما إيماناً منه بصحّتها وتجسّدها في شخص هذا الملك الأمير وحباً

(1)- الديوان.

(2)- الديوان.

فيه. وملازمتها لأبي حمّو أمر بديهي لا يختلف فيه اثنان، فالملك واحد في هذا المجد لا يدانيه فيه أحد، كما يبدو تأثُّر الثغري بالشعر القديم، منه استدعاء بيت عنترة العبسى التالي:

يُخْبِرُكَ مـنْ شَـهدِ الوَقيعَـة أنّنـي أغْشَى الوغَى وأعْفُّ عنْدَ المغْنَمِ

ولم يقتصر مدح الثغري للملك أبي حمّو فقط، وإنَّما مدح أيضاً نجله ووليّ عهده أبي زيّان، فقال عنه في إحدى مولدياته بعدما مدح والده:

عـدوّكَ مقْهـورٌ وسَـعْدُكَ ظَـاهِرٌ وَجيْشُـكَ منْصُـورٌ وسـيْفُكَ نَاصِـلُ
ونجْلُـكَ ميمُـون النَّقيبَـةِ ماجِـدٌ وللْعـرْفِ بـدَّالٌ وفـي الحَـرْبِ باسِـلُ
يهْديكُم اسْتهْدَى بمَجْدِكمْ اقْتدَى فلاَحـتْ عليْـهِ مـنْ سِـنَاكمْ دَلائِـلُ
وفـي البدْرِ نُـورٌ مِنْ سنَا الشّمْسِ وللشِّـبْلِ مـنْ ليْـثِ العـرينْ مخايِـلُ[1]

في هذه الأبيات يخاطب الثغري أبا حمّو قائلا: إنك أيّها الملك محظوظ، فقد منَّ الله عليك بالنّصر على الأعداء، وبالشّجاعة التي لا تضاهى، كما رزقك وليّ عهد شجاعٍ مقدام، كريم الشَّمائل طيِّع الأخلاق، ولا غرو في هذا، مادام ابنكم ووليّ عهدكم، فكما تبدو صورتك وأخلاقك متمثلة فيه، يبدو البدر منيراً من سنا الشّمس وضياءها، كذلك تبدو قوّة الأشبال من مخايل الأسود، إنّها حقاً صورة بيانية جميلة، بيَّنت براعة الشّاعر وتأثّره الشّديد بالشعراء العباسيين.

كما مدح أبا تاشفين في الأبيات التالية:

إمَـامٌ تـوَلّى الله تَشْـييدَ فخْـرِهِ فَمَـا شـئْتَ مِـنْ مجْـدٍ ومكْـرَمِ عـدِ
هُمَـامٌ حبَـاهُ الله عـزَّةَ نصْـرِهِ فللّـهِ مـنْ نَصْـرِ عزيـزٍ ومـنْ عَضُـدِ
لـهُ الجُـودُ أضْـحَى أمَّـةً فيـهِ كَمَـا أنَـا فـي مدْحِـهِ أمَّـة وحْـدي
لـه العسْـكَرُ الجَّـارُ يحْلُـو قَتَامَـهُ أسنَّته كالشَّـهبِ فـي الظّلمِاءِ الرَّبِدِ
يبِيـدُ العِـدَى قبْـلَ اللّقَـاءِ مَهَابـةً فتُبْرِى الطّلى أسْيافَهُ وهِيَ فيٍ الغِمْدِ
يُهَـابُ ويُرْجَـى فِـي جَـلالِ جَمَالِـهِ كليْـثٍ وغيْـثٍ فـي وَعيـدٍ وفـي وعْـدِ
فيَـا مَلِكًـا يحْمِـي الرَّعيـةَ رعْيُـهُ ويَحْمِـيهمْ بالبـذْلِ والعيشَـة الرَّغْـدِ

(1)- (2)- الديوان.

وَيكْفُلُهُـمْ بالعَـدْلِ والفَضْـلِ والنَّـدى وَيشْـمَلُهُمْ بـالجُودِ والرِّفْـقِ والرَّفْـدِ[2]

ويمدحه في مولدية أخرى بقوله:

لا تحسَـبَنَّ الـدُّنْيَا بغيْـرِ ثَلاثـةٍ مَـا فـي الوُجُـودِ إذَا نَظـرَتْ سِـوَاهَا؛

بـدْرُ الـدّوجَى والنَّاشِـفي الرَّضِـيُّ والشَّـمْسُ فـي إشْـرَاقِهَا وعُلاهَـا

رَاقتْ مَحَاسِـنُهَا الثّلاثـةُ فأغْتدَتْ للنّـاظِرينَ نَظـائِرُ أشْـبَاهَا

ترْجُـو الـبِلادُ القاصـيَاتُ نَوَالـهُ فَنَوالـهُ كحيَاتِهَـا وحَياتُهَـا

في الأبيات الأولى يمدح الشاعر "أبا تاشفين" بالشّجاعة والكرم والبذل والسّخاء، أمَّا في المجموعة الثانية فهو يعظّم نجل أبي حمّو "أبي تاشفين" فيرى أنَّه واحد من ثلاثة أمور مهمّة لا استغناء عنها: الشّمس والبدر، وهذا الأمير الهمام، حيث تبدو الحياة رائعة بوجود هذا الثّلاثي، فكل البلاد تتمتّع بالبدر والشّمس فقط، في حين تتمتّع تلمسان بالثّلاثة معاً.

ويمدح أبا زيّان في مولدية أخرى بقوله:

إمَـامٌ مـلأ الـدُّنْيَا تُقـىً وفضَـائلاَ وتـرْتَجُّ أحْشَـاءُ المُلُـوكِ بـهِ ذعْـراَ

فمِـنْ سـيرَتِهِ أدْرَكَـنَ عمْـراً ومـنْ مَـواطِنٍ فـي الهِجَـاءِ أنْسـيْنَا عَمْـرُوا

دَرَى بطعْـنِ الـرُّمْحِ فـي بطْـنِ العِـدَى ولَكِنْ بِضَرْبِ السَّيْفِ فوْقَ الطَّلى أدْرَى

مَليـكَ أقَـامَ الخلْـقَ فـي ظـلِّ عدْلِـهِ وأقْضَـى علـيْهِمُ مـنْ مَلابِسِـهِ سِـتْراَ[1].

لقد وصف الشّاعر ممدوحه "أبو زيَّان" بما يدل على أنَّه؛ تقي ورع، كريم جواد، كما بيَّن أنَّه شجاع مَهيب دائم الانتصارات على الأعداء، تهتز أحشاؤهم ذعراً منه، كما وضح أن ليس رجل حرب فقط، بل رجل عدلٍ ورحمة، فهو يذكرنا برحمة عمر بن الخطاب، وبسالة وبطش عمرو بن معدي كرب الزبيدي[2] الذي اشتهر في الجاهلية بشدَّة قوَّته وشجاعته، وقد أدرك الإسلام وشهد واقعتي اليرموك والقادسية.

وعموماً فمدح الثّغري يتميّز بتكرار نفس الصّفات، وهي ثابتة في كل القصائد (الشّجاعة، الكرم، العدل، عزّة النّسب، القوّة والبطش، وحماية الرعية..) وعليه نخلص في

(1)-الديوان.

(2)-جاهلي توفي سنة 21هـ.

النهاية إلى أن مدح الثغري في مولدياته إنَّما هو مدح متأثّر بدرجة كُبرى بالمدح العبَّاسي ولا سيما؛ المتنبّي، البحتري، أبو تمَّام.. حتَّى البيئة نفسها تقترب بدرجة كبيرة من البيئة العبّاسية بظروفها الاجتماعية والسياسية، فكما اختلط العرب بالأجناس الأخرى من روم وفرس اختلط المغاربة بالاسبان والمسيحيين والبربر، فتعدّدت الثقافات وامتزجت الحضارات، وكما اقترب المتنبّي من سيف الدّولة وعاش عنده في بلاطه، اقترب الثغري من أبي حمّو وقرّبه إليه ونشأت بينهما صداقة متينة شهد بها شعره، فكانت المجالس التي تُعقدُ في حضرة سيف الدّولة وينشده المتنبّي وينافسه خصومه هو نفسه جوّ التّنافس الحاد في حضرة أبي حمّو موسى حين ينشده الثّغري منافساً للشّعراء الزيانيين أمثال: يحي ابن خلدون، التلاليسي، لسان الدين بن الخطيب...، والأميران الشاعران: "سيف الدولة"، و"أبي حمو موسى"، مقتدران يتذوقان الشّعر، وينظمانه ولا ينفكّان يغدقان العطايا على المتنبّي والثّغري.

إنّ هذه المقاربة الشّعرية وهذا الاستدعاء التاريخي ماثلان وبقوّة في مولديات الثغري، حيث تتشابه معاني الشاعرين وأحياناً تكاد تكون نفسها، وقد أبدع الشّاعر فيها إبداعاً يجعلنا نعترف بشاعريته ونُقرُّ أنَّ معانيه رغم أنَّها تقليدية إلاَّ أنَّها امتازت بالقوّة وسبك العبارة وتوظيف الصّورة الرّائعة، وتشكيل تفرد فنياً.

3- الخاتمة

لقد اهتمّ النقَّاد القدامى بخاتمة القصيدة كاهتمامهم بمطالعها، لأنّهم أدركوا أنَّ الخاتمة هي نهاية القصيدة وقاعدتها، لذلك وجب على الشاعر أن يبدع في صياغتها وأنْ لا تقل أهميتها عن المطلع لأنها (آخر ما يبقى منها في الأسماع وسبيله أن يكون محكماً لا يمكن

الزيادة عليه ولا يأتيَ بعده أحسن منه، وإذا كان أوَّل الشعر مفتاحاً له وجَبَ أنْ يكون الآخر قفلاً عليه...)[1]

لذلك اشترط النقَّاد أن تتوفّر الخاتمة على واحد من الشِّروط التالية:

- أنْ تكون الخاتمة مناسبة للعرض الشعري؛ ساراًً في التهاني أو المديح وحزينا في الرّثاء والتعازي.
- أن تكون الألفاظ مستعذبة والتأليف جزلاً مناسباً.
- أن تتضمَّن حكمة أو مثلاً سائراً.
- أن تكون تشبيهاً حسناً[2].

أمَّا فيما يخصّ اتّصال الخاتمة بالغرض الأساسي فإنَّ الشّعراء سحبوا الغرض نحو الخاتمة، بحيث جعلوا خواتم القصائد امتداداً للغرض، فجرّهم ذلك إلى التركيز على معنى سبق وأن أشار إليه الشاعر، فكان «... الشّعراء يأتون على ذكر هذا المعنى في آخر القصيدة للتأكيد وإنْ شئْتَ للتذكير»[3]

وهذا ما نجده ماثلاً في مولديات الثغري بوضوح، فالموضوع الأساسي (مدح الرسول ومدح الملك الموفوعة إليه المولدية) له علاقة امتداد بالخاتمة، فلا تشعر بالقطيعة بينهما وكأنَّ الخاتمة تأتي هنا لتكمّل الموضوع الأساسي وتجعل له نقطة النهاية، فمثلاً المولدية التي مطلعها:

لَوْلا هَوَى ذات الجِنَانبِ السَّامي مَا شمْتُ ثغْرَ البارقِ البسّامِ

فبعدما يتحدّث عن مدح الرسول الكريم فيذكر بعض فضائله ويعدّدُ معجزاته كقوله:

وفي ليْلَةِ الاثْنَيْنِ أشْرَقَ نُورُهُ بأجلَّ شَهْرٍ أوْ بأسْعَدِ عامِ

أبْدَى لَنَا مِنْ هدْيِهِ وَجَبِينُهُ نُوريْنِ شَمْسُ ضُحَى وبدْر تَمَامِ

(1)- ابن الرشيق: العمدة، ج 1، ص 239.

(2)- الربعي بن سلامة: بناء قصيدة المديح، ص 39.

(3)- محمد أحمد علي: أثر النزعة العقلية في القصيدة العربية، ص 98.

فَجَـلا بنُـورِ هُـدَاهُ كـلَّ ضَـلالَةٍ وجَـــلاَ بنُـــور ســـنَاهُ كُـــلَّ ظَـــلاَمِ

ينتقل للحديث عن أبي حمّو فيمدحه ويثني عليه في قوله:

مـوْلايَ حَـزّتْ مَعَـاني المَجْـدِ الـذي مَـا حَـازَ غيْـرَكَ منْـهُ غيْـرَ أسَـامي

فأسْـلَمَ أميـرُ المسْـلمينَ مؤيِّـداً فـــي غبْطَـــةٍ موْصُـــولةٍ بِـــدَوامِ

دَامتْ عُـلاَكَ فليسَ مثْلَكَ فِي العُـلاَ ســامٍ ولا لَـكَ فـــي المُلْـوكِ مُسَـامِ

وأسْـعَدْ بـدهْرٍ نَحْـوَ أمْـرِكَ ينْتَهـي وَإلَيْـــكَ يُلْقَـــى طائعـــاً بِزِمَـــامِ

ثم ينتقل للخاتمة فيربط بينها وبين مدح أبي حمّو موسى، فيبيّن أنّه يستحق أن تُهدى له هذه المولدية البديعة خاصة وأنها خُتمت بالصلاة والسلام على رسول الله:

وإلَيْـكَ مـنْ سِـحْرِ البيَـانِ بـدائِهَا قَصُـــرُ الخُطَـــا عنْهَـــا أبُـــو تَمَّـــامِ

هـيَ بنْـتُ فكْـرِ مـنْ حلاكُـمْ حُليـت بِنِظَـــــامِ دُرٌ أو بـــــدْرِ نِظَـــــامِ

حَسُنَتْ بِمدْحِكَ فـهِيَ خيْرٌ لـذاتِهَا شَـــهِدَتْ بـــذلِكَ ألْسُـــنُ الأنَـــامِ

خُتِمَـتْ بِـذكْرِ المُصـطَفَى فكأنَّهـا نفَحَـــاتُ مِسْـــكٍ عنـــدَ فَـــضِّ خِتَـــامِ

صلّى الله عليهِ من اصْطَفَاهُ كَرامة أزْكَـــى صـــلاةٍ شـــفِّعتْ بِسَـــلامِ

لقد ارتبط الموضوع الرئيسي بالخاتمة دون أن يشعر القارئ بحيث أنَّها تبدو كتتمَّة لها، أو امتداد لما جاء فيه وقد تمَّ هذا الربط بالبيت التالي:

واقْطَفْ منَ الأشْعَارِ روْضاً جَادَهُ مِنْ جُودِكَ الفيَّاضِ صوبِ غَمَامِ

أمَّا عن نوع هذه الخواتم فقد كادت تنحصر جميعاً في الدّعاء، إمَّا للرَّسول الكريم وإما للملك أبي حمو موسى الثاني، ولا بأس أن نبيَّن أن توفّر الخاتمة على الدّعاء قد كرّهه النقَّاد والشّعراء، لأنهم يرون فيه علامة من علامات الضّعف، إلا إذا تعلق الأمر بقصيدة رفعت لملكٍ أو أميرٍ أو صاحب شأن فلا شيء فيه.

وفي الآتي بعض الخواتمِ التي تمَّت بالدّعاء للرَّسول الكريم كوله:

ولاَ غـرْوَ أنْ حَيَّتَـكَ بالطّيـب رَوْضَـة تجُـودٌ لهـاَ بالصَّـيِّبِ الطيِّـبِ العهْـدِ

ومـــاَ هـــيَ إلاّ العقْـــدُ منـــيّ نظَمَـــهُ ومِـنْ وصْـفِكُمْ مَـا فيـهِ مـنْ جـوْهَر فَـرْدِ

جَــواهرُ عقــدٍ مــنْ نَســيب ومدْحَــهِ ومــدْحِ رســوُلِ الله واسِــطة العِقْــدِ
عليْــهِ سَــلامُ الله مــا رَبْــتَ الرُّبَــى ومَا صَافَحتْ ريحُ الصِّباَ قَضْبُ الرَّنْدِ[1]

بالإضافة إلى المولدية المتقدمة التي خُتمت كما يلي:

خُتِمَـتْ بِـذِكْرِ المصْـطَفَى فَكأنَّهـا نَفَحَـاتُ مِسْـكٍ عنْـدَ فـضِّ خِتَـامِ
صـلّى عليْـهِ مـنِ اصْـطَفَاهُ كَرامَـة أزْكَـى صَـلاة شُـفِّعتْ بِسَـلاَمِ[2]

أمَّا باقي المولديات فقد خُتمت بدعاء للخليفة أبي حمّو موسى الثاني:

فلازِـَلَـتْ منْصُـور اللَّـوَاءِ علَـى العـدَى وسـيْفُكَ مـاَضٍ فـي الطّغَـاة مـتَحَكّمُ
ودونَكُمَــــــــا حسْــــــــناَ[....] فيصْـبو إلْيْهَـا القلْـبُ والسَّـمْع والفَـمُ
فَصــــاَحَتُـَكَ فـــي الشِّـــعْرِ[...] مِـنَ العـرْب العرْبَـاءِ والغيْـرِ أعْجـمُ[3]

ففي هذه الخاتمة دعا الشاعر لممدوحه بالنَّصر على الأعداء، فسيفه ماضٍ وحسنه رائعٌ، ولسانه فصيح بيّن. أمَّا في مولدية أخرى فإنّه يدعو له بالسّعد والحظ الجيد المتجدّد دائماً:

ماَ متـَّلُ عبْدكَ في مدَّاحِ مجْدِ منْ مثْنٍ ولاَ لكَ في الأفْلاكِ منْ ثـانِ

فَدَامَ سعْدكَ يـا مـوْلايَ مقبِلاًَ مُجَـدِّدا كُلّمـاَ عَـادَ الجَديـدَان[4]

والأمر نفسه في المولدية التالية:

رَوْضٌ مــنَ الآداَبِ جيْـدٌ بجُـودِكُم فَغَــدَتْ لكُــمْ أزْهَــارهُ تَتَبسَّــمُ
فاخْلُــدْ ودُمْ وأهْنَــأ بمَوْسِــمِ موْلِــدِ لِمُحمَّـدِ الهَـادي فـنِعْمَ المَوْسِـمُ[2]

كما دعا له بالخلد في الجنة، والسّعد المسعد الذي لا ينتهي أبداً في مولدية الأخرى:

جعَـلَ الإلــه عُـلاكَ عنْوانــاً لِـمَا تَرْجُـو بِـدَار الخُلْـدِ مِـنْ عَلْياهَـا
وَحَبَــاكَ منْــهُ بِكُــلِّ ســعْدٍ مسْــعَدٍ لا ينْقضِــي أبَــدًا وَلا يتَنَــاهَى[2]

([1])- (2)-(3)-(4)- الديـوان.

([2])- (2)-(3)-(4)-(5)- الديوان.

أمَّا المولديتان التاليتان فيبيّن فيهما الثغري نعم الله على ممدوحه، وقد جعلها متمثلة في النَّصر على الأعداء، وعودة الأمن إلى ربوع البلاد، ففي المولدية الأولى يقول:

فَـدَامتْ بِـكَ الأيَّـام تظْهِـرُ حُسْـنُهاَ وتَحْسّـد أخْـراَهُن فِيـكَ الأوَائـلُ
ولا زَالَ صـرْفُ الـدَّهْرِ طوْعَـكَ كُلّمَـا أمَـرْت بِـأمْرٍ قـائلاً فهُـوَ فاعِـلٌ[3]

أمـا فـي الثانيـة فيقـول:

وسَـــعْدُكَ بعْـــدَ الله ردْءٌ لجَيْشِـــه ويَـا حبَّـذَا جـيْشُ مِـنَ السَّـعْدِ حافِـلُ
بِـهِ أمِنَـتْ سُـبُلٌ وَكَانـتْ مَخُوفـة وَدَانَـتْ بِـلادٌ واسْـتَكَانَتْ مَعاَقِـلٌ[4]

بينمـا فـي نـوع آخـر مـن خـواتم مولدياتـه، فيقـرن دعـاءه للخليفـة بـدوام العـز والملـك ورضـا الله عنـه فـي الـدنيا والآخـرة، بفضـل هـذا الممـدوح علـى الشـاعر فهـو مـن ألهمـه نظـم القوافي ولولاه لما كتب الشعر قط.

وفي هذا المعنى يقول:

وَمَـا كُنْـتُ أدْري الـنَّظَمَ والنَّثْـرَ قبْلهـاَ فَعلّمـنِي إحْسَـانُكَ الـنَّظَمَ والنَّثْـراَ
تَـولاّكَ مَـنْ ولاّكَ بـالعزِّ والبَقـاءِ وأوْلاكَ في الدّنْياَ رِضَاهُ وفي الأخْرَى[5]

وفيه يقول في مولدية أخرى:

وَمَـا كُنْتُ أدْري الشِّعْرَ قِدْمًاْ وإنَّمَـا تعلّمْـتُ مـنْ تلْـكَ المعَـالي المَعَانيـاَ
فَلـوْلاَ حُلاكُـمْ أوْ عَلاكُـمْ لمَـا غَـدَتْ تُطَـاوعُني مهْمَـا دَعـوْتُ القَوافيـاَ[1]

يبقى نوع أخير من الخاتمة لم يرد إلاَّ في مولدية واحدة، حيث يطلب الثغري من أبـي حمّو موسى أن يرفع من شأنه ويصلح له حاله، وفي سبيل الظَّفر بهذا الهدف يستعمل كل مـا في يده من وسائل فيقول:

وأطْلُـبْ نَفْسـي بـالوُقوفِ بِبَابِـهِ لِيَرْفَـعَ مـنْ شـأنِي ويُصْـلِحَ مـنْ حَـالي
واجْعَـلُ أسْـرَجَ إلَيْـهِ وسـائِلي فـذَلِكَ أوْلَـى لـي وَدلِـكَ أسْـمَى لِـي[2]

وعلى العموم فالثغري لم يـأتِ بجديد في الخاتمـة، وإنَّمـا جـارى الأوائل في نظمهم، ولم يتعلق الأمر بالخاتمة فقط وإنَّما بصدر القصيدة ومطلعها أيضاً، كما بيّنَّا ذلك، وذلك

(1)-(2)- الديـوان.

للأسباب التي ذكرناها في بداية هذا الفصل، لكن حضوره في هذا السياق يمكن أن يتأتَّى له الفضاء التشكيلي الفني في هيكلة النص، أو هندسته أو إخراجه، وهو أمر غير هين في كل الأحوال.

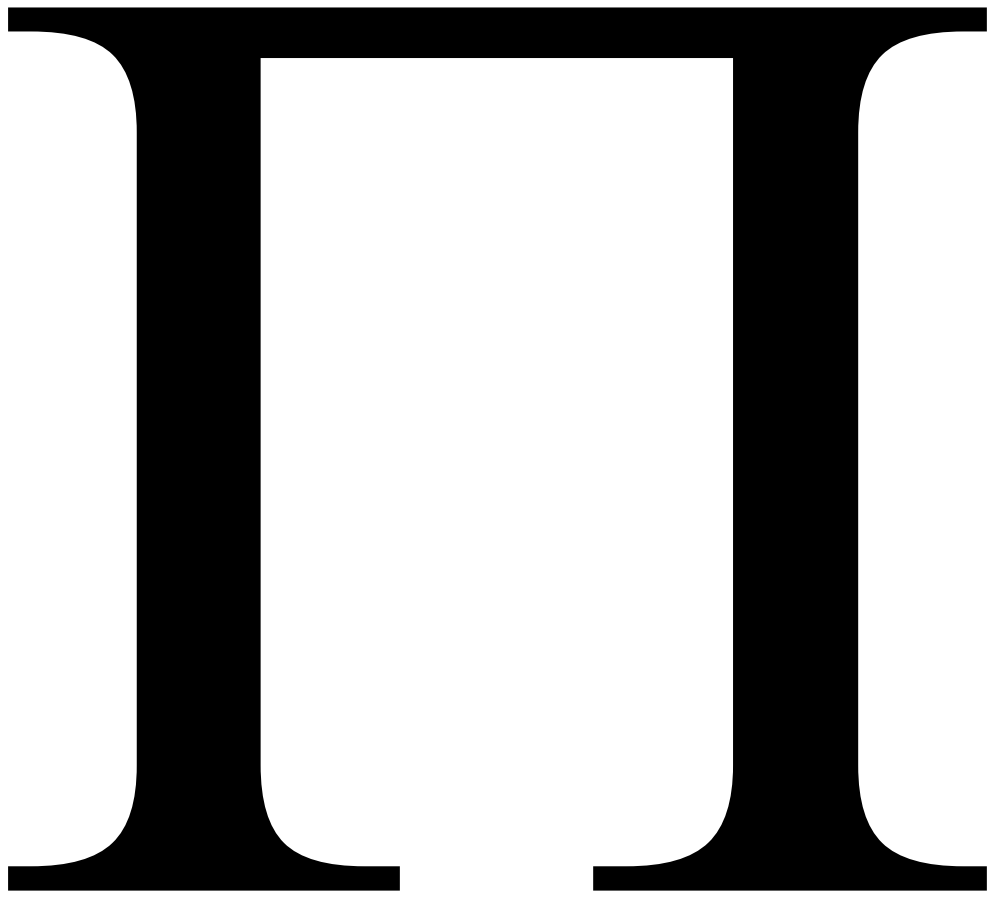

الفصل التمهيدي

الفصل الأول

المولديات مفهومـا وتاريخـاً

1- مفهوم ومعنـى المولديـات.

2- تأسيسها وتطـورها.

3- علاقتها بنصوص أخرى في الفضاء التاريخي والمكاني

الفصل الثاني

المضمون بين الرّاهن والاستدعاء

أولا- الانفـراد: تميز الشاعر عن سابقيه ومعاصريه

ثانيا- الاشتراك : محافظة الشاعر على خصائص الشعر العربي القديم وذلك عبر ثلاث مستويات:

1- المقدمة

2- الصدر

3- الخاتمة

الفصل الثالث

في التشكيـل الجمالـي

1- المعجم

2- التناص

3- التصوير

4- البنيـة العروضية والإيقاعية

مقدمة

خاتمة

ملحق بالمدونة المدروسة

فهرس الموضوعات

قائمة المصادر والمراجع

RÉSUME DU MÉMOIRE

الصفحة

- مقدمة : ..... أ- د

الفصل التمهيدي : تمهيد عن الفضاء الزمكاني و الشاعر

أولا- الحياة السياسية : 6

1- الدور الأول : دور القوة والإستقلال : 10

- أهم مميزات هذا العصر : 10

2- الدور الثاني : دور الضعف السياسي : 11

- أهم مميزات هذا العصر : 11

3- أهم سلاطين وأحداث الدور الأول : 12

أ- يغمراسن (633 – 681 هـ) : 12

ب- أبو سعيد يغمراسن (681 – 703 هـ) : 14

جـ - أبو زيان بن أبي سعيد (703 – 707 هـ) : 14

د- أبو حمو بن أبي سعيد (707 – 710 هـ) : 15

هـ- أبو تاشفين الأول بن أبي حمو الأول (718 – 787 هـ) : 15

- الإستيلاء المريني على تلمسان (737 – 760 هـ) : 15

و- أبو حمو موسى الثاني (760 – 791 هـ) : 16

- السيطرة المرينية للمرة الثالثة على الدولة الزيانية (772 هـ) : 16

ز- الصراع بين أبي حمو موسى الثاني وابنه ابي تاشفين : 16

4- أهم الأحداث في الدور الثاني : 17

ثانيا- الحياة الإجتماعية : 19

أ- طبقات المجتمع الزياني : 19

ب- لغة المجتمع الزياني : 19

جـ- عقيدة المجتمع الزياني : 20

ثالثا- الحياة الفكرية والأدبية : 21

رابعا- الحياة الإقتصادية : 25

أ- المجال الفلاحي : 25

ب- المجال التجاري : 25
جـ- المجال الصناعي : 26
د- النشاط المعماري : 27
أ- إسمه ونسبه : 28
ب- مولده ونشأته : 29
جـ- تعلمه وشيوخه وتدريسه : 31
د- الثغري في بلاط أبي حمو الثاني : 32
هـ- وفاته : 33
و- آثاره : 34
ز- منزلته الأدبية والعلمية : 34
- الفصل الأول : المولديات مفهوما و تاريخا
أولا- مفهوم و معنى المولديات : 37
أ- المولديات من الناحية اللغوية : 37
ب- المولديات من الناحية الإصطلاحية : 37
جـ- المدح لغة : 37
د- المدح إصطلاحا : 37
هـ- المدح في الشعر الزياني : 39
ثانيا- تأسيسها و تطويرها : 45
1- تأسيسها : 45
2- تطورها : 52
أ- في عهد النبوة : 52
ب- في عهد بني أمية : 53
جـ- في عهد بني العباس : 53
د- الإحتفال بالمولد النبوي في العهد الفاطمي : 54
هـ- الإحتفال بالمولد النبوي في إربل : 55
و- الإحتفال بالمولد النبوي في المغرب الأقصى : 55

ز- إحتفال الدولة الزيانية بالمولد النبوي : 56
ثالثا- علاقتها بنصوص أخرى في الفضاء التاريخي و المكاني : 60
أ- علاقة المولديات بالمدائح النبوية : 60
ب- علاقة المولديات بالبديعيات : 63
جـ- علاقة المولديات بالأدب الصوفي : 67
الفصل الثانـي : المضمون بين الراهن و الإستدعاء
أولا- الإنفراد: 73
ثانيا- الإشتراك: 74
1- المقدمة: 75
أ- المقدمة الغزلية : 76
ب- المقدمة الشيبية : 78
جـ- المقدمة الخاصة بالرحلة إلى البقاع المقدسة : 80
د- المقدمة الطللية : 80
2- صـدر القصيدة المولدية : 86
أ- مدح النبي الكريم : 86
- فضائل الرسول الخلقية والخلقية : 86
- معجزات الرسول التي صاحبت مولده : 88
- معجزاته بعد البعثة : 90
ب- مدح الملك الذي رفعت إليه المولدية : 94
3- الخاتمـة : 100
الفصل الثالـث : في التشكيل الجمالي
أولا- المعجم (اللفظ و المعنى) : 106
1- مواقف النقاد في قضية اللفظ والمعنى : 106
أ- موقف الجاحظ : 106
ب- موقف عبد القاهر الجرجاني:..... 107
جـ- موقف حازم القرطاجني: 108

د- موقف ابن رشيق : 109
ثانيا- التنـاص : 118
1- التناص الإجتراري : 120
2- التنـاص الحواري : 120
ثالثا- الصورة: 129
رابعا- البنية العروضية والإيقاعية : 135
1- الإيقاع (الوزن والقافية) : 135
2- التكرار : 138
أ- مفهومه لغة : 138
ب- إصطلاحا : 138
3- رد الصدر على العجز : 140
4- التجنيس : 141
5- الترصيع : 143
- خاتمـة : 146
- ملحق بالمدونة المدروسة : 149
- قائمة المصادر و المراجع : 213
- الفهـرس : 225
- RÉSUME DU MÉMOIRE : 230

وقال الثغري التلمساني **من بحر الطويل**

أعلل نفسي والتعلل لا يجدي *

1 أُعَلِّلُ نَفْسِي وَالتَّعَلُّلُ لاَ يُجْدِي ... وَإِنْ كَانَ أَحْيَانًا يُسَكِّنُ مِنْ وَجْدِي

2 فَهَلْ مِنْ سَبِيلٍ وَ ٱلأَمَانِي ضِلَّةٌ ... إِلَى مَعْهَدٍ بِٱلأُنْسِ طَالَ بِهِ عَهْدِي

3 وَأَيَّامُ وَصْلٍ كُلُّهُنَّ أَصَائِلٌ ... وَمَاضِي زَمَانٍ كُلُّهُ زَمَنُ الْوَرْدِ

4 سَمَحْتُ بِدَمْعِي لِلطُّلُولِ مُسَائِلاً ... رُسُومَ ٱلْهَوَى لَوْ أَنَّ تِسْآلَهَا يُجْدِي

5 وَلَمْ أَبْكِ أَطْلاَلاً لِهِنْدٍ مَوَاثِلاً ... بِذِى ٱلأَثَلِ لَكِنِّي بَكَيْتُ عَلَى هِنْدِ

6 وَكَمْ كَاتِمٍ سِرَّ ٱلْمَحَبَّةِ قَدْ وَشَى ... بِهِ مِهْرَاقُ الدَّمْعِ فِي مُهْرَقِ ٱلْخَدِّ

7 وَمَاهَاجَ شَوْقِي غَيْرَ زَمِّ رَكَائِبٍ ... تَخُبُّ بِأَبْرَاجِ ٱلْهَوَادِجِ أَوْ تُخْدِي

8 بُدُورٌ طَوَتْهَا حِينَ جَدَّتْ بِهَا النَّوَى ... خُذُورٌ كَمَا يَطْوِي ٱلْكَمَامُ عَلَى ٱلْوَرْدِ

9 فَجُدْتُ بِرُوحِي حِينَ ضَنُّوا بِوَصْلِهِمْ ... وَعَادَتْ دُمُوعِي مِثْلَ مَنْتَثِرِ ٱلْعَقْدِ

10 فَلِلَّهِ مِنْ دَمْعٍ يَجُودُ عَلَى الثَّرَى ... بِيَاقُوتِهِ ٱلْقَانِي وَجَوْهَرِهِ ٱلْفَرْدِ

11 فَرِفْقًا بِصَبٍّ فِي يَدِ الشَّوْقِ مُفْرَدٍ ... بِأَشْجَانِهِ يَاسَاكِنِي العَلَمِ ٱلْفَرْدِ

12 يُكَلِّفُ عَرَّافَ ٱلْيَمَامَةِ بُرْءَهُ ... وَيَعْلَمُ أَنَّ ٱلْبُرْءَ فِي عَلَمَيْ نَجْدِ

---

* الأبيات من 1 إلى 65 في نظم الدرو العقيان للتنسي، ص 196 إلى 203

13 فَهَـلْ رَاجِـعٌ مَافَـاتَ فِـي زَمَـنِ الصِّـبَا وَهَيْهَـاتَ مَـا إِنَّ لِلشَّـبِيبَةِ مِـنْ رَدِّ

14 وَمَـاإِنْ ذَمَمْـتُ الشَّـيْبَ أُدْخِـلَ مَفْرَقِـي فَكَمْ مِنْ يَدٍ لِلشِّيبِ مَشْكُورَةٍ عِنْدِي

15 يُنَفِّـرُ شَـيْطَانَ الْغِوَايَـةِ نُـورَهُ إِذَا حَـلَّ فِـي فَـوْدِي وَيَهْـدِي إِلَـى الرُّشْـدِ

16 إِذَا ابـيضَّ فَـوْدِي زَادَ طَبْعِـيَ رِقَّـةً كَمَـا وَصَـفُوا البِـيضَ الرِّقَـاقِ مِـنَ الهِنْـدِ

17 وَلَكِنَّنِـي أَبْكِـي لِزَلَّاتِـي الَّتِـي تَجَـاوَزْتُ فِيهَـا مُنْتَهَـى الحَصْـرِ وَالحَـدِّ

18 وَإِنِّـي وَإِنْ كَانَـتْ ذُنُـوبِي كَثِيـرَةً وَأَثَـرْتُ غَيِّـي إِذَا تَعَامَيْـتُ عَـنْ رُشْـدِ

19 لِأَرْجُـو شَـفِيعَ الْمُـذْنِبِينَ مُحَمَّـدًا يُشَـفِّعُهُ الْمَـوْلَى فَيَشْـفَعُ فِـي الْعَبْـدِ

20 نَبِـيٌّ تَسَـمَّى أَحْمَـدًا وَمُحَمَّـدًا وَأَطْنَـبَ فِيـهِ الْـوَحْيُ بِالْمَـدْحِ وَالحَمْـدِ

21 نَبِـيٌّ جَمِيـعُ الرُّسْـلِ تَحْـتَ لِوَائِـهِ وَقَـدْ خُـصَّ فَضْـلاً دُونَهُـمْ بِلَـوا الْحَمْـد

22 كَمَـا خُـصَّ بِالسَّـبْعِ الْمَثَـانِي كَرَامَـةً مِـنَ اللهِ وَهْـيَ السَّـبْعُ مِـنْ سُـورَةِ الْحَمْـدِ

23 لَـهُ مُعْجِـزَاتٌ مَـا تَلَـتْ كُـلَّ مَـا أَتَـى بِـهِ الرُّسْـلُ مِـنْ آَيٍ وَأَرْبَـتْ عَلَـى العَـدِّ

24 وَأَعْظَمُهَـا الْقُـرْآنُ يَهْـدِي لَنَـا الْهُـدَى فَيَـا حُسْـنَ مَـا يُهْـدِي وَيَـافَوْزَ مَـنْ يَهْـدِي

25 هُوَ ٱلْوَحْيُ أَجْلَى مِنْ سَنَا الشَّمْسِ فِي الضُّحَى سَـنَاهُ وَأَحْلَـى حِـينَ يُتْلَـى مِـنَ الشَّـهْدِ

26 لَـــهُ أَنْشَـــقَّ بَـــدْرُ الـــتَّمِّ عِنْـــدَ كَمَالِـــهِ فَشَـاهَدَهُ مَـنْ كَـانَ بِـالْقُرْبِ وَالْبُعْـدِ [1]

27 لَـــهُ حَـــنَّ جِـــذْعُ النَّخْـــلِ عِنْـــدَ فِرَاقِـــه حَنِينًـا شَـكَى مِـنْ شَـوْقِهِ أَلَـمَ ٱلْفَقْـدِ [2]

28 وَفَـــاضَ نَمِيـــرُ ٱلْمَـــاءِ بَـــيْنَ بَنَانِـــهِ إِلَى أَنْ تَرَوَّى ٱلْجَيْشُ مِنْ ذَلِكَ ٱلْوِرْدِ [3]

29 وَآيَاتُـــــهُ قَبْـــــلَ ٱلْـــــوِلَادِ وَبَعْـــــدَهُ لِكَثْرَتِهَـا لَـمْ تُحْـصَ فِـي ٱلْقَبْـلِ وَٱلْبَعْـدِ

30 وَمَوْلِـــــدُهُ لِلْخَلْـــــقِ أَسْـــــعَدُ مَوْلِـــــدً فَهُـمْ مِنْـهُ فِـي ظِـلٍّ مِـنَ ٱلأَمْـنِ مَمْتَـدِّ

[1]- في هذا البيت يسجل لنا الشاعر معجزة عظيمة من معجزات الله عز وجل حيث يقول تعالى في قرآنه الكريم « **اقتربت الساعة وانشق القمر وإن يروا أية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر** » سورة القمر آية 1، 2.

وكان سبب حدوث هذه المعجزة العظيمة هو أن بعض كفار قريش طلبوا من الرسول صلى الله عليه وسلم آية من آيات الله مشترطين في ذلك أن تكون في إنشقاق القمر، فسأل الرسول صلى الله عليه وسلم ربه ذلك فإذا بالقمر ينشق فرقتين : أنظر : العسقلاني : فتح الباري بشرح صحيح البخاري جـ 14، ص 129 ، حديث عبد الله بن مسعود رقم 3636.

[2]- في هذا البيت يشير الثغري إلى قصة حنين أن مسجده صلى اله عليه وسلم كان قائما على جذوع النخيل وكان إذا خطب في الناس يقوم إلى جذع منها فصنع له منبرا، وحينما صعده خار الجذع حتى تصدع وانشق وفي رواية أخرى أن النخلة أو الجذع صاح حتى نزل الرسول صلى الله عليه وسلم وضمه إليه وجعل يئن الواله، فما زالت تحن حتى نزل الرسول صلى الله عليه وسلم من على المنبر فمشى إليها فاحتضنها فسكتت أنظر « زلاقى محمد : شعر المولديات في المغرب العربي الإسلامي. رسالة ما جستير ص 244.. ».

[3]- هذا البيت عبارة عن سد لحادثة مفادها أن أنس رضي الله عنه قال : رأيت الرسول صلى الله عليه وسلم، وحانت صلاة العصر. والتمس الناس الوضوء فلم يجدوه، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضوء فوضع يده في ذلك الإناء فأمر الناس أن يتوضأوا منه فرأيت الماء ينبع من بين أصابعه، وأطراف أصابعه حتى توضأ القوم، قال رواية فقال لأنس كم كنت قال كنا ثلاثمائة. (أنظر النباهي : الأنوار المحدية، ص 273.)

31 أَلاَ يَاشَـــــفِيعَ المُـــــذْنِبِينَ شَـــــفَاعَة وَعَـدْتَ بِهَـا فِـي الحَشْـرِ يَاصَـادِقَ الوَعْـدِ

32 فَقَـــدْ عَـــافَنِي شَـــيْبٌ وَضَـــعْفٌ وَكَبْـــوَةُ قَضَـتْ لِـي عَـنْ مَغْنَـاكَ بِالنَـأي والبُعْـدِ

33 فَمَـــنْ لِـــي بِرَبْـــعٍ حَلَّـــهُ خَيْـــرُ مُرْسَـــلٍ أُعَفِّـــرُ خَـــدِّي فِـــي ثَـــرَى ذَلِـــكَ اللَّحْـــدِ

34 وَأُبْلِـــغُ قَلْبِـــي مَـــا تَمَنَّـــى مِـــنَ الْمُنَـــى وَأُبْـــرِدُ شَـــوْقًا فِيـــهِ مُلْتَهِـــبَ الوَقْـــدِ

35 وَأُشْـــفِى غَلِيلِـــي بِـــالْوُرُودِ لِزَمْـــزَمٍ فَيَـــا ظَمَـــأَى شَـــوْقًا إِلَـــى ذَلِـــكَ الـــوِرْدِ

36 لَـــئِنْ فَـــاتَنِي فِيمَـــا مَضَـــى مِـــنْ شَـــبِيبَتِي وَلَـــمْ أَعْتَمِـــلْ سَـــيْرًا بِـــنَص ٍوَلاَ وَخَـــدِ [1]

37 فَتَحْـــتُ اللَّـــوَاءَ التَّاشَـــفِينِي بِسَـــعْدِهِ تُبَلِّغُنِـــي أَظْعَانُـــهُ مُنْتَهَـــى قَصْـــدِي

38 إِمَـــامٌ تَـــوَلَّى اللهُ تَشْـــيِيدَ فَخْـــرِهِ فَمَـــا شِـــئْتَ مِـــنْ مَجْـــدٍ وَمِـــنْ كَـــرَمٍ عُـــدِّ

39 هُمَـــامٌ حَبَـــاهُ اللهُ عِـــزَّةَ نَصْـــرِهِ فَلِلَّـــهِ مِـــنْ نَصْـــرٍ عَزِ ٍيـــزٍ وَمِـــنْ عَضُـــدِ

40 لَـــهُ السَّـــعْدُ وَالسَّـــعْيُ الْجَمِيـــلُ مُـــلاَزِمٌ وَنَاهِيـــكَ مِـــنْ سَـــعْيٍ جَمِيـــلٍ وَمِـــنْ سَـــعْدِ

41 لَـــهُ الْجُـــودُ أَضْـــحَى أُمَـــةً فِيـــهِ وَحْـــدَهُ كَمَـــا أَنَـــا فِـــي مَـــدْحِي لَـــهُ أُمَّـــةٌ وَحْـــدِي

42 لَـــهُ الْعَسْـــكَرُ الْجَـــرَّارُ يَجْلُـــو قَتَامَـــه أَسِـــنَّتُهُ كَالشُّـــهُبِ فِـــي الظُّلَـــمِ الرُّبْـــدِ

43 كَـــرَوْضٍ وَلَكِـــنَّ السُّـــيُوفَ جَـــدَاوِلٌ وَسُـــمْرِ الْقَنَـــى الْخَطِّـــيِّ كَالْقُضْـــبِ الْمُلْـــدِ

44 كَسُـــحْبً وَلَكِـــنَّ السُّـــيُوفَ يَرُوقُهَـــا إِذَا مَـــا انْتَضَـــوْهَا وَالصَّـــوَامِلُ كَالرَّعْـــدِ

45 يُعِـــدُّ إِلَـــى الأَعْـــدَاءِ كُـــلَّ كَتِيبَـــةٍ بِهَـا الْجُـرْدُ [1] تُـرْدِي وَالفَـوَارِسُ كَالأَسَـدِ

---

[1]– الوخذ : الإسراع أو سعة الخطو

[1]– الجرد : جمع أجراد وهو الفرس السباق

46 وَكُـــلَّ صَـــقِيلِ الصَّـــفحَتَيْنِ مُهَنَّـــدٍ وَكُـــلَّ قَـــوِيمِ الْمُـــتْنِ مُعْتَـــدِلِ الْقَـــدِّ

47 يُبِيـــدُ الْعِـــدَى قَبْـــلَ اللِّقَـــاءِ مَهَابَـــةً فَتَبَـرَى الطَّلَـى أَسْـيَافُهُ وَهِـيَ فِـي الغِمْـدِ

48 يُهَـــابُ وَيُرْجَـــي فِـــي جَـــلاَلِ جَمَالِـــهِ كَلَيْـثٍ وَغَيْـثٍ فِـي وَعِيـدٍ وَفِـي وَعْـدِ

49 فَيَـــا مَالِكًـــا يَحْمِـــي الرَّعِيَـــةَ رَعْيَـــهُ وَيُحْيِـــيهِمُ بِالْبَـــذْلِ وَالْعِيشَـــةِ الرَّغْـــدِ

50 وَيَكْفُلُهُـــمْ بِالْعَـــدْلِ وَالْفَضْـــلِ وَالنَّـــدَى وَيَشْـــمُلُهُمْ بِـــالْجُودِ وَالرِّفْـــقِ وَالرِّفْـــدِ

51 لِيَهْنِـــكَ مَـــا جَـــدَّدْتُ مِـــنْ عَهْـــدِ مَوْلِـــدٍ وَسَـــابِعُهُ أَكْـــرِمْ بِـــذَلِكَ مِـــنْ عَهْـــدِ

52 جَمَعْـــتَ جَمِيـــعَ الْحُسْـــنِ فِـــي لَيْلَتَيهِمَـــا تُـــذَكِّرُنَا كِلْتَاهُمَـــا جَنَّـــةَ الْخُلْـــدِ

53 هُـــوَ الْمَوْلِـــدُ السَّـــامِي وَسَـــابِعُهُ الرِّضَـــي فَمَـــا لَهُمَـــا فِـــي مَظْهَـرِ الْفَخْـرِ مِـنْ حَـدِّ

54 وَيَهْنِيـــكَ أَبْنَـــاءُ بَنَـــوْا بِـــكَ مَجْـــدَهُمْ وَلاَحُـــوا نُجُومًـــا فِـــي سَـمَا ذَلِـكَ الْمَجْـدِ

55 وَأَضْـــحَتْ سُـــرُوجُ الصَّـــافِنَاتِ مُهُـــودَهُمْ تَعَوَّدَهَـــا أَطْفَـــالُهُمْ عِـــوَضَ الْمَهْـــدِ

56 سَـــمَوْا بِـــكَ فِـــي أُفْـــقِ الْمَعَـــالِي كَوَاكِبًـــا أَبُـــو ثَابِـــتٍ مِـــنْ بَيْـــنِهِمْ قَمَـــرُ السَّـــعْدِ

57 لَعَمْـــرِي لَقَـــدْ زَانَتْـــهُ مِنْـــكَ مَهَابَـــةٌ كَمَـــا زَانَ إِشْـــرَاقُ الْفِرَنْـــدِ ظُبَـــى الْهِنْـــدِ

58 فَمَـــا الْبَـــدْرُ فِـــي إِشْـــرَاقِهِ وَضَـــيَائِهِ بِأَجْمَـــلَ مِنْـــهُ عِنْـــدَ مَطْلِـــعَ الْوَفْـــدِ

59 فَـــدُمْتَ لَـــهُ يُرْضِـــيكَ بِـــالْبِرِّ وَالتُّقَـــى وَتُرْضِـــيهِ بِالرِّضْـــوَانِ عَنْـــهُ وَبِالرُّشْـــدِ

60 وَدُونَـــكَ رَوْضًـــا مِـــنْ ثَنَائِـــكَ عَـــاطِرَا فَمَـا لِثَنَـاكَ الْعَـاطِرَ النَّـدَّ(1) مِـنْ نِـدِّ

61 فَمِنْـــكَ أَجَـــدْنَا الْقَـــوْلَ فِيـــكَ وَإِجَـــادَةً وَمَـا طَـابَ مَـاءُ الْـوَرْدِ إِلاَّ مِـنَ الْـوَرْدِ

62 وَلاَ غَـرْوَ أَنْ حَيَّـتَكَ بِالطِّيـبِ رَوْضَـةٌ تَجُـودُ لَهَـا بِالصَّـيِّبِ الطَّيِّـبِ الْعَهْـدَ

63 وَمَـــا هِـــيَ إِلاَ الْعِقْـــدُ مِنِّـــيَ نَظْمُـــهُ وَمِـنْ وَصْـفِكُمْ مَـا فِيـهِ مِـنْ جَـوْهَرٍ فَـرْدِ

64 جَـــوَاهِرُ عِقْـــدٍ مِـــنْ نَسِـــيبٍ وَمِدْحَـــةٍ وَمَـــدْحُ رَسُـــولِ اللهِ وَاسِـــطَةُ الْعِقْـــدِ

65 عَلَيْـــهِ سَـــلاَمُ اللهِ مَارَبَـــتِ الرُّبَـــى وَمَـا صَـافَحَتْ رِيـحُ الصَّـبَا فُضُـبَ الرَّنْـدِ

(1)- الند: ضرب من النبات يتبخر بعوده.

ذكرى وعبرة *

من بحر الطويل

1 تَـذَكَّرْتُ صُـحْبًا يَمَّمُـوا الضَّـالَ وَالسُّـدْرَا فَهَاجَـتْ لِـيَ الـذِّكْرَى هَـوًى سَـكَنَ الصَّـدْرَا

2 وَإِخْـوَانَ صِـدْقٍ أَعْلَمُـوا السَّيْرَ وَالسَّرَى إِذَا مَـا بَـدَا عُـذْرٌ لَهُـمْ قَطَعُـوا الْعُـذْرَا

3 سَـرَوْا فِـي الـدُّجَى يَفْلُـونَ نَاصِيَةَ الْفَلَـى وَعِنْـدَ صَـبَاحِ الْقَـوْمِ قَـدْ حَمِـدُوا الْمَسْـرَى

4 غَـدَتْ نَكِـرَاتُ الْبِـينِ مَعْرِفَـةً بِهِـمْ وَأَهْلَـةً تِلْـكَ الْمَجَاهِـلُ لاَ قَفْـرَا

5 وَتَـوْدِيعُهُمْ أَذْكَـى الْجَـوَى فِـي جَـوَانِحِي لَقَـدْ أَوْدَعَ التَّوْدِيـعُ فِـي كَبِـدِي جَمْـرَا

6 يُضِـيءُ الـدُّجَى مِـنْ عَـزْمِهِمْ فَكَـأَنَّهُمْ كَوَاكِـبُ تَسْـرِي لِلْحِمَـى كَـيْ تَـرَى الْبَـدْرَا

7 أَجَـلُّ بُـدُورِ الرُّسْـلِ نُـورًا وَبَهْجَـةً وَأَجْمَـلُ خَلْـقٍ رَئَـى فِـي حُلَّـةٍ حَمْـرَا

8 وَأَصْـدَقُ مَـنْ فِـي عَـالَمِ الْكَـوْنِ لَهْجَـةً وَأَكْـرَمُهُمْ فِعْـلاً وَأَشْـرَفُهُمْ ذِكْـرَا

9 وَأَطْهَـرُهُمْ قَلْبًـا وَأَكْمَلُهُـمْ تُقًـى وَأَشْـرَحُهُمْ صَـدْرًا وَأَرْفَعُهُـمْ قَـدْرَا

10 وَأَفْصَـحُ مَـنْ بِالضَّـادِ وَالظَّـاءِ نَاطِقًـا إِذَا فَـاهَ نُطْقًـا خِلْتُـهُ يَنْثُـرُ الـدُّرَا

11 تَـلأْلأَ نُـورًا يَفْضَـحُ الشَّـمْسَ فِـي الضُّـحَى فَلَـيْسَ لَـهُ ظِـلٌّ لَـدَى الشَّـمْسَ بِسْـتَقَرَّا

12 وَيَبْسِـمُ عَـنْ حَـبِّ الْغَمَـامِ كَأَنَّمَـا جَـوَاهِرُ نُـورٍ أُودِعَـتْ ذَلِـكَ الثَّغْـرَا

---

* الأبيات من 1 إلى 86 نظم الدر والعقيان للتنسي، من ص 212 إلى 220، وقد انفرد بها التنسي فلم نجدها في زهر البستان ولا في البغية ولا في النفح والأزهار

13 فَمَـا الـرَّوْضُ مَطْلُـولُ الأَزَاهِـرِ بَاسِـمًا بِـــأَذْكَى أَرِيجًـــا مِنْـــهُ وَرْدًا وَلاَزَهْـــرَا

14 وَلاَ ٱلْمِسْـكُ مَفْضُـوضُ النَّـوَافِخِ صَـامِكًا بِأَطْيَـبَ مِـنْ رَيَّـاهُ عَرْفًـا وَلاَ نَشْـرَا (1)

15 أَزَيْـنُ ٱلحِلَـى وَقْـفٌ عَلَيْـكَ مَحَبَّتِـي إِذَا رُمْـتُ صَـبْرًا عَنْـكَ لَـمْ أَسْـتَطِعْ صَـبْرَا

16 يُمَثِّـلُ لِـي مَـرْآكَ فِـي كُـلِّ لَحْظَـةٍ وَيَخْطُـرُ لِـي ذِكْـرَاكَ مَـاجَرَتِ الـذِّكْرَى

17 إِذَا فُهْـتُ لَـمْ أَنْطِـقْ بِغَيْـرِ حَـدِيثُكُمْ وَإِنْ غِبْـتُ لَـمْ يَعْمُـرْ سِـوَاكُمْ لِـيَ ٱلْفِكْـرَا

18 وَمَـالِي أَطَـوِي عَنْـكَ سِـرَّ ٱلْهَـوَى وَقَـدْ تَمَلَّـكَ مِنِّـي حُبُّـكَ السِّـرَّ وَٱلْجَهْـرَا

19 أَبِيـتُ إِذَا مَـا اللَّيْـلُ أَرْخَـى سُـدُولَهُ أُسَـامِرُ مِـنْ شَـوْقِي لَـكَ ٱلأَنْجُـمَ الزُّهْـرَا (1)

20 عَقَـدْتُ بِهَـا جَفْنِـي وَأَطْلَقْـتُ أَدْمُعِـي فَـلاَ عَبْـرَةٌ تُرْقَـى وَلاَ مُقْلَـةٌ تِـكْـرَى

21 يُكَـذِبُ دَعْـوَى الـنَّفْسِ شَـاهِدُ حَالِهَـا إِذَا لَـمْ يَكُـنْ بُرْهَانُهَـا يَشْـرَحُ الصَّـدْرَا

22 أَتَـزْعُمُ حُبًّـا لِلْحَبِيـبِ وَلَـمْ تَخُـصْ لَـهُ فِـي سَـبِيلِ ٱلْحُـبِّ بَـرًّا وَلاَ بَحْـرَا

23 وَكُـلٌّ اعْتِـذَارٍ قَـدْ يَسُـوغُ وَلاَ أَرَى لِمِثْلِـي مُقِيمًـا فِـي تَحَلِّفِـهِ عُـذْرَا

24 وَأَخْطَـرُ مَـا يَلْقَـى ٱلْمُحِـبُّ بِـهِ الـرَّدَى وَكُـلَّ مُحِـبٍّ لاَيَـرَى لِلـرَّدَى خَطْـرًا

25 وَلَـيْسَ عَجِيبًـا أَنْ يَنَـالَ مُشَـوِّقُهُمْ عَلَـى الْبُعْـدِ مِـنْهُمْ مَـا يُسِـرُّ بِـهِ السِّـرَّا

26 فَفِـي سِـعَةِ ٱلأَلْطَـافِ مَـا يُفْـرِجُ ٱلأَسَـى وَفِـي كَنَـفِ اليُسْـرِينِ مَـا يُـذْهِبُ الْعُسْـرَا

---

(1) - انشر : الريح الطيبة

(1) - البيت (19) تضمين لبيت إمرئ القيس في معلقته :
وليل كموج البحر أرخى سدوله علي بأنواع الهموم ليبتلي

27 وَفِـــي رَحْمَـــهِ الْمَـــوْلَى إِغَاثَـــةُ عَبْـــدِهِ وَلاَسِـــيَّمَا أَنْ يَدْعُـــهُ الْعَبْـــدُ مُضْـــطَرًّا

28 إِلَهِـــي عَفْـــوًا عَـــنْ ذُنُـــوبٍ جَنَيْتُهَـــا وَغَفْـــرًا لِمَـــا أَسْـــلَفْتُ مِـــنْ زَلَـــلٍ غَفْـــرًا

29 بِأَسْـــمَائِكَ الْحُسْـــنَى سَـــأَلْتُكَ ضَـــارِعًا وَبِالْمُصْـــطَفَى أَلاَّ تَـــرُدَّ يَـــدِي صِـــفْرَا

30 لَعَلِّـــيَ أَحْظَـــى بِـــالْمِزَانِ لِطِيبَـــةٍ (1) فَيَمْحُـــو بِهَـــا ذَاكَ الْمَـــزَارُ لِـــيَ الـــوِزْرَا

31 هِـــيَ الـــدَّارُ حَـــطَّ الصَّـــالِحُونَ رِحَـــالَهُمْ فَحُطَّـــتْ خَطَايَـــاهُمْ وَإِنْ عَظُمَـــتْ كُثْـــرَا

32 مَثَابَـــةُ إِيْمَـــانٍ وَأَمْـــنٍ وَنُصْـــرَةٍ بِهَـــا انْتَصَـــرَ الْإِسْـــلاَمُ فَاصْـــطَلَمَ (2) الْكُفْـــرَا

33 تَخَيَّرَهَـــا الْمُخْتَـــارُ دَارَا لِـــهِجْرَةٍ فَمَـــا سَـــامَهَا مِـــنْ بَعْـــدِ هِجْرَتِـــهِ هَجْـــرَا

34 أَيَـــا جِيـــرَةَ الْـــوَادِي بِحقّـــكُمُ مَتَـــى يَقُـــولُ لِـــي الْحَـــادِي هَنِيئًـــا لَـــكَ الْبُشْـــرَى

35 أَحُـــلُّ بِـــأَرْضٍ حَلَّهَـــا خَيْـــرُ مُرْسَـــلٍ غَـــدَا تُرْبُهَـــا مِسْـــكًا وَحَصْـــبَاؤُهَا دُرَّا

36 نَبِـــيٌّ أَتَـــاهُ الْـــوَحْيُ مِـــنْ عِنْـــدِ رَبِّـــهِ فَبَـــالَغَ فِـــي تَبْلِيغِـــهِ لِلْـــوَرَى طُـــرًّا

37 بَشِـــيرُ نَـــذِيرُ بَـــيْنَ كَتِفَيْـــهِ خَـــاتَمُ بِـــهِ خَـــتَمَ اللهُ الرَّسَـــائِلَ وَالنُّـــذْرَا

38 أَمَـــانٌ لِأَهْـــلِ الأَرْضِ يَشْـــفَعُ فِـــيْهِمْ يُـــؤْمِنُ فِـــي الـــدُّنْيَا وَيَشْـــفَعُ فِـــي الْأُخْـــرَى

39 فَيَـــا مُرْسَـــلاً بِـــالْحَقِّ لِلْخَلْـــقِ رَحْمَـــةً وَمُشْـــكَى شَـــكَاوَاهُمْ إِذَا وَرَدُوا الْحَشْـــرَا

---

(1) – طيبة : المدينة المنورة

(2) – ذوائبه والصبح ما فجر الفجرا

40 وَمَـنْ مَاثَلَـتْ آيَاتُـهُ كُـلَّ مَـا أَتَـتْ بِـهِ الرُّسْـلُ مِـنْ آيَـاتِ رَبِّهِـمُ الْكُبْـرَى

41 لَـئِنْ كَـانَ فَلْـقُ الْبَحْـرِ قَبْلَـكَ آيَـةٌ لِمُوسَـى فَـإِنَّ اللهَ شَـقَّ لَـكَ الْبَـدْرَا

42 وَإِنْ كَـانَ فَـاضَ الْمَـاءُ مِـنْ حَجَـرٍ لَـهُ فَمِـنْ كَفِّـكَ الْمَـاءُ الـزُّلَالُ جَـرَى نَهْـرَا

43 وَإِنْ وَقَفَـتْ شَـمْسُ النَّهَـارِ لِيُوشَـعٍ فَقَـدْ وَقَفَـتْ لِلْمُصْـطَفَى تَـارَةً أُخْـرَى

44 لَكَ اللهُ رَدَّ الشَّمْسَ بَعْدَ غُرُوبِهَا فَـأَدْرَكَ إِذَا صَـلَّى عَلِـيٌّ بِهَـا الْعَصْـرَا

45 وَإِنْ كَـانَ مَـعَ دَاوُدَ سَـبَّحَتِ الصَّـوَى فَقَـدْ سَـبَّحَتْ فِـي رَاحَتَيْـكَ الْحَصَـى جَهْـرَا

46 وَإِنْ حَمَلَـتْ قِـدْمًا سُـلَيْمَانَ رِيحُـهُ تَـرُوحُ بِـهِ شَـهْرًا وَتَغْـدُو بِـهِ شَـهْرَا

47 فَفِـي لَيْلَـةٍ أَسْـرَى بِـكَ اللهُ رَاكِبًـا بُرَاقًـا يَفُـوقُ الْبَـرْقَ فِـي سُـرْعَةِ الْإِسْـرَا

48 مِـنَ الْفَـرْشِ نَحْـوَ الْعَـرْشِ أَسْـرَى بِعَبْـدِهِ إِلَـى الْخَضْـرَةِ الْعَلْيَـا فَسُـبْحَانَ مَـنْ أَسْـرَى

49 وَعَـادَ إِلَـى مَثْـوَاهُ وَالصُّـبْحُ لَـمْ تَشِـبْ ذَوَائِبُـهُ وَالصُّـبْحُ مَـا فَجَّـرَ الْفَجْـرَا

50 وَإِنَّ لِسُـلَيْمَانَ الشَّـيَاطِينُ سُـخِّرَتْ فَلَـمْ تَـكُ فِـي التَّسْـخِيرِ تُعْصِـي لَـهُ أَمْـرَا

51 فَـإِنَّ رَسُـولَ اللهِ قَـدْ سُـخِّرَتْ لَـهُ مَلَائِكَـةُ الـرَّحْمَنُ تَنْصُـرُهُ نَصْـرَا

52 مَلَائِكَـةُ قَـدْ قَاتَلَـتْ مَعَـهُ الْعِـدَى بِغِـزَةِ بَـدْرٍ حِـينَ حَـلَّ الْعِـدَى بَـدْرَا

53 فَجَاهَـدَهُمْ فِـي اللهِ حَـقَّ جِهَـادِهِ فَمَـنْ لَـمْ يَـدِنْ طَوْعًـا أَتَـاهُ الـرَّدَى قَهْـرَا

54 أَعَـادَ الْأَعَـادِي فِـرْقَتَيْنِ بِحِكْمَـةٍ فَمِـنْ فِرْقَـةٍ قَتْلَـى وَمِـنْ فِرْقَـةٍ أَسْـرَى

55 وَإِنْ خَمَـدَتْ نَـارُ الْخَلِيـلِ كَرَامَـةً فَـأَلْفَوهُ إِذَا أَلْقَـوْهُ فِـي رَوْضَـةٍ خَضْـرَا

56 فَقَـدْ خَمَـدَتْ لِلْمُصْـطَفَى نَـارُ فَـارِسٍ بِمَوْلِـدِهِ مِـنْ بَعْـدِ مَـا أُضْـرِمَتْ دَهْـرَا

57 وَفَاضَتْ بِهِ الْأَنْوَارُ شَرْقًا وَمَغْرِبًا وَفِي الْمَلَإِ الْأَعْلَى سَرَى الْبِشْرُ وَالْبُشْرَى

58 فَلَوْلاَ سَنَى نُورِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ لَمَا أُبْصِرَتْ بِالشَّامِ مِنْ مَكَةَ بُصْرَى

59 وَكَمْ لِرَسُولِ اللهِ مِنْ آيَةٍ سَمَتْ عَلَى الْأَلْفِ وَالْقُرْآنُ آيَتُهُ الْكُبْرَى

60 وَكُلُّ النَّبِيِّينَ اِنْقَضَتْ مُعْجِزَاتُهُمْ وَمُعْجِزَةُ الْقُرْآنِ بَاقِيَةٌ تُقْرَا

61 وَفِي لَيْلَةِ الْمِيْلاَدِ لاَحَتْ عَجَائِبٌ بِقَيْصَرَ أَوْدَتْ بَعْدَمَا كَسَرَتْ كِسْرَى

62 وَسَلَّتْ عَلَى الإِيوَانِ سَيْفَ مَهَابَةٍ فَخَرَّ بِهَا الْإِيْوَانُ مِنْ بَعْدِمَا قَرَّا

63 هِيَّ اللَّيْلَةُ الْغَرَّاءُ جَدَّدَ عَهْدَهَا الْإِمَامُ أَبُو زَيَانَ بِالْحَضْرَةِ الْغَرَّا

64 فَأَسْدَى وَأَبْدَى مِنْ نَدَاهُ وَحُسْنُهَا حَيَا جَادَ رَوْضًا فَاكْتَسَى زَهْرًا نَضْرَا

65 يُذَكِّرُنَا دَارَ الْمُقَامَةِ حُسْنُهَا فَمِنْ بَهْجَةٍ تَجَلَى وَمِنْ نِعْمَةٍ تَثْرَى

66 إِمَامٌ مَلاَ الدُّنْيَا تُقَى وَفَضَائِلاً وَتَرْتَجُّ أَحْشَاءُ الْمُلُوكِ بِهِ ذُعْرَا

67 فَمِنْ سِيَرٍ أَدْرَكْنَنَا عُمَرًا وَمِنْ مَوَاطِنَ فِي الْهَيْجَاءِ أَنْسَيْنَنَا عَمْرُوا

68 دَرِيٌّ بِطَعْنِ الرَّمْحِ فِي مُهَجِ الْعِدَى وَلَكِنْ بِضَرْبِ السَّيْفِ فَوْقَ الطَّلَى أَدْرَى

69 مَلِيكٌ أَقَامَ الْخَلْقَ فِي ظِلِّ عَدْلِهِ وَأَضْفَى عَلَيْهِمْ مِه مَلاَبِسِهِ سِتْرَا

70 فَكَمْ قَدْ سَطَتْ ذُؤْبَانُ [1] عُرْبَانِهِمْ بِهِمْ تَسُومُهُمْ قَهْرًا وَتَسْلِبُهُمْ جَهْرَا

[1] - ذؤبان : جمع ذئب، والمعنى في البيت أن ذوبان العرب هي لصوص العرب وصعاليكم.

71 فَكَـفَّ أَكُـفَّ ٱلجَـوْرِ عَـنْهُمْ بِعَدْلِـهِ فَـلاَ رَوْعَـةٌ تَعْـزُو وَلاَعَـوْرَةٌ تُعْـرَى

72 فَكُـلُّ ٱلـوَرَى يَـدْعُو بِطُـولِ بَقَائِـهِ فَمِـنْ رَافِـعٍ كَفَـا وَمِـنْ سَـاجِدٍ شُـكْرَا

73 لَـئِنْ كَـانَ بَحْـرًا فِـي ٱلعُلُـومِ فَـإِنَّ فِـي بَنَـانِ يَدَيْـهِ لِلنَّـدَى أَبْحُـرًا عَشْـرَا

74 فَمَـا فِـي سَـجَايَاهُ الْكَرِيمَـةُ مَطْعَـنٌ سِـوَى أَنَّـهُ بِـالْجُودِ يَسْـتَعْبِدُ الحُـرَّا

75 لَـهُ بِكِتَـابِ اللهِ أَعْنَـى عِنَايَـةٌ وَبِالسُّـنَّةِ ٱلغَـرَّا هُـوَ المُغْـرَمُ ٱلمُغْـرَى

76 فَمَـا هَمُّـهُ إِلاَّ كِتَـابٌ وَسُـنَّةٌ بِنَسْـخِهِمَا قَـدْ أَحْـرَزَ الْفَخْـرَ وَٱلأَجْـرَا

77 فَنَسْـخُ كِتَـابِ اللهِ جَـلَّ جَلاَلُـهُ وَنَسْـخُ ٱلْبُخَـارِيْ ضَـامِنَانِ لَـهُ النَّصْـرَا

78 وَمَـنْ كَـانَ يَعْتَـدُّ الشِّـفَاءَ شِـفَاءَهُ فَمَـنْ عَلَّـلَ ٱلأَوْزَارَ فِـي نَسْـخِهِ يَبْـرَا

79 تَضَـوَّعَ طَيِبًـا حِبْـرُهُ وَكِتَابُـهُ فَـزَادَ ٱلْبُخَـارِيْ مِـنْ مَبَـاخِرِهِ عِطْـرَا

80 فَلَـمْ أَدْرِ وَٱلأَوْرَاقُ رَاقَـتْ بِخَطِّـهِ أَمِسْـكًا عَلَـى ٱلكَـافُورِ يَنْثُـرُ أَمْ حِبْـرَا

81 أَلاَ هَكَـذَا فَلْيَسْـمِ لِلْمَجْـدِ مَـنْ سَـمَا وَيَجْـرِي لأَمَـادِ ٱلفَضَـائِلِ مَـنْ أَجْـرَى

82 مَعَـالٍ سَـهَا عَنْهَـا السُّـهَا وَمَكَـارِمٌ يُقَصِّـرُ عَنْهَـا الشِـعْرُ لَـوْ نَظَـمَ الشِّـعْرَا

83 وَدُونَـكَ أَبْكَـارَ ٱلقَـوَافِي فَـإِنْ بَـدَا عَلَيْهَـا حَيَـاءٌ فَهُـوَ مِـنْ شِـيمَةِ ٱلعَـذْرَا

84 مُنَضَّـدَةً بِـيضَ الْوُجُـوهِ تَخَالُهَـا عَلَـى صَـفْحَةِ الطَّـرْسِ الـدَّرَارِيَ وَالـدُّرَّا

85 وَمَـا كُنْـتُ أَدْرِي النَّثْـرَ وَالـنَّظْمَ أَنبَلَهَـا فَعَلَّمَنِي إِحْسَانُكَ النَّظْمَ وَالنَّثْرَا

86 تَـوَلاَّكَ مَـنْ وَلاَّكَ بِـالْعِزِّ وَٱلبَقَـا وَأَوْلاَكَ فِـي الـدُّنْيَا رِضَـاهُ وَفِـي ٱلأُخْـرَى

ليلة الإثنين* من بحر الخبب

1 يَالَيْلَ ٱلإِثْنَيْنِ افْتَخِرِ * بِٱلْبَدْرِ الطَّالِعِ مِنْ مُضَرِ * فِي لَيْلَةِ يَوْمِ إِثْنَىْ عَشَرِ

مِنْ شَهْرِ رَبِيْعِ الْمُشْتَهِرِ * بِٱلْمَوْلِدِ فَهُوَ بِهِ عَلَمُ *

2 كَالشَّمْسِ سَنَاهُ وَكَٱلْقَمَرِ * وَبَدَتْ كَالزَّهْرِ وَكَالزَّهْرِ * أَنْوَارُ هُدَى خَيْرَ ٱلْبَشَرِ

وَنَبِيِّ الرَّحْمَةِ وَالبَشَرِ فَجَمِيعُ الْخَلْقِ بِهِ رَحِمُوا*

3 يَاشَهْرُ بِكَ افْتَخَرَ الدَّهْرُ* يَاشَهْرُ جَمَالُكَ مُشْتَهِرُ * يَاشَهْرُ كَمَا لُكَ مُنْتَشِرُ

يَاشَهْرُ قُدُومُكَ يَاشَهْرُ * تُحْيِى بِنَوَاسِمِهِ النَّسَمُ

4 يَاشَهْرَ رَبِيعٍ فِيكَ بَدَا * وَمِنَ ٱلأَنْوَارِ قَدِ انْفَرَدَا * وَالْخَيْرُ بِمَوْلِدِهِ اطَّرَدَا

وَأَتَى لِلْخَلْقِ بِكُلِّ هُدَى فَبِطَلْعَتِهِ سَعِدَ ٱلأُمَمُ

5 صُبْحُ ٱلإِرْشَادِ بِهِ انْصَدَعَا وَبِأَمْرِ اللهِ لَقَدْ صُدِعَا * وَٱلْخَلْقُ لِنُجْحِ ٱلْحَقِّ دَعَا*

وَأَزَالَ بِسُنَّتِهِ ٱلْبِدَعَا * فَبِسُنَّتِهِ الخَلْقُ اعْتَصَمُوا

*القصيدة من 1 إلى 29 في البغية ج-2، ص من 127 إلى 130 وهي موشحة تخميس.

6 ظَهَرَتْ بِنُبُوَّتِهِ ٱلعِبَرُ * شَهِدَتْ بِرِسَالَتِهِ الشَّجَرُ * وَالذِّئْبُ وَكَلَّمَهُ الْحَجَرُ

وَانْشَقَّ بِدَعْوَتِهِ الْقَمَرُ * وانْجَابَ بِغُرَّتِهِ الظُّلَمُ

7 وَٱلجِذْعُ شَكَا وَلَهُ وَلَهُ * لِفِرَاقِ رَسُولِ اللهِ لَهُ * لَمَّا بِٱلْمِنْبَرِ بَدَّلَهُ

فَلِذَلِكَ أَنَّ وَحَّنَ لَهُ * شَوْقًا وَأَلَمَّ بِهِ ٱلأَلَمُ

8 وَمُعَاذُ بِتَفَلَّتِهِ لَصِقَا * يَدُهُ بِٱلْمِرْفَقِ إِذْ فَرَّقَا * وَقَتَادَةُ رَدَّ لَهُ ٱلْحَدَقَا

وَسَقَى ٱلأَحْيَاءَ حَياً غَدَقَا * عَمَّتْ للِقَوْمِ بِهِ النِّعَمُ

9 بَهَرَتْ أَنْوَارُ شَرَائِعِهِ * وَلَكُمْ ظَهَرَتْ بِمُنَازِعِهِ مِنْ مُعْجِزَةٍ لِمُنَازِعِهِ

وَٱلْمَاءُ خِلاَلَ أَصَابِعِهِ * أَضْحَى بِنْهَلُّ وَيَنْسَجِمُ

10 قَامَ القُرْآنُ بِحُجَّتِهِ * وَأَمَامَ دَلِيلِ مَحَجَّتِهِ * وَتِسَامِى الصِّدْقُ بِلَهْجَتِهِ

وَتَنَاهَى ٱلحُسْنُ بِبِهْجَتِهِ * فَٱلْعَقْلُ يَهِيمُ وَلاَ يَهِمُ

11 مُعلِي ٱلإِسْلاَمِ وَمَعْلَمُهُ * بِهُدَاهُ تَشَيَّدَ مُعَلِّمَهُ * وَمُبِيدُ الكُفْرِ وَمُعْدِمُهُ

بِصِبَاهُ أُرِيقَ لَهُ دَمُهُ * فَوُجُودُ الشِّرْكِ بِهِ عَدَمُ

12 زَيْنُ ٱلإِرْسَالِ وَخَاتِمُهُمْ* وَشَفِيعُ ٱلْخَلْقِ وَرَاحِمُهُمْ* هُوَ مُنَجِّيهِمْ هُوَ عَاصِمُهُمْ

فِي يَوْمٍ تَبِينُ جَرَائِمُهُمْ* وَتَزَلُّ بِهِمْ فِيهِ ٱلْقَدَمُ

13 وَرَسُولُ اللهِ كَمَا وَرَدَا* يَرْوِي بِٱلْكَوْثَرِ مَنْ وَرَدَا* لاَ يَظْمَأُ وَارِدُهُ أَبَدَا*

وَلِوَاءُ ٱلْحَمْدِ لَهُ عُقِدَا* وَشَفَاعَتَهُ تَرْجُو ٱلأُمَمُ

14 يَا رَبِّ انْفَعْ بِمَحَبَّتِهِ* مُشْتَاقًا أَسْنَى رَغْبَتِهِ* تَقْبِيلُ مُقَدَّسِ تُرْبَتِهِ

وَقَبُولٌ مِنْكَ لِتَوْبَتِهِ* عَمَّا يَجْنِيهِ وَيَجْتَرِمُ

15 وَانْصُرْ مَنْ قَامَ بِمَوْسِمِهِ* يُبْدِي ٱلأَفْرَاحَ بِمَقْدَمِهِ* وَيُفِيضُ عَوَائِدَ أَنْعُمِهِ

مَلِكٌ أَمْسىَ بِتَكَرُّمِهِ* لِ ْلأَجْرِ يَجُوزُ وَيَغْتَنِمُ

16 مَلِكٌ قَدْ عَمَّ تَفَضُّلُهُ* وَمُلُوكُ ٱلأَرْضِ تُؤَمِّلُهُ* بِرَسُولِ اللهِ تَوَسُّلُهُ

وَعَلَى مَوْلاَهُ تَوَكُّلُهُ* وَحُلاَهُ ٱلْعِفَّةُ وَالْكَرَمُ

17 مَلِكٌ يَتَخَيَّلُ كَٱلْمَلَكِ* كَالشَّمْسِ تَحُلُّ ذَرَى الْفَلَكِ* كَالْبَدْرِ يُضِيءُ بِمُحْتَلِكِ

كَاللَّيْثِ يَصُولَ بِمُعْتَرَكِ* تَلْقَاهُ ٱلأُسْدُ فَتَنْهَزِمُ

18 بَدْرُ ٱلْعَلْيَاءِ إِذَا انْتُسِبَا* أَسَدُ ٱلْهَيْجَاءِ إِذَا رَكِبَا* يُعْطِي ٱلْآلَافَ إِذَا وَهَبَا

وَيَخَافُ اللهَ إِذَا غَضِبَا* لاَ هَجْرَ لَدَيْهِ وَلاَبَرَمُ

19 مَلِكٌ قَدْ لاَحَتْ أَسْعُدُهُ* يَحْمِيهِ اللهُ وَيَعْضُدُهُ* هُوَ يَنْصُرُهُ وَيُؤَيِّدُهُ

وَعَلَى ٱلْأَمْلاَكِ عَلَتْ يَدُهُ* وَبِعِزِّ عُلاَهُ جَرَى ٱلْقَلَمُ

20 أَمُعِزَّ الدِّينِ وَناصِرَهُ* وَمُعِيدَ الْمُلْكِ وَجَابِرَهُ* لاَزِلْتَ تُشَيِّدُ عَامِرَهُ

أَبَدًا وَتُجَدِّدُ غَامِرَهُ* مَا انْهَلَّ بِكَفِّكَ مُنْسَجِمُ

21 مَنْ عَانَدَ فَضْلَكَ أَوْ جَحَدَا* فَالسَّيْفُ يُقَرِّبُ مَا بَعُدَا* وَيُقِيمُ لِأَمْرِكَ مَنْ قَعَدَا

فَامْدُدْ لِلرَّاءِ ٱلْمُلْكَ يَدَا* مِنْ دُونِ مَوَاهِتِهَا الدِّيَمُ

22 فَالنَّصْرُ أَمَامَكَ وَالظَّفْرُ* وَالسَّعْدُ يُسَاعِدُهُ الْقَدَرُ* وَعُدُّوكَ وَاهٍ مُحْتَقَرُ

بُشْرَاكَ فَإِنَّكَ مُنْتَصَرُ* بِاللهِ عَلَيْكَ وَمَعْتَصِمُ

23 وَالدَّهْرُ بِبَأْسِكَ يَنْتَصِفُ* وَالبَحْرُ بِجُودِكَ يَتَّصِفُ* مَاذَا أُثَنِّيهِ وَمَا أَصِفُ

لِغَمَامِ بَنَانِكَ إِذْ يَكِفُ* أَمْ نُورُ سَنَاكَ أَمْ ٱلْهِمَمُ

24 فَبِمِثْلِ عَلاَئِكَ يُفْتَخَرُ * وَنَفِيسُ ثَنَائِكَ يُدَّخَرُ * وَبِعَصْرِكَ تَفْتَخِرُ الْعُصُرُ

فَلَقَدْ حَسُنَتْ لَكُمْ سِيَرُ * وَلَقَدْ كَرُمَتْ لَكُمُ شِيَمُ

25 مَنْ رَأَى مَرْآكَ مِنَ الْبِشْرِ * دَلَّتْهُ حُلاَكَ عَلَى الْبِشْرِ * كَالنُّورِ يَدُّلُ عَلَى الْقَمَرِ

ضَرَبَتْ بِظُبَاكَ يَدُ الْقَدَرِ * تَفْنِي الْأَعْدَاءَ وَتَحْتَكِمُ

26 سَيْفُ السُّلْطَانِ أَبِي حَمو يَبْدُو لِعُدَاهُ بِهِ نَجْمُ * فِيهِ لِشَيَاطِينِهِمْ رَجْمُ

لاَزَالَ بِسَطْوَتِهِ يَسْمُو * يَعْفُو وَيَعِفُ وَيَنْتَقِمُ

27 فَتِلَمْسَانُ بِكَ فِي خَدلِ * مُذْ لاَذَتْ مِنْكَ بِخَيْرِ وَلِ * وَأَعَدْتَ لَهَا أَسْنَى الدَّوَلِ

عَادَتْ لِعَوَابِدِهَا الأَوَّلَ * وَنَأَى عَنْ سَاحَتِهَا الْعَدَمُ

28 يَاحُسْنَ مُقَامٍ مِنْكَ سَمَا * وَلِعَبْدِ الوَادِي هَمَى كَرَمَا * فَكَأَنَّكَ فِيهِمُ مُبْتَسِمًا

قَمَرٌ حَفَّتْهُ نُجُومُ سَمَا * لاَ ظُلْمَ لَدَيْهِ وَلاَ ظُلَمُ

29 أَمَلِيكًا جَاوَزَ كُلَّ مَدَى * وَأَنَالَ الْقَصْدَ لِمَنْ قَصَدَا * وَأَفَادَ نَدَى وَأَبَادَ عِدَى

مَنْ يَنَالَ رِضَاكَ لَقَدْ سَعِدَا * وَنَأَى عَنْ سَاحَتِهِ الْعَدَمُ

أسائل عن نجد * **من بحر الطويل**

1 أُسَـــائِلُ عَـــنْ نَجْـــدٍ وَدَمْعِـــيَ سَـــائِلُ وَبَـــيْنَ صَـــبَا نَجْـــدٍ وَشَـــوْقِي رَسَـــائِل

2 وَلِـي عِنْـدَهُمْ مِـنْ صِـدْقِ وُدِّي وَسَـائِلُ وَحَاشَـــا لَـــدَيْهِمْ أَنْ تَخِيـــبَ ٱلوَسَـــائِلُ

3 نَعَـمْ لِـي ذُنُـوبٌ كُلَّمَـا رُمْـتُ عَزْمَـةً يُشَـــاغِلُنِي فِيهَـــا عَـــنِ السَّـــيْرِ شَـــاغِلُ

4 أَلاَ إِنَّمَـا كَفَّـتْ خَطَـايَ عَـنِ السُّـرَى أَكُـــفُّ ٱلخَطَايَـــا وَالزَّمَـــانُ المُمَاطِـــلُ

5 وَللهِ قَـــوْمُ أَيْقَظُـــوا عَزَمَـــاتِهِمْ كَـــأَنَّ سَـــنَاهَا فِـــي الظَّـــلاَمِ ٱلمَشَـــاعِلُ

6 إِلَـــى عَرَفَـــاتٍ يَمَّمُـــوا فَتَعَرَّفْـــتُ بِهِـــمْ نَكَـــرَاتٌ لِلْفُلَـــى وَمَجَاهِـــلُ

7 وَأَنَّـــى لِمِثْلِـــي بِاللِّحَـــاقِ بِمِـــثْلِهِمْ وَقَلْبِـــيَ فِـــي غَـــيَّ عَـــنْ الرُّشْـــدِ غَافِـــلُ

8 سَـقَى رَبْعُهُـمْ بِـٱلْجِزْعِ مُنْهَمِـلُ ٱلحَيَـا فَـــإِنْ لَـــمْ يُصِـــبْهُ مِنْـــهُ طَـــلٌّ فَـــوَابِلُ

9 وَمَـــالِي اَسْـــتَقِي ٱلغَمَـــامَ لِـــرَبْعِهِمْ وَوَاكِـــفُ دَمْعِـــي لِلْغَمَـــامِ مُسَـــاجِلُ

10 عَهِـدْتُ بِـهِ سِـرْبًا مِـنَ ٱلأُنْـسِ حَالِيَـا فَعَـادَ بِـهِ سِـرْبٌ مِـنَ ٱلـوَحْشِ عَاطِـلُ

11 بِمَسْـــحَبِ أَذْيَـــالٍ وَمَلْعَـــبِ صَـــبْوَةٍ وَمَطْمَـــحِ أَمَـــالٍ لِمَـــنْ هُـــوَ آمِـــلُ

---

*الأبيات من 1 إلى 79 في البغية ج-2، ص من 68 إلى 72 وقد قيلت ليلة مولد النبي"صلى الله عليه وسلم" سنة 761هـ، والأبيات من 1 إلى 54 ومن 59 إلى 75 إلى 78 في نحلة اللبيب لابن عمار الجزائري، ص من 133 إلى 136.

12 وَمَسْـــرَحِ غِـــزْلاَنٍ وَمَسْـــرَى أَهِلَّـــةٍ تَمَنَّـــى سَـــنَاهُنَّ البُّـــدُورُ الْكَوَامِـــلُ

13 وَمَـــرْبَضِ آسَـــادٍ وَمَلْهَـــى جَـــاذِرٍ تَصِـــيدَ بِهَـــا الْأُسْـــدَ الظِّبَـــاءُ الْخَـــوَاذِلُ

14 فَكَـمْ عَبَثَـتْ تِلْـكَ الْمَهَـا بِـذَوِي النُّهَـى وَكَـمْ لَعِبَـتْ بِالْعَقْـلِ تِـلْكَ الْعَقَائِـلُ

15 تَوَلَّـوْا فَحَالَـتْ حَالَـةُ الرَّبْـعِ بَعْـدَهُمْ فَمَـا هُـوَ إِلاَّ مِثْـلُ جِسْـمِي نَاحِـلُ

16 خَلِيلَـيَّ مَـا قَلْبِـي لَـدَيَّ وَإِنَّمَـا أَفَلْـنَ بِـهِ تِلْـكَ الْبُـدُورَ الأَوَافِـلُ

17 وَيَاصَـاحِبَيْ نَجْـوَايَ عَهْـدِي لَـمْ يَحُـلْ أَلاَ كُـلُّ عَهْـدٍ غَيْـرِ عَهْـدِي حَائِـلُ

18 وَقَـدْ أَكْثَـرَ العُـذَّالُ عَـذْلِيَ فِـي الْهَـوَى وَلاَ حُجَّـةً فِيمَـا ادَّعَتْـهُ العَـوَاذِلُ

19 وَمَـا هَـاجَ كَرْبِـي غَيْـرُ رَكْـبٍ تَحَمَّلُـوا بِقَلْبِـي فَمِـنْ كُـلٍّ قَـدَ اقْـوَتْ مَنَـازِلُ

20 فَلَـمْ أَدْرِ مَـا أَبْكِيـهِ بَعْـدَ فِـرَاقِهِمْ أَقَلْبِـي أَمْ ذَاكَ الْخَلِـيطُ الْمُزَايِـلُ

21 فَيَـا لَيْـلَ أَشْـجَانِي أَمَالَـكَ آخِـرٌ وَيَـابَحْرُ أَشْـوَاقِي أَمَالَـكَ سَـاحِلُ

22 وَمِمَّـا لَيْـلَ أَشْـجَانِي أَنَّنِـي بَعْـدَ بَعْـدِهِمْ مُقِـيمُ عَلَـى التَّقْصِـيرِ وَالْعُمْـرُ رَاحِـلُ

23 تَقَلَّـصَ ظِـلٌّ لِلشَّـبِيبَةِ إِذْ أَتَـى مَشِـيبٌ بِـهِ ظِـلُّ الشَّـبِيبَةِ زَائِـلُ

24 عَفَـاءٌ عَـنِ الـدُّنْيَا وَإِنْ لَـذَّ عَيْشُـهَا فَمَـا فِـي نَعِـيمٍ بَعْـدَهُ الْمَـوْتُ طَايِـلُ

25 لَعَمْـرُكَ مَـا الْأَعْمَـارُ إِلاَّ مَرَاحِـل تَقْتَضِـي وَأَيَّـامُ الشَّـبَابِ قَلاَئِـلُ

26 أَلَـمْ يَـأْنِ بَعْـدُ الشَّـيبِ أَنْ يُنْبَـذَ الْهَـوَى وَتُطْـوَي إِلَـى أَرْضِ الحِجَـازِ الْمَرَاحِـلُ

27 وَلِـي كُلَّمَـا هَبَّـتْ نَوَاسِـمُ طَيْبَـةٍ شَـمَائِلُ تُبْـدِيهَا الصَّـبَا وَالشَّـمَائِلُ

28 يُـدَافِعُنِي عَنْهَـا عَظِـيمُ جَرَائِمِـي كَمَـا دَفَـعَ الـدَّيْنُ الْغَـرِيمُ الْمُمَاطِـلُ

29 فَيَـا مَـنْ رَآنِـي فَـوْقَ ظَهْـرِ شَـمْلَةٍ تَخُـبُّ بِرَحْلِـي تَـارَةً وَتُنَاقِـلُ

30 لِخَيْـرِ مَحَـلٍّ حَلَّـهُ خَيْـرُ مِرْسَـلٍ مَحَـلٌّ مُحَلَّـى بِالْفَضَـائِلِ آهِـلُ

31 فَيَالَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَرَانِي بِرَبْعِهِ أُقَبِّلُ مِنْ أَثَارِهِ مَا أُقَابِلُ

32 رَسُولٌ كَرِيمٌ خَاتَمُ الرُّسْلِ كُلِّهِمْ وَأَعْظَمُ مَنْ تُلْقَى إِلَيْهِ الرَّسَائِلُ

33 وَأَفْضَلُ مَبْعُوثٍ وَأَكْرَمُ شَافِعٍ تُنَالُ بِهِ يَوْمَ الْحِسَابِ الْوَسَائِلُ

34 بَدَا فَانْجَلَى لَيْلُ الضَّلاَلَةِ بِالْهُدَى وَزَاحَ بِهِ مَا زَخْرَفَتْهُ الْأَبَاطِلُ

35 وَعَمَّ جَمِيعَ الْخَلْقِ عِلْمًا وَحِكْمَةً فَلَمْ يَبْقَ فِي عَصْرِ الْجَهَالَةِ جَاهِلُ

36 أَلَمْ يَأْتِ بِالآيَاتِ تُتْلَى عَلَيْهِمْ يُشَابِهُ بَعْضًا بَعْضُهَا وَيُشَاكِلُ

37 صَحَائِفُ آي أُيِّدَتْ بِصَحَائِف تُجَادِلُهُمْ هَذِي وَهَذِي تُجَادِلُ

38 وَأَجْرَى لَهُمْ مِنْ كَفِّهِ الْمَاءَ فَاعْجَبُوا لِيُنْبُوعِ مَاءٍ انْبَطَيْتُهُ الْأَنَامِلُ

39 وَمَا صَدَرُوا حَتَّى ارْتَوَوْا وَتَوَضَّؤُوا عَنْ آخِرِهِمْ وَالْمَاءُ هَامٍ وَهَامِلُ

40 تَجُودُ لَهُمْ بِالْمَاءِ وَالْمَآلِ كَفُّه فَتَعْذُبُ لِلْوُرَّادِ مِنْهَا الْمَنَاهِلُ

41 كَمَا دَرَّ ضَرْعُ الشَّاةِ وَقْتَ جُفُونِهِ لَهُ لَبَنًا وَغَذَا بِهِ الضَّرْعُ حَافِلُ

42 وَحَنَّ إِلَيْهِ الْجِذْعُ عِنْدَ فِرَاقِهِ حَنِينًا كَمَا حَنَّتْ مِنْ الْفَقْدِ ثَاكِلُ

43 إِذَا اللهَ رَدَّ الشَّمْسَ بَعْدَ غُرُوبِهَا إِلَيْهِ وَشَقَّ الْبَدْرَ وَالْبَدْرُ كَامِلُ

44 فَكُلٌّ جَلاَلٍ دُونَهُ مُتَقَاصِرٌ وَكُلُّ جَمَالٍ عِنْدَهُ مُتَضَائِلُ

45 وَمَا خَصَّ بِالْإِسْرَاءِ إِلاَّ مُحَمَّدٌ وَمَا جَالَ فَوْقَ الْعَرْشِ إِلاَّهُ جَائِلُ

46 هُوَ اخْتَرَقَ السَّبْعَ الطِّبَاقَ لِرَبِّهِ فَأَوْلاَهُ إِسْعَافًا بِمَا هُوَ سَائِلُ

47 وَكَمْ مُعْجِزَاتٍ لِلنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ظَوَاهِرَ لاَ نَبْغِي عَلَيْهَا دَلاَئِلُ

48 لَنَا الْفَخْرُ إِذْ كُنَّابِهِ خَيْرَ أُمَّةٍ نُفَاخِرُ مِنْ شِئْنَا بِهِ وَنُطَاوِلُ

49 بِمَوْلِدِهِ الْأَيَّامُ رَاقَ جَمَالُهَا فَطَابَتْ لَنَا أَسْخَارُهَا وَالْأَصَائِلُ

50 أَشَهْرَ رَبِيعٍ حُزْتَ كُلَّ فَضِيلَةٍ بِأَفْضَلِ مَنْ تَمَّتْ لَدَيْهِ الْفَضَائِلُ

51 وَلَيْلَةُ إِثْنَتَى عَشْرَةٍ مِنْهُ أَشْرَقَتْ فَفِيهَا بَدَا بَدْرُ الْهُدَى وَهُوَ كَامِلُ

52 بِهَا لِلأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَشَاهِدٌ لَنَا مِنْهُ فِيهَا أَنْعُمٌ وَفَوَاضِلُ

53 عَوَائِدُ إِحْسَانٍ وَحُسْنَى عَوَائِدٍ تَنَالُ بِهَا مِنْهُ هِبَاتٌ جَلاَئِلُ

54 فَمَا مِثْلُهَا فِي الدَّهْرِ لَيْلَةُ مَوْسِمٍ وَلاَ مِثْلُهُ لِلدِّينِ كَافٍ وَكَافِلُ

55 هُوَ الْمَلِكُ الْمَنْصُورُ مُوسَى بْنُ يُوسُفَ إِذَا احْتَفَلَتْ يَوْمَ الْفَخَارِ الْمَحَافِلُ

56 إِمَامُ الْهُدَى سَاقِي الْعِدَى أَكْؤُسَ الرَّدَى غَمَامُ الْجَدَى غَيْثُ النَّدَى الْمُتَرَاسِلُ

57 أَذَلَّتْ لَهُ الصَّعْبَ لِأَبِيَّ سَيَّاسَةٌ آرَتْهُ وُجُوهَ الرَّأْيِ فِيمَا يُحَاوِلُ

58 فَمَا كَحِجَاهُ عَقْلُ مَنْ سَاسَ أُمَّةً إِذَا اشْتَبَهَتْ يَوْمًا عَلَيْكَ الْمَسَائِلُ

59 يُنَظِّمُ شَمْلاً لِلْعُلَى بِشَمَائِلٍ ثَمَانٍ فَيَا لِلهِ تِلْكَ الشَّمَائِلُ

60 حَيَاءُ وَإِفْضَالٌ وَعَدْلٌ وَعِفَّةٌ وَحَزْمٌ وَإِقْدَامٌ وَحِلْمٌ وَنَائِلُ

61 أَيَا مَلِكًا دَانَتْ بِطَاعَةِ أَمْرِهِ جَمِيعُ الْوَرَى حَتَّى الْمُلُوكُ الْقَبَائِلُ

62 وَحَازَ تُرَاثَ الْمَجْدِ لاَ عَنْ كَلاَلَةٍ وَجَاءَ بِمَا لَمْ تَسْتَطِعْهُ الْأَوَائِلُ

63 بَعَثْتَ بِجَيْشِ النَّصْرِ كَالْبَحْرِ لِلْعِدَى تُدَافِعُ كَالْأَمْوَاجِ فِيهِ الْجَحَافِلُ

64 وَكَالسُّحْبِ لَكِنَّ الْبُرُوقَ صَوَارِمُ بِهِ مُنْتَضَاةٌ وَالرُّعُودُ صَوَاهِلُ

65 وَكَالرَّوْضِ إِلاَّ أَنَّ مُشْتَجِرَ الْقَنَا لَهُ شَجَرٌ وَالْمُرْهِفَاتُ جَدَاوِلُ

66 أَبُو تَاشَفِينٍ بَدْرُهُ وَنَجُومُهُ قَبَائِلُ عَبْدِ الْوَادِ نِعْمَ الْقَبَائِلُ

67 وَسَعْدُكَ بَعْدَ اللهِ رَدْءٌ لِجَيْشِهِ وَيَا حَبَّذَا جَيْشٌ مِنَ السَّعْدِ حَافِلُ

68 بِهِ أَمِنَتْ سُبْلٌ وَكَانَتْ مَخُوفَةً وَدَانَتْ بِلاَدٌ وَاسْتَكَانَتْ مَعَاقِلُ

69 وَأَدْبَـــرَتِ ٱلأَعْـــدَاءُ لَمَّـــا تَـــوَارَدَتْ عَلَـــيْهِمْ مِـــنَ ٱلجَـــيْشِ ٱلقَنَـــا وَٱلقَنَابِـــلُ

70 عَـــدَوُّكَ مَقْهُـــورُ وَسَـــعْدُكَ ظَـــاهِرٌ وَجَيْشُـــكَ مَنْصُـــورٌ وَسَـــيْفُكَ نَاصِـــلُ

71 وَنَجْلُـــكَ مَيْمُـــونُ النَّقِيبـــةِ مَاجِـــدٌ وَلِلْعَـــرْفِ بَـــذَّالٌ وَفِـــي ٱلحَـــرْبِ بَاسِـــلُ

72 بِهَـــدْيِكُمْ اسْـــتَهْدَى بِمَجْـــدِكُمْ اقْتَـــدَى فَلاَحَـــتْ عَلَيْـــهِ مِـــنْ سَـــنَاكُمْ دَلاَئِـــلُ

73 وَفِي ٱلْبَدْرِ نُورٌ مِنْ سَنَى الشَّمْسِ ظَاهِرٌ وَلِلشِّـــبْلِ مِـــنْ لَيْـــثِ ٱلعَـــرِينِ مَخَايِـــلُ

74 جَنَيْـتُ ثِمَـارَ النَّصْـرِ خُضْـرًا نَوَاعِهَـا بِمَـا أَثْمَـرَتْ فِـي ٱلحَـرْبِ سُـمْرُ ذَوَابِـلُ

75 فَـــدُونَكَ أَبْكَـــارَ ٱلمَعَـــانِي لِبَاسُـــهَا بُـــرُودُ حِلاَكُـــمْ مَـــنْ فِيهَـــا رَوَافِـــلُ

76 قَـــوَافِي جَـــرَتْ بِـــٱلمَجَرَّةِ ذَيْلُهَـــا فَقَصَّـــرَ عَـــنْ إِدْرَاكِهَـــا ٱلمُتَنَـــاوَلُ

77 وَمُـــذّ سُـــحِبَتْ ذَيْـــلُ ٱلبَيَـــانِ تَبَيَّنُـــوا بِـــأَنِّي سُـــحْبَانٌ وَغَيْـــرِي بَاقِـــلُ

78 فَـــدَامَتْ بِـــكَ ٱلأَيَّـــامُ تُظْهِـــرُ حُسْـــنَهَا وَتَحْسُـــدُ أُخْـــرَاهُنَّ فِيـــكَ ٱلأَوَائِـــلُ

79 وَلاَ زَالَ صَـــرْفُ الـــدَّهْرِ طَوْعُـــكَ كُلَّمَـــا أَمَـــرْتَ بِـــأَمْرٍ قَـــائِلاً فَهُـــوَ فَاعِـــلُ

حال المحب* من بحر الكامل

1 سِرُّ ٱلْمَحَبَّةِ بِالدُّمُوعِ يُتَرْجَم فَالـــدَّمْعُ إِنْ تَسْـــأَلْ فَصِـــيحٌ أَعْجَـــمُ

2 وَالْحَـــالُ تَنْطِـــقُ عَـــنْ لِسَـــانٍ صَـــامِتٍ وَالصَّـــبُّ يَصْـــمُتُ وَالْهَـــوَى يَـــتَكَلَّمُ

3 كَـــمْ رُمَـــتُ كِتْمَـــانُ الْهَـــوَى فَوَشَـــى بِـــهِ جَفْـــنٌ يَـــنِمُّ بِكُـــلِّ سِـــرٍّ يُكْـــتَمُ

4 جَفْـــنٌ تَحَـــامَى وَرْدُهُ طَيْـــرُ الْكَـــرَى لَمَـــا جَـــرَى دَمْعًـــا يُمَازِجُـــهُ دَمُ

5 أَهٍ وَفِـــي شَـــكْوَى الصَّـــبَابَةِ رَاحَـــةٌ لَـــوْ أَنَّنِـــي أَشْـــكُو إِلَـــى مَـــنْ يَـــرْحَمُ

6 وَصْـــلُ ٱلأَحِبَـــةِ لَـــوْ يُتَـــاحُ وِصَـــالُهُمْ شَـــهْدٌ وَهِجْـــرَانُ ٱلأَحِبَـــةِ عَلْقَـــمُ

7 وَالْقُـــرْبُ مِـــنْهُمْ لِلْمُتَـــيَّمِ جَنَّـــةٌ وَالْبُعْـــدُ عَـــنْهُمْ لِلْمَشُـــوقِ جَهَـــنَّمُ

8 خَلُّـــوا الصَّـــبَا يَخْلُـــصُ إِلَـــي نَسِـــيمُهَا فَعَصَـــى تُصَـــلِّي مّـــنْ عَلَيْـــهِ تُسَـــلِّمُ

9 وَاحَيْرَتِـــي بَـــيْنَ الصَّـــبَابَةِ وَالصِّـــبَا لاَ هَـــذِهِ تُنْسَـــى وَلاَ ذِي تُنْسَـــمُ

10 هَـــذَا الْهَـــوَى أَذْكَـــى الْجَـــوَى بِجَـــوَانِحِي بَعْـــدَ النَّـــوَى فَأَنَـــا الْمُعَنَّـــى الْمُغْـــرَمُ

11 لاَ أَنْـــسَ تَـــارِيخَ الْفِـــرَاقِ وَمَالَـــهُ مِـــنْ رَوْعَـــةٍ قَلْبِـــي بِهَـــا مُتَـــأَلِّمُ

12 مَـــا مُقْلَتَـــايَ جُـَادِيَـــانِ وَإِنَّمَـــا جَفْنِـــي رَبِيـــعٌ وَالْمَنَـــامُ مُحَـــرَّمُ

13 أَسْـــتَوْدِعُ اللهَ الـــذَّينَ تَحَمَّلُـــوا بِالْقَلْـــبِ لَـــمْ يَلْـــوُوا وَلَـــمْ يَتَلَوَّمُـــوا

* الأبيات من 1 إلى 87 في نظم الدر والعقيان للتنسي ص من 169 إلى 178، وقد انفرد التنسي بذكرها، فلم يذكرها يحي بن خلدون، ولا مؤلف " زهرة البستان"، ولا المقري

14 تَرْمِـــي بِهِـــمْ أَيْـــدِي النَّـــوَى فَمَطِـــيُّهُمْ مِثْـــلُ الْقِسِـــيِّ وَهُـــمْ عَلَيْهَـــا أَسْـــهُمُ

15 وَإِذَا جَـــرَى ذِكْـــرُ الْحِمَـــى اهْتَـــزُّوا كَمَـــا يَهْتَـــزُّ غُصْـــنٌ فِـــي الرِّيَـــاضِ مُـــنَعَّمُ

16 قَسَـــمًا بِزَمْـــزَمَ وَالْحَطِـــيمِ وَمَـــا حَـــوَى مِـــنْ رَحْمَـــةٍ ذَاكَ الْحَطِـــيمُ وَزَمْـــزَمُ

17 وَبِحُرْمَـــةِ الْحَـــرَامِ الشَّـــرِيفِ وَرِفْعَـــةِ الْبَيْـــتِ الْمُنِيـــفِ وَمَـــنْ بِنَجْـــدٍ خَيَّمُـــوا

18 وَمَقَـــامِ إِبْـــرَاهِيمَ وَالـــرُّكْنِ الَّـــذِي تُحْمَـــي بِـــهِ الآثَـــامُ سَـــاعَةَ يُلْـــثَمُ

19 لَقَـــدْ انْطَـــوَتْ نَفْسِـــي عَلَـــى جَمْـــرِ الْغَضَـــا شَـــوْقًا يَشُـــبُّ عَلَـــى الضُّـــلُوعِ وَيَضْـــرَمُ

20 إِيـــهٍ حَـــدِيثُ لُبَانَـــةٍ مِـــنْ دُونِهَـــا بَيْـــدَاءُ تُنْجِـــدُ بِالرِّكَـــابِ وَتُـــتْهِمُ

21 هَـــلْ مِـــنْ سَـــبِيلٍ لِلسُّـــرَى حَتَّـــى أَرَى مَعْنَـــى بِـــهِ ِلأُولِـــي السَّـــعَادَةِ مَغْـــنَمُ

22 مَغْنًـــى يُتَـــيِّمُ كُـــلَّ سَـــالٍ حُسْـــنُهُ قُـــلْ كَيْـــفَ يَسْـــلُو عَـــنْ هَـــوَاهُ مُتَـــيَّمُ

23 مُتَنَـــزِّلُ الْـــوَحْيُ الَّـــذِي يُتْلَـــى فَـــلاَ سَـــمْعٌ يَمَـــلُّ وَلاَ لِسَـــانٌ يَسْـــأَمُ

24 يتنـــزل الـــروح الأمـــين بـــه علـــى خيـــر الـــورى صـــلوا عليـــه وســـلموا

25 شَـــمْسُ الرِّسَـــالَةِ وَالنُّبُـــوَّةِ وَالْهُـــدَى بَـــدْرُ الْجَلاَلَـــةِ نَورُهَـــا الْمُتَجَسِّـــم

26 هُـــوَ رَحْمَـــةُ اللهِ الَّتِـــي يَهْمِـــي بِهَـــا فِـــي الْخَلْـــقِ بِـــالْحَقِّ الْمُبِـــينِ وَيَحْكُـــمُ

27 لَمَّـــا بَـــدَتْ أَنْـــوَارُ مَوْلِـــدِهِ خَبَـــتْ نَـــارُ لِفَـــارِسَ لَـــمْ تَـــزَلْ تَتَضَـــرَّمُ

28 وَتَضَعْضَـــعَ الْإِيْـــوَانُ مِـــنْ أَرْجَائِـــهِ وَغَـــدَتْ بِـــهِ شُـــرُفَاتُهُ تَتَهَـــدَّمُ

29 وَتَسَـــاقَطَتْ أَصْـــنَامُ مَكَّـــةَ رَهْبَـــةً وَالْجِـــنُّ بِالشُّـــهْبِ الثَّوَاقِـــبُ تُـــرْجَمُ

30 يَـــا مَـــنْ لَـــهُ قَبْـــلَ الْـــوِلاَدِ وَبَعْـــدَهُ آيَـــاتُ إِرْشَـــادٍ لِمَـــنْ يَتَوَسَّـــمُ

31 لَـــكَ رُدَّ قُـــرْصُ الشَّـــمْسِ بَعْـــدَ غُرُوبِهَـــا وَانْشَـــقَّ بَـــدْرُ ٱلأُفْـــقِ وَهُـــوَ مُـــتَمَّمُ

32 لَـــكَ حَـــنَّ جِـــذْعُ النَّخْـــلِ إِذْ فَارَقْتَـــهُ شَـــوْقًا كَمَـــا حَنَّـــتْ عَشَـــارٌ رُومُ

33 لَـــكَ أَنْطَـــقَ اللهُ الْجَمَـــادَ وَلَـــمْ يَكُـــنْ لَـــوْلاَكَ يَفْصِـــحُ بِالْخِطَـــابِ وَيَفْهَـــمُ

34 لَـــكَ يَارَسُـــولُ اللهِ كُـــلُّ دِلاَلَـــةٍ لَـــمْ تُبْـــقِ مِـــنْ شَـــكٍّ لِمَـــنْ يَتَـــوَهَّمُ

35 أَنْـــتَ الـــرَّؤُوفُ بِأُمَّـــةٍ بُشَّـــرْتَهَا يَـــوْمَ ٱلْقِيَامَـــةِ أَنَّهَـــا بِـــكَ تُـــرْحَمُ

36 أَنْـــتَ الْمُرَفَّـــعُ وَالْمُشَـــفَّعُ فِـــي غَـــدٍ يَرْجُـــو شَـــفَاعَتَكَ ٱلْمُسِـــيءُ الْمُجْـــرِمُ

37 أَنْـــتَ ٱلْمَسُـــوغُ مُشَـــرِّعُ الحَـــوْضِ الَّـــذِي يَـــرْوِي بِكَـــوْثَرِهِ التَّقِـــيُّ ٱلْمُسْـــلِمُ

38 أَنْـــتَ ٱلْمُبَلِّـــغُ حِكْمَـــةَ الـــذِّكْرِ الَّـــذِي بَيَّنْـــتَ فِيـــهِ مَـــا يَحِـــلُّ وَيَحْـــرُمُ

39 أَنْـــتَ الَّـــذِي نَبْـــعُ الـــزُّلاَلِ بِكَفِّـــهِ حَتَّـــى تَـــرَوَّى ٱلْجَـــيْشَ وَهُـــوَ عَرَمْـــرَمُ

40 أُسْـــرَيْتَ لِلسَّـــبْعِ الطِّبَـــاقِ فَأَقْبَلَـــتْ أَمْلاَكُهَـــا طُـــرًّا عَلَيْـــكَ تُسَـــلَّمُ

41 وَتَبَرَّكَـــتْ بِصَـــلاَتِكَ ٱلإِرْسَـــالُ إِذْ صَـــلَّتْ وَأَنْـــتَ إِمَامُهَـــا الْمُتَقَـــدِّمُ

42 رُفِعَـــتْ لَـــكَ الْحُجُـــبُ الْعَظِيمَـــةُ فَـــاعْتَلَى بِـــكَ لِلْعُلَـــى ذَاكَ ٱلْمُقَـــامُ ٱلأَعْظَـــمُ

43 حَتَّـــى سَـــمِعَتْ صَـــرِيفَ [1] أَقْـــلاَمٍ بِمَـــا فِـــي اللَّـــوْحِ مَحْفُوظًـــا يُخَـــطُّ وَيُرْسَـــمُ

44 فِـــي حَيْـــثُ لاَ مُلْـــكٌ وَلاَ فُلْـــكٌ وَلاَ نَجْـــمٌ وَلاَ عِلْـــمٌ هُنَالِـــكَ يُعْلَـــمُ

45 تِلْـــكَ ٱلْمَرَاتِـــبُ لَـــمْ يَكُـــنْ لِيَنَالَهَـــا إِلاَّ النَّبِـــيُّ ٱلْهَاشِـــمِي ٱلأَكْـــرَمُ

[1] - صريف الباب : صريرة : وصريف القلم : صوت جريانه

46 مَـــاذَا عَسَـــى يُثْنِـــي عَلَيْـــهِ مُقَصِّـــرٌ وَبِمَدْحِـــهِ نَـــزَلَ الْكِتَـــابِ الْمُحْكَـــمُ

47 يَاخَـــــاتَمَ الرُّسْـــــلَ وَخَيْـــــرَ مَـــــنْ يَبْـــدَاَ بِـــهِ الـــذِّكْرُ الْجَمِيـــلُ وَيُخْـــتَمُ

48 مَـــالِي سِـــوَى حُبِّـــي إِلَيْـــكَ وِسِـــيلَةٌ وَنِظَـــامُ مَـــدْحٍ فِـــي عَـــلاَكَ يُـــنَظَّمُ

49 إِنِّـــــي بِجَاهِـــــكَ وَاثِـــــقٌ مُتَمَسِّـــــكٌ بِـــالْعُرْوَةِ الْـــوُثْقَى الَّتِـــي لاَ تُفْصَـــم

50 يَـــانَفْسُ صُـــبْحُ الشَّـــيْبِ لاَحَ وَأَنْـــتَ فِـــي لَيْـــلَ الْغِوَايَـــةِ وَهُـــوَ لَيْـــلٌ مُظْلِـــمُ

51 وَاللَّهْـــوُ طَارِبِـــهِ غُـــرَابُ شَـــبِيبَتِي وَحَمَـــامُ شَـــيْبِي لِلْحَمَـــامِ يُحَّـــومُ

52 زَجَرَتْـــكِ بَارِقَـــةُ الْهُـــدَى لَـــوْ تَرْعَـــوِي وَنَهَتْـــكَ وَاعِظَـــةُ النُّهَـــى لَـــوْ تُعْلَـــمُ

53 وَجِـــلاَءُ عَقْـــلِ الْمَـــرْءِ فَهْـــمٌ ثَاقِـــبٌ يُرْضِـــي التُّقَـــي أَفْـــدِيكَ يَـــا مَـــنْ يَفْهَـــمُ

54 يَـــارَبِّ عَفْـــوًا عَـــنْ ذُنُـــوبِي كُلُّهَـــا عَفْـــوًا تَمُـــنُّ بِـــهِ عَلَـــيَّ وَتُـــنْعِمُ

55 وَانْصُـــرْ خَلِيفَتَـــكَ الَّـــذِي لَـــبِسَ التُّقَـــى حُلَـــلاً تُطَـــرَّزُ بِالثَّنَـــاءِ وَتُـــرْقَمُ

56 وَأَقَـــامَ لَيْلَـــةَ مَوْلِـــدِ الْهَـــادِي الَّـــذِي يَزْهُـــو بِـــهِ الـــدِّينُ الْحَنِيـــفُ الْقَـــيِّمُ

57 ظَفِـرَ التُّقَـى وَالْعَـدْلَ مِـنْ مُوسَـى الرِّضَـى بِـــالْجَوْهَرِ الْفَـــرْدِ الَّـــذِي لاَ يَتْـــأَمُ

58 مَلِـــكٌ تُقِـــرُّ لَـــهُ الْمُلُـــوكُ بِأَنَّـــهُ بِالـــدِّينِ أَقْـــوَى وَالْخِلاَفَـــةِ أَقْـــوَمُ

59 يَحْمِـــي الْأَنَـــامَ بِعَدْلِـــهِ وَحُسَـــامِهِ فَـــالظُّلْمُ يُقْصَـــى وَالْمُعَانِـــدُ يُقْصَـــمُ

60 مُسْتَشْـــعِرٌ تَقْـــوَى الْإِلَـــهِ فَعِنْـــدَهُ يُبْنَـــى التَّـــوَرُّعُ وَالتَّصَـــنُّعُ يُهْـــدَمُ

61 لَـــوْلاَ سَـــجَايَاهُ الْجَلِيلَـــةُ لَـــمْ تَكُـــنْ تُحْكَـــى الْمَفَـــاخِرُ وَالْمَـــآثِرُ تُحْكَـــمُ

62 لَـــوْلاَ عَطَايَـــاهُ الْجَزِيلَـــةُ لَـــمْ تَكُـــنْ تُعْلَـــى الْأَكَـــارِمُ وَالْمَكَـــارِمُ تُعْلَـــمُ

63 يَـــا أَيُّهَـــا الْمَلِـــكُ التَّقِـــيُّ وَمَـــنْ لَـــهُ شَـــرَفٌ عَلَـــى سَـــمْكِ السِّـــمَاكِ مَخَـــيِّمُ

64 أَعْطَيْـــتَ بِالْعَـــدْلِ الْخِلاَفَـــةَ حَقَّهَـــا فَمُلُوكُهَـــا فِـــي حَقِّهَـــا لَـــكَ سَـــلَّمُوا

65 بَهَرَتْهُمْ أَوْصَافُكَ الزُّهْرُ الَّتِي مِنْهَـــا عَلَـــى زُهْـــرِ الْكَوَاكِـــبِ مَيْسَـــمُ

66 جُـــودٌ وَإِحْسَـــانٌ وَقَصْـــدٌ فِـــي الْهُـــدَى حَسَـــنٌ وَعَقْـــلٌ فِـــي التُّقَـــى مُسْـــتَحْكِمُ

67 وَتَوَاضُـــعٌ يُعْلَـــى وَقَـــدَرٌ يُعْتَلَـــى وَنَـــدَى يَـــدٍ تُهْمِـــي وَبِشْـــرٌ يَبْسِـــمُ

68 وَالْحِلْـــمُ أَوْسَـــعُ وَالْجَنَـــابُ مُؤَمَّـــلُ وَالْعِـــزُّ أَمْنَـــعُ وَالسَّـــجِيَةُ أَكْـــرَمُ

69 وَالْفَخْـــرُ أَعْظَـــمُ وَالْعَـــلاَءُ مُؤَثَّـــلٌ وَالْفَضْـــلَ أَكْمَـــلُ وَالْعَطَـــاءُ مَـــتَمَّمُ

70 اللهُ حَسْـــبُكَ مَـــا لِمُحَمَّـــدٍ غَايَـــةٍ إِلاَّ وَأَنْـــتَ لِشَـــأْوِهَا مُتَقَـــدِّمُ

71 أَعْـــدَدْتَ لِلأَعْـــدَاءِ عُـــدَتَهَا الَّتِـــي بِسِـــلاَحِهَا يُلْقَـــى الْعَـــدَوُّ فَيُهْـــزَمُ

72 فَكَأَنَّمَـــا تِلْـــكَ السُّـــيُوفُ بَـــوَارِقٌ تَعْـــرَى فَتُغْمَـــدُ فِـــي الْعَـــدَوِّ وَتُـــدْغَمُ

73 وَكَأَنَّمَـــا تِلْـــكَ الـــذَّوَابِلُ أَغْصُـــنٌ وَبِكُـــلِّ عَالِيَـــةٍ سَـــنَانٌ لَهْـــذَمُ

74 وَكَأَنَّمَـــا تِلْـــكَ الْقِسِـــيُّ أَهِلَّـــةٌ تَـــنْقَضُّ مِـــثْلَ الشُّـــهْبِ عَنْهَـــا الأَسْـــهُمُ

75 وَكَـــأَنَّ تِلْـــكَ الْعَادِيَـــاتِ إِذَا عَـــدَتْ سِـــرْبٌ لِشُـــرْبِ دَمِ الأَعَـــادِي حُـــوَّمُ

76 وَكَـــأَنَّ سَـــابِحَهَا عُقَـــابٌ كَاسِـــرٌ وَعَلَيْـــهِ مِـــنْ أُسْـــدِ الْفَـــوَارِسُ ضَـــيْغَمُ

77 فَـــالْبِيضُ تَمْضِـــي وَالـــذَّوَابِلُ تَنْثَنِـــي وَالْخَيْـــلُ تُـــرْدِي وَالْفَـــوَارِسُ تَغْـــنَمُ

78 وَلَـــدَيْكَ جَـــيْشٌ مِـــنْ سُـــعُودِكَ غَالِـــبٌ إِنَّ السُّـــعُودَ كَتَائِـــبٌ لاَ تُهْـــزَمُ

79 وَأَسُـــودُ حَـــرْبٍ مِـــنْ بَنِيـــكَ تُخَـــيَّمُ عَـــنْ أَقْـــدَامِهَا أُسْـــدُ الْحُـــرُوبِ وَتُحْجِـــمُ

80 فَكَـــــأَنَّهُمْ وَوَلِـــــيُّ عَهْـــــدِكَ بَـــــدْرُهُمْ بِسَـــمَاءِ حَضْـــرَتِكَ الْعَلِيَّـــةِ أَنْجُـــمُ

81 مَـــا عَابِـــدُ الرَّحْمَـــانِ إِنْ تَسْـــأَلْ بِهِ إِلاَّ هِزَبْـــرٌ فِـــي الْكَرِيهَـــةِ ضَـــيْغَمُ

82 شَـهْمٌ يُعِـلُّ [1] الْبِـيضَ مِـنْ مُهْـجِ الْعِـدَى وَالسُّـمْرَ [2] فِـي ثَغْـرِ النُّحُـورِ يُحَكِّـمُ

83 مَـــا أَمَّ يَوْمًـــا وُجْهَـــةً إِلاَّ انْثَنَـــى بِالنَّصْـــرِ يَقْتَـــادُ الْفُتُـــوحَ وَيُقْـــدِمُ

84 دَامَـــتْ عُـــلاَكَ لَهُـــمْ وَدَامَ بِمَـــدْحِكُمْ طَيْـــرُ السَّـــعَادَةِ دَائِمًـــا يَتَـــرَنَّمُ

85 وَإِلَيْـــكَ مِـــنْ بِـــدَعِ الْبَيَـــانِ بَدِيعَـــةً قَـــدْ حَـــلَّ فِيهَـــا السِّـــحْرُ وَهُـــوَ مُحَـــرَّمُ

86 رَوْضٌ مِـــنْ الآدَابِ جِيـــدَ بِجُـــودِكُمْ فَغَـــدَتْ لَكُـــمْ إِزْهَـــارُهُ تَتَبَسَّـــمُ

87 فَاخْلُـــدْ وَدَمْ وَاهْنَـــأ بِمَوْسِـــمِ مَوْلِـــدٍ لِمُحَمَّـــدَ الْهَـــادِي فَـــنِعْمَ الْمَوْسِـــمُ

---

[1] – يقال عله أي سقاه

(2) – السمر : جمع الأسمر وهو الرمح

معجزات الإسلام* **من بحر الطويل**

(هنا يوجد بياض يدل على أنه سقط عدد من الأبيات يحدد بأربعة أو خمسة أبيات)

1 كَمَـــا قَـــالَ إِبْـــرَاهِيمُ حَسْـــبِي فَعِلْمُهُـــمْ بِحَـــالِي مُغْـــنٍ عَـــنْ سُـــؤَالِي إِلَـــيْهِمْ

2 وَأَلْهَمَهَـــا فَـــوْقَ السَّـــمَاوَاتِ أَحْمَـــدُ وَمَـــازَالَ لِلتَّوْفِيـــقِ أَحْمَـــدُ يُلْهَـــمُ

3 دَنَـــا فَتَـــدَلَّى قَـــابَ قَوْسَـــيْنِ وَقْفَـــةً وَلَـــيْسَ دُنُـــوًّا بِالْمَسَـــافَةِ فَـــاعْلَمُوا

4 وَعَايَنَـــــهُ حَقًّـــــا يَعْـــــنِ عِنَايَـــــةً وَقِيـــلَ بِنُـــورِ الْقَلْـــبِ وَاللهُ أَعْلَـــمُ

5 فَنَاجَـــاهُ مَـــوْلاَهُ بِأَسْـــرَارِ غَيْبَـــةٍ وَأَعْلَمَـــهُ مَـــا لَـــمْ يَكُـــنْ قَبْـــلُ يَعْلَـــمُ

6 وَكَـــمْ مُعْجِـــزَاتٍ قَـــدْ أَتَـــى قَوْمَـــهُ بِهَـــا وَلَكِـــنَّهُمْ عَـــنْ مَـــنْهَجِ الْحَـــقِّ قَـــدْ عَمُـــوا

7 وَمَـــنْ يَـــكُ عَـــنْ وَرْدِ الْقَبُـــولِ مُحَلَّـــلُ فَبَـــابُ الْهُـــدَى عَنْـــهُ مَـــدَى الـــدَّهْرَ مُـــبْهَمُ

8 وَآيَتُـــهُ فِـــي الْغَـــارِ إِذْ مَكَـــرَتْ بِـــهِ قُـــرَيْشٌ وَرَبُّ الْعَـــرْشِ يَحْمِـــي وَيَعْصُـــمُ

9 وَقَـــدْ أَرْسَـــلَ اللهُ الْحَمَـــامَ بِبَابِـــهِ فَبَاضَـــتْ بِـــهِ مِـــنْ فَوْرِهَـــا وَهِـــي جُـــثَّمُ

10 كَمَـــا نَسَـــجَتْ فِيـــهِ الْعَنَاكِـــبُ حُلَّـــةً بِسِـــتْرٍ مِـــنَ الـــرَّحْمَنِ تُسْـــدِي وَتَلْحُـــمُ

11 وَلَـــوْلاَ دِفَـــاعُ اللهِ كَيْـــدَهُمْ بِهَـــا بِأَضْـــعَفِ أَسْـــبَابِ الْوُجُـــودَاتِ أَحْجَـــمُ

12 وَفِـــي غَـــزْوَةِ الْأَبْـــوَاءِ إِذْ لَـــمْ يَكُـــنْ بِهَـــا مِـــنَ الْمَـــاءِ عِنْـــدَ الْقَـــوْمِ مَـــايَتَوَهَّمُ

13 وَلَـــمْ يَجِـــدُوا فِـــي رَحْلِهِـــمْ غَيْـــرَ قَطْـــرَةٍ بِعِـــزْلاَنِ شَـــخْبٍ لاَيُبَـــلُّ بِهَـــا الفَـــمُ

* الأبيات من 1 إلى 46 في زهرة البستان لمؤلف مجهول ورقة 84، 85.

14 عَلَـــى يَـــدِهِ فِـــي جَفْنَـــةِ الرَّكْـــبِ جُـــدِّدَا فَبَـــارَكَ فِيهَـــا فَـــاعْتَبَرَتْ وَهِـــي خَضَـــمُ

15 وَفَـــاضَ نَمِيـــرُ الْمَـــاءِ بَـــيْنَ بَنَانِـــهِ إِلَـــى أَنْ تَـــرَوَّي الْجَـــيْشَ وَهُـــوَ عَرَمْـــرَمُ

16 وَحِـــينَ ارْتَـــوُوا مِـــنْ عِنْـــدِ أَخِـــرِهِمْ بِـــهِ لَقَـــدْ كَـــفَّ عَنْـــهُ كَفُّـــهُ وَهُـــوَ مُفْعَـــمُ

17 وَقِصَّـــــتُهُ فِـــــي ذِي الْمَجَـــــازِ حَقِيقَـــــةٌ شَـــكَا غَمَّـــهُ ..... يَعْلَـــمُ

18 فَشَـــقَّ أَدِيْـــمُ الْأَرْضِ رَكْضًـــا بِرِجْلِـــهِ فَفَـــاضَ بِـــهِ عَـــيْنٌ مِـــنَ الْمَـــاءِ عَـــيْلَمُ

19 وَيَـــــوْمَ تَبُـــــوكٍ وَالْحُدَيْبَيَـــــةِ اللَّـــــذَا نِ سَـــمَا لَهُمَـــا فِـــي ذِرْوَةِ الْفَخْـــرِ مَيْسَـــمُ

20 وَكَـــمْ مِـــنْ جَمَـــادٍ قَـــدْ غَـــدَا نَاطِقًـــا لَـــهُ وَعَجْمَـــى بِأَفْصَـــحَ غَـــدَتْ تَـــتَكَلَّمُ

21 كَجِـــذْعٍ وَحَصْـــبَاءٍ وَضَـــبٍّ وَظَبْيَـــةٍ وَطِفْـــلٍ رَضِـــيعٍ لَـــمْ يَكُـــنْ بَعْـــدُ يُفْطَـــمِ

22 وَعَـــادَتْ إِلَيْـــهِ الشَّـــمْسُ بَعْـــدَ غُرُوبِهَـــا وَشَـــقَّ لَـــهُ الْبَـــدْرُ الْمُنِيـــرُ الْمُـــتَمِّمُ

23 وَآيَـــاتُهُ كَالشُّـــهْبِ نُـــورًا وَكَثْـــرَةً أَتَحْضُـــرُ أَوْ تُحْصَـــى عَلَـــى الْعَـــدِّ أَنْجُـــمُ

24 وَقَـــدْ أَجْمَعُـــوا مِنْهَـــا عَلَـــى أَلْـــفِ مُعْجِـــزٍ رَوَى بَعْضُـــهُنَّ الْتِّرْمِيـــذِي وَمُسْـــلِمُ

25 وَأَعْظَمُهَـــا الْقُـــرآنُ يَـــزْدَادُ جِـــدَّةً بِطُـــولِ الْمَـــدَى تِكْـــرَارُهُ لَـــيْسَ يُسْـــأَمُ

26 وَلَـــيْسَ حَـــدِيثًا حَـــاشَ لِلَّهِ مُفْتَـــرَى وَلَكِنَّـــهُ وَحْـــيٌ مِـــنْ اللهِ مُحْكَـــمُ

27 هُـــوَ النُّـــورُ وَالْبُرْهَـــانُ وَالْحُجَّـــةُ الَّتِـــي بِهَـــا حُلَـــلُ الـــدِّينِ الْحَنِيـــفِ تُـــرَمِّمُ

28 تَضَـــمَّنَ أَحْكَـــامَ الْوُجُـــودِ بِأَسْـــرِهَا وَأَوْدَعَ فِيـــهِ مَـــا يَحِـــلُّ وَيَحْـــرُمُ

29 فَلَمَّـــا تَحَـــدَّى الْخَلْـــقَ مِنْـــهُ بِسُـــورَةٍ أَقَـــرُّوا لَـــهُ بِهَـــا بِـــالْعَجْزِ عَنْـــهُ وَأُفْحِمُـــوا

30 وَلِلْمُصْـــطَفَى سَـــبْعٌ وَعِشْـــرُونَ غَـــزْوَةً يُشَـــادُ بِهَـــا الْإِسْـــلَامُ وَالْكُفْـــرُ يُصْـــدَمُ

31 وَكَـــمْ آيَـــةٍ قَبْـــلَ الْـــوِلاَدِ وَبَعْـــدَهُ عَلَـــى فَضْـــلِهِ دَلَّـــتْ لِمَـــنْ يَتَوَسَـــمُ

32 فَنَـــورُ الْهُـــدَى فِـــي بُـــرْدِهِ مُتَجَسِـــمُ وَنُـــورُ الْهُـــدَى فِـــي كَفِّـــهِ مُتَبَسِـــمُ

33 بِشَـــهْرِ رَبِيـــعٍ قَـــدْ بَـــدَا عَلَـــمُ الْهُـــدَى شَـــفِيعُ الْـــوَرَى صَـــلُّوا عَلَيْـــهِ وَسَـــلِّمُوا

34 تَسَـــاقَطَتْ الْأَصْـــنَامُ عِنْـــدَ ظُهُـــورِهِ وَعَـــادَتْ بَنَـــاتُ الجِـــنِّ بِالشُّـــهُبِ تُـــرْجَمُ

35 وَأَخْمَـــدَتْ الْأَنْـــوَارُ نِيـــرَانُ فَـــارِسٍ وَمِـــنْ قَبْـــلُ كَانَـــتْ أَلْـــفُ عَـــامٍ تُضْـــرَمُ

36 وَأَشْـــرَقَتِ الـــدُّنْيَا بِمَوْلِـــدِ أَحْمَـــدٍ فَـــلاَ خَلْـــقَ مَظْلُـــومٌ وَلاَ أُفْـــقَ مُظْلِـــمُ

37 فَيَـــا خَـــاتَمَ الرُّسْـــلِ الْكِـــرَامِ وَخَيْـــرَ مَـــنْ بِـــهِ يُبْـــذَؤُ الـــذِّكْرُ الْجَمِيـــلُ وَيُخْـــتَمُ

38 بِمَوْلِـــدِكَ السَّـــامِي الرَّفِيـــعِ قَـــدْ اعْتَنَـــى مَلِيـــكٌ سَـــجَايَاهُ النَّـــدَى وَالتَّكَـــرُّمُ

39 إِمَـــامُ لَـــهُ بِالْمَكْرُمَـــاتِ عِنَايَـــةٌ هُمَـــامٌ لَـــهُ بِـــالْمَعْلُوات .....

40 هُـــوَ الْمَلِـــكُ الزَّابِـــي مُوسَـــى بْـــنُ يُوسُـــف لَـــهُ نَسَـــبٌ فَـــوْقَ النُّجُـــومِ مُخَـــيِّمُ

41 لَـــقَ ضَـــمَّ أَمْـــرَ الْمُلْـــكِ بَعْـــدَ شَـــتَاتِهِ كَمَـــا ضُـــمَّ زَيْـــد بِالسِّـــوَارِ وَمِعْصَـــم

42 وَجَـــدَّدَ رَسْـــمَ الْمَجْـــدِ بَعْـــدَ دُرُوسِـــهِ وَأَضْـــحَى لِيُسْـــرِ الـــدِّينِ يَعْلَـــى وَيُعْلِـــمُ

43 فَـــلاَ مَجْـــدُ إِلاَّ بَنَـــاهُ فَإِنَّـــهُ لِتَنْهَـــدِمُ الـــدُّنْيَا وَلاَ يَتَهَـــدَّمُ

44 فَـــلاَ زِلْـــتُ مَنْصُـــورَ اللِّـــوَاءِ عَلَـــى الْعِـــدَى وَسَـــيْفُكَ مَـــاضٍ فِـــي الطُّغَـــاةِ مُحَكَّـــمُ

45 وَدُونَكُمَـــا حُسْـــنًا ..... فَيَصْـــبُوا إِلَيْهَـــا الْقَلْـــبُ وَالسَّـــمْعُ وَالْفَـــمُ

46 فَصَـــاحَتُكَ فِـــي الشِّـــعْرِ مِـــنْ الْعُـــرْبِ الْعُرَبَـــاءِ وَالْغَيْـــرُ أَعْجَـــمُ

لولا هوى ذات الجناب السامي* **من بحر الكامل**

1 لَـــوْلاَ هَـــوَى ذَاتِ ٱلجِنَـــابِ السَّـــامِي مَـــا سِـــمْتُ ثَغْـــرَ الْبَـــارِقِ البَسَّـــامِ

2 بَـــــرْقٌ يُعَارِضُـــــهُ الفُـــــؤَادُ إِذَا بَـــــدَا مَـــا بَـــيْنَ خَفْـــقٍ دَائِـــمٍ وَخُـــرَامِ

3 فَرِيضُـــــهُ يُـــذْكِي ٱلجَـــوَى بِجَـــوَانِحِي مَهْمَـــا تَـــأَلَّقَ فِـــي مُتُـــونِ غَمَـــامِ

4 وَافَـــى بِخَيْـــرٍ عَـــنْ رُبُـــوعِ اَحِبَّتِـــي خَيْـــرُ ٱلحَـــدِيثِ الْعَهْـــدِ بِالإِلْمَـــامِ

5 يَـــابَرْقُ صِـــفْ حَـــالَ الْمَشُـــوقِ إِلَـــيْهِمُ وَارْوِ حَـــدِيثَ صَـــبَابَتِي وَغَرَامِـــي

6 قَسَـــمًا بِهِـــمْ وَمَحَبَّتِـــي لِجَنَـــابِهِمْ وَبِمَالَهَـــا مِـــنْ حُرْمَـــةٍ وَذِمَـــامِ

7 مَـــا إِنْ سَـــلَوْتُ هَـــوَاهُمْ بِسِـــوَاهُمُ يَوْمًـــا وَلاَ أَصْـــغَيْتُ لِلَّـــوَامِ

8 فِـــي كُـــلِّ جَارِحَـــةٍ غَـــرَامٌ كَـــامِنٌ لَـــمْ يَبْـــقَ فِيهَـــا مَوْضِـــعٌ لِمَـــلاَمَ

9 فَٱلْقَلْـــبُ مِـــنْ فَـــرْطِ ٱلمَحَبَّـــةِ هَـــائِمٌ وَٱلْجَفْـــنُ مِـــنْ بُعْـــدِ ٱلأَحِبَّـــةِ هَـــامِ

10 مَـــا ضَـــرَّهُمْ وَهُـــمْ بُـــدُورُ تَمَـــامِ لَـــوْ قَصَّـــرُوا بِـــالطَّيْفِ قَبْـــلَ مَنَـــامِ

11 أَمْ هَـــلْ يَـــزُورُ الطَّيْـــفَ مَضْـــجَعَ سَـــاهِرٍ مَـــا ذَاقَ مُـــذْ هَجَـــرُوهُ طَعْـــمَ مَنَـــامِ

12 آهٍ لِلَيْلِـــي مَـــا أَمَـــرَّ سُـــهَادُهُ عِنْـــدِي وَمَـــا أَحْلَـــى جَنَـــى أَحْـــلاَمِ

13 وَلِعَـــهْدِهِ أَيَّـــامِ الشَّـــبِيبَةِ وَالصِّـــبَا مَـــا كَـــانَ أَحْسَـــنَهُنَّ مِـــنْ أَيَّـــامِ

* الأبيات من 1 إلى 89 في البغية ج2 ص من 210 إلى 214، والأبيات من 1 إلى 63، ومن 79 إلى 89 في نحلة اللبيب من 140 إلى 144.

14 مَـــرَّتْ سِـــرَاعًا ثُـــمَّ أَبْقَـــتْ حُرْقَـــةً فَكَأَنَّهَـــا حُلْـــمٌ مِـــنَ ٱلأَحْـــلاَمِ

15 وَأَتَـــى ٱلمَشِـــيْبُ فَظَلْـــتُ أَنْـــدُبُ بَعْـــدَهُمْ عَهْـــدَ الصِّـــبَا وَمَرَابِـــعَ الآرَامِ

16 يَـــا أَيُّهَـــا الرَّكْـــبُ ٱلمُـــيَّمَمُ طِيبَـــةً بِرَكَائِـــبِ ٱلإِنْجَـــادِ وَٱلإِتْهَـــامِ

17 يَـــذْرِي مَطِـــيٌّ كَٱلْقِسِـــيِّ سِـــوَاهُمُ تَرْمِـــي بِهِـــمْ عَـــرْضُ الْفَـــلاَ كَسِـــهَامِ

18 عُوجُـــوا ٱلمَطِـــيَّ عَلَـــى مَطَـــالِعِ أَنْجُـــمٍ بِـــٱلْجِزْعِ تُـــدْعَى عِنْـــدَهُمُ بِخَيَـــامِ

19 وَسَـــلُوا جُفُـــونِي كَـــمْ أَسَـــلْنَ مِـــنْ ادْمُـــعٍ مِثْـــلَ ٱلْعَقِيـــقِ عَلَـــى ٱلْعَقِيـــقِ سِـــجَامِ

20 وَرَدُوا ٱلْعَـــذِيبَ وَخَلَّفُـــونِي ظَامِئًـــا فَمَتَـــى يُبَـــاحُ الْـــوَرْدُ فِيـــهِ لِطَـــامِ

21 يَـــاخَيْرَ خَلْـــقِ اللهِ شَـــكْوَى مُـــذْنِبٍ مُلِئَـــتْ صَـــحَائِفُهُ مِـــنْ ٱلآثَـــامِ

22 رَامَ الْمَسِـــيرَ لِرَامَـــهِ وَذُنُوبُـــهُ قَعَـــدَتْ بِـــهِ عَـــنْ نَيْـــلِ كُـــلِّ مَـــرَامِ

23 يَالَيْـــتَ شِـــعْرِي هَـــلْ لِحَـــوْمِي مَـــوْرِدُ يَـــرْوِي أُوارَى أَوْ يَبُـــلُّ لِرَامِـــي

24 وَأَزُورُ رَبْعًـــا ضَـــمَّ أَكْـــرَمَ مُرْسَـــلٍ وَأَرَى حِمَـــاهُ قَبْـــلَ يَـــوْمِ حِمَـــامِي

25 لِـــمَ لاَ يَحِـــنُّ لَـــهُ فُـــؤَادُ مُتَـــيَّمٍ وَٱلْجِـــذْعُ حَـــنَّ لَـــهُ حَنِـــينَ هُيَـــامِ

26 وَٱلْبَـــدْرُ شُـــقَّ لَـــهُ لِيَظْهَـــرَ صِـــدْقُهُ وَالطِّفْـــلُ كَلَّمَـــهُ لِـــدُونِ فِطَـــامِ

27 رَوَّى الْجُيُـــوشَ بِعَـــذْبِ مَـــاءِ بَنَانِـــهِ وَٱلأَلْـــفُ أَشْـــبَعَهُمْ بِصَـــاعِ طَعَـــامِ

28 وَلَقَـــدْ عَـــلاَ فَـــوْقَ السَّـــمَوَاتِ ٱلْعُـــلاَ وَسَـــمَا إِلَـــى ذَاكَ ٱلْمَحَـــلِّ السَّـــامِي

29 فِـــي حَيْـــثُ لاَ مُلْـــكَ وَلاَ فَلَـــكَ وَلاَ نَجْـــمُ وَلاَ عَلَـــمٌ مِـــنَ ٱلأَعْـــلاَمِ

30 فَـــأَتَمَّ نِعْمَتَـــهُ عَلَيْـــهِ رَبُّـــهُ فِـــي كُـــلِّ أَمْـــرٍ أَفْضَـــلَ ٱلإِتْمَـــامِ

31 وَحَبَـــاهُ فَضْـــلاً مِـــنْ لَدُنْـــهُ وَرَحْمَـــةً بِمَوَاهِـــبِ لَـــمْ تَجْـــرِ فِـــي ٱلأَوْهَـــامِ

32 وَلَـــهُ الشَّـــفَاعَةُ وَهُـــوَ مَخْصُـــوصٌ بِهَـــا يَـــوْمَ ٱلقِيَامَـــةِ فِـــي ذَوِي ٱلإِجْـــرَامِ

33 وَلَـــهُ لِـــوَاءُ ٱلحَمْـــدِ مَعْقُـــودٌ بِـــهِ وَٱلكَـــوْثَرُ الْمَـــوْرُودُ دُونَ زِحَـــامِ

34 وَمَقَالُـــهُ الْمَسْـــمُوعُ فِيـــهِ عِنَايَـــةٌ وَمَقَامُـــهُ ٱلمَحْمُـــودُ خَيْـــرُ مَقَـــامِ

35 لاَحَـــتْ بِـــهِ شَـــمْسُ ٱلهِدَايَـــةِ فَـــانْجَلَى مَـــا كَـــانَ لِلإِضْـــلاَلِ مِـــنْ إِظْـــلاَمِ

36 وَلَكَـــمْ لَـــهُ مِـــنْ مُعْجِـــزَاتٍ أَوْضَـــحَتْ سُـــبُلَ ٱلهُـــدَى لِنُهَـــى ذَوِي ٱلأَفْهَـــامِ

37 وَأَجَلُّهَـــا الْـــوَحْيُ الَّـــذِي إِعْجَـــازُهُ مُتَجَـــدِّدٌ بِتَجَـــدُّدِ ٱلأَيَـــامِ

38 مُتَضَـــمِّنٌ كُـــلَّ ٱلعُلُـــومِ بِأَسْـــرِهَا وَمُفَصِّـــلٌ لِأَدِلَّـــةِ ٱلأَحْكَـــامِ

39 مِـــنْ وَاجِـــبٍ أَمَـــرَ ٱلإِلَـــهُ بِفِعْلِـــهِ أَوْ مِـــنْ حَـــلاَلٍ بَـــيِّنٍ وَحَـــرَامِ

40 فَـــدَعَا جَمِيـــعَ الْخَلْـــقِ لِلْحَـــقِّ الَّـــذِي فِـــي ضَـــمْنِهِ بِدِعَايَـــةِ ٱلإِسْـــلاَمِ

41 وَأَبَـــانَ وَاضِـــحَ نَهْجِـــهِ وَسَـــبِيلِهِ وَأَبَـــادَ مَـــا عَبَـــدُوا مِـــنَ ٱلأَصْـــنَامِ

42 سِـــرُّ ٱلوُجُـــودِ وَصَـــفْوَةُ اللهِ الَّـــذِي خُتِمَـــتْ بِـــهِ ٱلأَرْسَـــالُ خَيْـــرَ خِتَـــامِ

43 فِـــي لَيْلَـــةِ الإِثْنَـــيْنِ أَشْـــرَقَ نُـــورُهُ بِأَجَـــلِّ شَـــهْرٍ أَوْ بِأَسْـــعَدَ عَـــامِ

44 أَبْـــدَى لَنَـــا مِـــنْ هَدْيِـــهِ وَجَبِينِـــهِ نُـــورَيْنِ شَـــمْسَ ضُـــحًى وَبَـــدْرَ تَمَـــامِ

45 فَجَلاَ بِنُورِ هُدَاهُ كُلَّ ضَلاَلَةٍ وَجَـــلاَ بِنُـــورِ سَـــنَاهُ كُـــلَّ ظَـــلاَمِ

46 لَـــوْلاَ لَـــوَائِحُ نُـــورِهِ مَـــا أُبْصِـــرَتْ مِـــنْ مَـــكَّةٍ أَقْصَـــى قُصُـــورِ الشَّـــامِ

47 يَـــا مَوْلِـــدَ ٱلمُخْتَـــارِ كَـــمْ أَسْـــدَيْتَ مِـــنْ نِعَـــمٍ لِكُـــلِّ ٱلعَـــالَمِينَ جِسَـــامِ

48 يَامَوْسِـــمًا قَـــدْ قَـــامَ فِيـــهِ بِحَقِّـــهِ ِللهِ خَيْـــرُ خَلِيفَـــةٍ وَإِمَـــامِ

49 مُوسَـــى أَمِيـــرُ الْمُسْـــلِمِينَ أَجَـــلُّ مَـــنْ فِـــي الْأَرْضِ مِـــنْ مَلِـــكٍ أَغَـــرِّ هُمَـــامِ

50 مَلِـــكُ عَلَيْـــهِ هِيبَـــةٌ مَلَكِيَّـــةٌ تَقْضِـــي عَلَـــى الْأَعْـــدَاءِ بِالْإِعْـــدَامِ

51 فَسَـــمَتْ قُلُـــوبُ الْخَلْـــقِ إِجْـــلَالاً لَـــهُ بَـــيْنَ الْمَحَبَّـــةِ فِيـــهِ وَالْإِعْظَـــامِ

52 أُحَيِّـــى بِنَائِلِـــهِ الْمَكَـــارِمُ وَالْعُـــلاَ وَحَمَـــى بِصَـــارِمِهِ حِمَـــى الْإِسْـــلاَمِ

53 أَعْطَـــى فَـــأَيْنَ الْغَيْـــثُ مِـــنْ إِقْدَامِـــهِ فِـــي بِئْـــرِ بَسَّـــامٍ وَنَفْـــعِ دَوَامِ

54 وَسَـــطًا فَـــأَيْنَ الَّيْـــثُ مِـــنْ أِقْدَامِـــهِ فِـــي الْحَـــرْبِ عِنْـــدَ تَزَلْـــزُلِ الْأِقْـــدَامِ

55 كَـــمْ مَوْقِـــفٍ ضَـــنْكٍ يَحَـــارُ بِحَرْبِـــهِ عَمْـرُو بْـنُ مُعْـدِي صَـاحِبُ الصَّمْصَـامِ

56 دَارَتْ كُـــؤْسُ حِمَامِـــهِ لِحُمَاتِـــهِ صِـــرْفًا كَمَـــا دَارَتْ كُـــؤْسُ مُـــدَامِ

57 بَـــرَزَتْ بِـــهِ الشَّـــمْسُ الْمُنِيـــرَةُ غَـــادَةً فَتَقَنَّعَـــتْ مِـــنْ نَقْعِـــهِ بِلِثَـــامِ

58 وَصَـــبَتْ إِلَـــى بِـــيضِ الطُّلَـــى سُـــمْرُ الْقَنَـــا وَتَوَاصَـــلَتْ أَلْفَاتُهَـــا بِالسَّـــلاَمِ

59 بِحِمَـــذِمَارِ دِمَامِـــهِ الْمَـــوْلَى أَبُـــو حَمَـــوٍ فَـــلاَ بَطَـــلٌ سِـــوَاهُ مُحَـــامِ

60 يَـــا مَاجِـــدًا قَسَـــمَ الْفَضَـــائِلَ فِـــي الْـــوَرَى وَحَـوى الَّـذِي فِـي الْفَضْـلِ مِـنْ أَقْسَـامِ

61 بِرَجَاحَـــةٍ وَشَـــجَاحَةٍ وَسَـــمَاحَةٍ وَفَصَـــاحَةٍ وَصَـــبَاحَةٍ وَوِسَـــامِ

62 سُـــبْحَانَ مَـــنْ أَوْلاَكَ مِـــنْ إِفْضَـــالِهِ أَوْ فِـــي الْحُظُـــوظِ وَأَوْفَـــرَ الْأَقْسَـــامِ

63 فَمَلَكَـــتْ بِالْإِرْهَـــابِ أَرْقَـــابَ الْـــوَرَى وَقُلُـــوبَهُمْ بِـــالْبِرِّ وَالْإِنْعَـــامِ

64 مَـــنْ لَـــمْ يَكُـــنْ هَـــذَا الْمُقَـــامُ إِمَامُـــهُ فِـــي دِينِـــهِ لَـــمْ يَنْتَفِـــعِ بِإِمَـــامِ

65 لاَ يَبْـــــــرَحُ التَّوْفِيـــــــقُ لاَزَمَ أَمْـــــــرِهِ أَوْ نَهْيِـــــهِ فِـــــي رِحْلَـــــةٍ وَمُقَـــــام

66 أَدْنَـــــتْ لَـــــهُ الْأَقْطَـــــارَ عَزْمَتُـــــهُ الَّتِـــــي بُنِيَـــــتْ عَلَـــــى الإِسْـــــرَاجِ وَالْإِلْجَـــــامِ

67 لاَ يَرْتَضِـــــي فَـــــوْقَ الْبَسِـــــيطَةِ مَنْـــــزِلاً مَـــــالَمْ تَطَنْبِـــــهُ الْـــــوَغَى بِقَتَـــــام

68 نَهَضَـــتْ بِـــهِ قِـــدْمًا إِلَـــى حَـــرْبِ الْعِـــدَا هِمَـــمٌ وَعَـــزْمٌ صَـــادِقُ الْإِقْـــدَامِ

69 بِسَـــــوَابِقِ غُـــــرٍّ كِـــــرَامٍ ضُـــــمْرٍ نَهَضَـــتْ بِغُيَـــرٍّ مَـــا جِـــدِينَ كِـــرَامِ

70 أُسْـــدٍ عَلَـــى خَيْـــلٍ تُخَـــالُ إِذَا جَـــرَتْ رِيحًـــا تُقَـــادُ مُطِيعَـــةً بِلِجَـــامِ

71 صَـــدَقَتْ لَـــهُ النِّيَّـــاتُ أُسْـــدٌ مَالَهَـــا إِلاَّ الرُّدَيْنِيَّـــاتُ مِـــنْ آجَـــامِ

72 خَفَقَـــتْ قُلُـــوبُ عِدَاهِ مِـــن أَعْلاَمِـــهِ كَخُفُـــوقِ رِيـــحِ النَّصْـــرِ فِـــي الْأَعْـــلاَمِ

73 لَمَّـــا ذَعَـــرْتَ عِـــدَاكَ فِـــي أَوْطَـــانِهِمْ وَفَصَـــمْتَ عُـــرْونَهُمْ أَنَـــمَّ قِصَـــامِ

74 فَـــرُّوا وَلاَ لَـــوْمٌ وَكَيْـــفَ يُـــلاَمُ مَـــنْ يَطْـــوِي الْمَرَاحِـــلَ خَـــوْفَ بَحْـــرٍ طَـــامِ

75 أَخْمَـــدْتَ نَـــارَهُمْ بِنَـــارِ أَسِـــنَّةٍ وَحَسَـــمْتَ دَاءَهُـــمْ بِكُـــلِّ حُسَـــام

76 وَقَصَـــمْتَ عُقْـــدَةَ جَمِعِهِـــمَ فَتَفَرَّقُـــوا أَيْـــدِي سَـــبَا فِـــي الْبِيـــدِ وَالْآكَـــامِ

77 وَنَقَضْـــتَ مَـــا قَـــدْ أَبْرَمُـــوهُ فَلَـــنْ يُـــرَى أَبَـــدًا لِـــذَاكَ الـــنَّقْضِ مِـــنْ إِبْـــرَامِ

78 لَـــوْلاَ الَّـــذِي آثَـــرْتَ مِـــنْ إِبْقَـــائِهِمْ لَـــمْ يُصْـــبِحُوا الْأَرْوَاحَ فِـــي الْأَجْسَـــامِ

79 مَـــوْلاَيَ حُـــزْتَ مَعَـــانِيَ الْمَجْـــدَ الَّـــذِي مَـــا حَـــازَ غَيْـــرُكَ مِنْـــهُ غَيْـــرَ أَسَـــامِي

80 فَاسْـــلَمْ أَمِيـــرَ الْمُسْـــلِمِينَ مُؤَيَّـــدًا فِـــي غِبْطَـــةٍ مَوْصُـــولَةٍ بِـــدَوَامِ

81 دَامَـــتْ عُـــلاَكَ فَلَـــيْسَ مِثْلُـــكَ فِـــي الْعُـــلاَ سَـــامٍ وَلاَ لَـــكَ فِـــي الْمُلُـــوكِ مُسَـــامِ

82 وَاسْـــعَدْ بِـــدَهْرٍ نَحْـــوَ أَمْـــرِكَ يَنْتَهِـــي وَإِلَيْـــكَ يُلْقَـــى طَائِعًـــا بِزِمَـــامِ

83 وَاقْطَـــفْ مِـــنْ ٱلأَشْـــعَارِ رَوْضًـــا جَـــادَهُ مِـــنْ جُـــودِكَ ٱلفَيَّـــاضِ صُـــوْبُ غَمَـــامِ

84 رَوْضٌ كَـــانَ ثَنَـــاكَ فِـــي أَثْنَائِـــهِ عَـــرْفُ الصِّـــبَا وَحُـــلاَكَ زَهْـــرُ كِمَـــامِ

85 وَإِلَيْـــكَ مِـــنْ سِـــحْرِ الْبَيَـــانِ بَـــدَائِعًا قَصَـــرَ ٱلْخُطَـــا عَنْهَـــا أَبُـــو تَمَّـــامِ

86 هِـــيَ بِنْـــتُ فِكْـــرٍ مِـــنَ حَلاَكُـــمْ حُلِيَـــتْ بِنِظَـــامِ دُرٍّ أَوْ بِـــدُرِّ نِظَـــامِ

87 حَسُـــنَتْ بِمَـــدْحِكَ فَهِـــيَ خَيْـــرُ لَـــذَّاتِهَا شَـــهِدَتْ بِـــذَلِكَ أَلْسُـــنُ ٱلأَنَـــامِ

88 خُتِمَـــتْ بِـــذِكْرِ ٱلمُصْـــطَفَى فَكَأَنَّهَـــا نَفَحَـــاتُ مِسْـــكٍ عِنَـــدَ فَـــضِّ خِتَـــامِ

89 صَـــلَى عَلَيْـــهِ مَـــنْ اصْـــطَفَاهُ كَرَامَـــةً أَزْكَـــى صَـــلاَةً شُـــفِّعَتْ بِسَـــلاَمِ

ذكـر الحمـى* من بحر الكامل

1 ذُكْـــرَ ٱلحِمَـــى فَتَضَـــاعَفَتْ أَشْـــجَانُهُ شَـــوْقًا وَضَـــاقَ بِسِـــرِّهِ كِتْمَانُـــهُ

2 دَنِـــفٌ تَـــذَكَّرَ مِـــنْ عُهُـــودِ وِدَادِهِ مَـــا لَـــمْ يَكُـــنْ مِنْ شَـــأْنِهِ نِســـيَانُهُ

3 يَهْفُـــو لِبَـــرْقِ ٱلأَبْـــرَقَيْنِ تَعَلُّـــلاً وَٱلقَلْـــبُ مِنْـــهُ دَائِـــمٌ خَفَقَانُـــهُ

4 وَيُسَـــائِلُ الرُّكْبَـــانُ عَـــنْ ذَاكَ ٱلحِمَـــى فَتُثِيـــرُ كَـــامِنَ وَجْـــدِهِ [1] رُكْبَانَـــه

5 وَيَـــرُومُ سُـــلْوَانُ الْهَـــوَى فَيُجِيبُـــهُ إِنَّ ٱلمُحِـــبَّ مُحَـــرَّمٌ سُـــلْوَانُهُ

6 وَيَشُـــوقُهُ مَـــرُّ الْنَّسِـــيمِ إِذَا سَـــرَى مِـــنْ نَحْـــوِ طِيبَـــةَ طَيِّبًـــا أَرْدَانُـــهُ

7 أَتُـــرَى أَرَى وَادِي ٱلعَقِيـــقِ وَرَامَـــةً وَيَلُـــوحُ لِـــي رَنْـــدُ الْحِجَـــازِ وَبَانُـــهُ

8 وَأُعَـــابِنُ ٱلحَـــرَمَ الشَّـــرِيفَ فَتَنْجَلِـــى [2] عَـــنْ قَلْـــبِ صَـــبٍّ مُـــذْنَفٍ أَشْـــجَانُهُ

9 وَأَطُـــوفُ بِالْبَيْـــتِ الْعَتِيـــقِ وَيَعْتَلِـــي بِـــي لاسْـــتَلاَمِ الـــرُّكْنِ شَـــاذٍ رَوَانُـــهُ

10 وَفَـــدَتْ عَلَيْـــهِ رُكَّـــابُ أَرْبَـــابِ التُّقَـــى وَٱلمُـــذْنِبُ الْخَطَّـــاءُ كَـــفَّ عِنَانُـــهُ

11 مَـــنْ لِـــي بِـــزَوْرَةِ رَوْضَـــةِ ٱلهَـــادِي الَّـــذِي رَحِـــمُ ٱلوُجُـــودِ بِبَعْثِـــهِ رَحْمَانُـــهُ

---

* الأبيات من 1 إلى 58 في البغية ج 2 ، ص من 44 إلى 47..

والأبيات من 1 إلى 29 ومن 53 إلأى 58 في نحلة اللبيب، ص من 132 إلى ص 133.

والأبيات من 1 إلى 56 في زهر البستان، ورقة 61،62.

[1] - في الزهر جده

[2] - في زهر البستان (وينجلي)

12 اْلمُصْـــــطَفَى خَيْـــــرَ اْلبَرِيَّـــــةِ كُلِّهَـــــا وَأَجَلُّهَـــــا قَـــــدْرًا تَعَـــــاظَمَ شَـــــأْنُهُ

13 هُـــــوَ خَـــــاتَمُ الرُّسْـــــلِ الْمَكِـــــينِ مَكَانُـــــهُ وَهُـــــوَ اْلمُقَـــــدَّمُ وَاْلأَخِيـــــرُ زَمَانُـــــهُ

14 وَهُـــــوَ الَّـــــذِي مَـــــدَّ النُّبُـــــوَّةَ وَاْلهُـــــدَى شَـــــرَفٌ حَـــــوَاهُ فُـــــؤَادُهُ وَلِسَـــــانُهُ

15 عُنْـــــوَانُ طِـــــرْسُ اْلأَنْبِيَـــــاءِ خِتَامُـــــهُ وَاْلطِّـــــرْسُ يُكْمِـــــلُ حُسْـــــنُهُ عُنْوَانُـــــهُ

16 لَـــــوْلاَهُ مَـــــا وُجِـــــدَ اْلوُجُـــــودُ سَـــــمَاؤُهُ أَوْ أَرْضُـــــهُ أَوْ إِنْسُـــــهُ أَوْ جَانُـــــهُ

17 فَجَمِيـــعُ مَـــا فِـــي الْكَـــوْنِ كَـــانَ ِلأَجْلِـــهِ [1] شَـــرَفُ اْلوُجُـــودِ بَـــانَ فِيـــهِ كَيَانُـــهُ

18 فَالـــــدَّهرُ أُفْـــــقٌ أَحْمَـــــدٌ أَمْـــــدَا حُـــــهُ وَاْلخَلْـــــقُ جَفْـــــنٌ أَحْمَـــــدُ إِنْسَـــــانُهُ

19 بِعُلَـــــوِّهِ فَـــــوْقَ السَّـــــمَاوَاتِ الْعُلَـــــى وَبِقَـــــابِ قَوْسَـــــيْنِ اسْـــــتَبَانَ رِكَانُـــــهُ

20 مَـــــاذَا عَسَـــــى يُثْنِـــــي عَلَيْـــــهِ مَـــــادِحُ وَبِمَدْحِـــــهِ نَصَّـــــا أَتَـــــى فُرْقَانُـــــهُ

21 عَجِـــــزَ النِّظَـــــامِ عَـــــنِ الْوَفَـــــاءِ بِمَدْحِـــــهِ إِذْ لاَ يَصِـــــحُّ لِنَـــــاظِمٍ إِمْكَانُـــــهُ

22 فَأَعِـــــدْ عَلَـــــى اْلمُشْـــــتَاقِ ذِكْـــــرَ مُحَمَّـــــدٍ يَـــــزْدَدْ بِـــــهِ إِيمَانُـــــهُ وَأَمَانُـــــهُ

23 يَـــــا حَـــــادِيَ الرُّكْبَـــــانِ نَحْـــــوَ مَحَلِّـــــهِ تَ ْلِـــوي إِلَـــى عَلَـــمِ اللِّـــوَى أَظْعَانُـــهُ

24 إِنْ جِئْـــــتُ أَرْضَ مِنًـــــى وَبَلَّغْـــــتَ اْلمُنَـــــى وَحَلَلْـــــتَ رَبْعًـــــا شُـــــرِّفَتْ سُـــــكَّانُهُ

25 أُبَلِـــغُ مِـــنَ اْلمَـــوْلَى أَبِـــي حَمَـــوِ الرِّضَـــى اْلمُعْتَلِـــي فِـــي كُـــلِّ فَضْـــلٍ شَـــأْنُهُ

---

[1] - في زهر البستان (من أجله)

26 أَزْكَـــــى سَـــــلاَمٍ لِلنَّبِـــــيِّ مُحَمَّـــــدَ كَـــالرَّوْضِ صَـــافَحَ رُوحَـــهُ رَيْحَانُـــهُ

27 فَهُـــوَ الَّـــذِي حُـــبُّ النَّبِـــيُّ وَآلِـــهِ مَـــازَالَ مُنْطَوِيًـــا عَلَيْـــهِ جَنَانُـــهُ

28 كَـــمْ قَـــامَ مُعْتَنِيًـــا بِمَوْلِـــدِهِ وَكَـــمْ سَـــهِرَتْ بِـــهِ شَـــرَفًا لَـــهُ أَجْفَانُـــهُ

29 يَرْجُـــو شَـــفَاعَتَهُ وَسَـــوْفَ يَنَالُهَـــا وَيَنَالُـــهُ مَـــنْ رَبِّـــهِ رِضْـــوَانُه

30 زَانَ ٱلْخِلاَفَـــةَ بِالْمَكَـــارِمِ وَالنَّـــدَى مَلِـــكٌ نَمَـــاهُ إِلَـــى ٱلْعُلَـــى زِيَانُـــهُ

31 وَحَمَـــى حِمَاهَـــا بِالصَّـــوَارِمِ وَٱلْقَنَـــا يَـــوْمَ ٱلْكِفَـــاحَ إِذَا ٱلْتَقَـــتْ فُرْسَـــانُهُ

32 مُوسَـــى بْـــنُ يُوسُـــفَ لاَ نَظِيـــرَ لِمَجْـــدِهِ مَجْـــدٌ يُـــزَيِّنُ حُسْـــنُهُ إِحْسَـــانُهُ

33 مِـــنْ آلِ زَيَّـــانَ ٱلأُلَـــى زَانُـــوا ٱلعُلَـــى فَٱلمُلْـــكُ إِرْثُهُـــمْ وَهُـــمْ تِيجَانُـــهُ

34 مَلِـــكٌ يَسُـــوسَ بِرَأْيِـــهِ كُـــلَّ ٱلـــوَرَى فَكَأَنَّـــهُ رُوْحٌ وَهُـــمْ جُثْمَانُـــهُ

35 مَلِـــكٌ أَعَـــادَ الْمُلْـــكَ بَعْـــدَ دُثُـــورِهِ لَـــوْلاَهُ لَـــمْ يَثْبُـــتْ لَهُـــمْ أَرْكَانُـــهُ

36 مَلِـــكٌ وَحِيـــدٌ فِـــي ٱلمَعَـــالِي مَالُـــهُ إِلاَّ الْمَكَـــارِمُ وَالتُّقَـــي خِلاَّنُـــهُ

37 مَهْمَـــا يَجُـــدْ فَٱلغَيْـــثُ دُونَ عَطَائِـــهِ مَـــا إِنْ يُعَـــارِضُ جُـــودَهُ هَتَّانُـــهُ

38 وَٱلْجُـــودَ يَنْفَـــعُ فِـــي ٱلوُجُـــودِ دَوَامُـــهُ وَٱلغَيْـــثُ لَـــيْسَ بِنَـــافِعٍ إِدْمَانُـــهُ

39 مَلِـــكٌ تَخَـــافُ ٱلأُسْـــدُ سَـــطْوَتُهُ إِذَا حَمِـــيَ ٱلـــوَطِيْسُ وَضَـــمَّهُمْ مَيْدَانُـــهُ

40 وَخَفِـــيَ النَّهَـــارَ بِلَيْـــلِ نَقْـــعٍ أَغْبَـــرُ وَبَـــدَتْ كَمِثْـــلِ نُجُومِـــهِ خُرْصَـــانُهُ

41 تَلْقَـــى ٱلْخَلِيفَـــةَ عِنْـــدَ ذَلِـــكَ بَاسِـــمًا يُفْنِـــي الطُّغَـــاةُ ضِـــرَابُهُ وَطِعَانُـــهُ

42 وَحُسَـــــامُهُ يَنْهَـــــلُّ بِالـــــدَّمِ كُلَّمَـــــا أَضْـــــحَى يُضَـــــاحِكُ دُرُهُ عُقْيَانُـــــهُ

43 فَكَأَنَّـــــــهُ رَوْضٌ تَفَـــــــتَّحَ زَهْـــــرُهُ وَدَمُ الْعِـــدَى فِـــي صَـــفْحِهْ نُعْمَانُـــهُ

44 سَـــيْفٌ شُـــعَاعُ الشَّـــمْسِ دُونَ فِرِنْـــدِهِ مَهْمَـــا تَـــأَلَّقَ سَـــاطِعًا لَمَعَانُـــهُ

45 أَمْنَـــــتْ تِلِمْسَـــــانُ مَخَاوِفَهَـــــا بِـــــهِ فَلَقَـــدْ حَمَاهَـــا سَـــيْفُهُ وَسَـــنَانُهُ

46 مَلِـــــكٌ سَـــــعِيدٌ لاَ يُعَانِـــــدُ مُلْكَـــــهُ إِلاَّ شَـــقِيٌّ قَـــدْ دَنَـــا خُسْـــرَانُهُ

47 مَلِـــــكٌ تُقِـــــرُ لَـــــهُ الْمُلُـــــوكُ بِأَنَّـــــهُ مَـــوْلاَهُمُ الْأَسْـــنَى وَهُـــمْ عُبْدَانُـــهُ

48 مُتَوَكِّـــلٌ أَبَـــدًا عَلَـــى مَـــوْلاَهُ فِـــي عُلْيَـــاهُ وَافَـــقَ سِـــرَّهُ إِعْلاَنُـــهُ

49 حَكَمَـــتْ لَـــهُ الْكُتُـــبُ الْقَدِيمَـــةُ أَنَّـــهُ سَيُشِـــيدُ مُلْكًـــا شَـــامِخًا بُنْيَانُـــهُ

50 مِـــنْ نَحْـــوِ أَرْضِ الَّـــزابِ يَقْـــدُمُ طَالَبًـــا ثَـــارًا وَمِـــنْ أَنْصَـــارِهِ عُرْبَانُـــهُ

51 فَيُمَهِّـــدُ الـــدُّنْيَا وَيَمْـــتَهِنُ الْعِـــدَى وَجَمِيـــعُ ذَلِـــكَ قَـــدْ بَـــدَا بُرْهَانُـــهُ

52 أَدْنَـــى الْـــبِلاَدَ إِلَيْـــهِ عَـــزْمٌ صَـــادِقٌ فَـــالنُّجْحُ مَوْقُـــوفٌ عَلَيْـــهِ ضَـــمَانُهُ

53 لاَزَالَ فِـــي الْعِـــزِّ الْمُكِـــينِ مُرَفَّعًـــا وَالـــنَّجْمُ عَنْـــهُ كَلِيلَـــةٌ أَجْفَانُـــهُ

54 وَإِلَيْـــكَ يَـــا خَيْـــرَ الْمُلُـــوكِ قَصِـــيدَةً كَالسِّـــلْكِ فَصَّـــلَ دُرَّهُ مَرْجَانُـــهُ

55 مِـــنْ نَـــاظِمٍ سَـــحِرَ الْبَيَـــانِ بَـــدَائِعًا لَكِـــنْ يُقَصِّـــرُ عَـــنْ حُـــلاَكَ بَيَانُـــهُ

56 لاَ يَسْـــتَوِي حُـــرُّ الْكَـــلاَمِ وَعَبْـــدُهُ يَوْمـــاً وَ لاَ حَصْـــبَاؤُهُ وَجُمَانُـــهُ

57 وَٱلْعَبْـــدُ مِـــنْ مَـــوْلاَهُ يَلْـــتَمِسُ الرِّضَـــى إِنَّ الْخَلِيفَـــةَ شَـــامِلٌ إِحْسَـــانُهُ

58 لاَزَالَ مَوْلاَنَـــا أَبُـــو حَمَـــوٍ حِمًـــى لِلْمُلْـــكِ دَامَ مُؤَيَّـــدًا سُـــلْطَانُهُ [1]

59 لِشَـــهْرِ رَبِيـــعٍ فِـــي ٱلشُّـــهُورِ فَضِـــيلَةٌ وَمَكْرُمَـــةٌ خَيْـــرُ الزَّمَـــانِ بِهَـــا حَـــالِ

60 وَمَـــا ذَاكَ إِلاَّ فِيـــهِ بَـــدَا لَنَـــا نَبِـــيٌّ كَـــرِيمٌ طَيِّـــبُ ٱلْقِيـــلِ وَٱلْقَـــالِ

61 نُجَيْنَـــا بِـــهِ مِنْ كُـــلِّ خَطْـــبٍ يُرَوِعُنَـــا وَأَنْقَـــذَنَا مِـــنْ كُـــلِّ خَـــوْفٍ وَأَوْجَـــالِ

62 فَمَـــنْ ظَـــنَّ أَنْ يُحْصِـــي فَضَـــائِلَ أَحْمَـــدٍ فَـــذَلِكَ شَـــيْءٌ لاَ يَمُـــرُّ عَلَـــى بَـــالِ

63 نَبِـــيٌّ بِـــهِ سُـــدْنَا عَلَـــى كُـــلَّ أُمَّـــةٍ فَـــلاَ أُمَّـــةٌ إِلاَّ لَنَـــا تَحْـــتَ إِذْلاَلِ

64 لِمَوْلِـــدِهِ نُـــورٌ عَلَـــى ٱلأَرْضِ قَـــدْ بَـــدَا غَـــدَا دُونُـــهُ بَـــدْرُ الـــدُّجَى بَعْـــدَ إِكْمَـــالِ

65 سَـــرَى بِـــهِ اللهُ ٱلعَـــرْشَ وَاللَّيْـــلُ قَـــدْ بَـــدَا مِنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلأَقْصَـى إِلَـى ٱلْمَنَـزِلِ ٱلْعَـالِ

66 بِأَمْدَاحِـــهِ يَـــا نَفْـــسُ لُـــوذِي فَإِنَّهَـــا شِـــفَاءُ فِـــي الـــذُّنُوبِ

67 عَلَيْـــهِ صَـــلاَةٌ تَمْـــلأُ ٱلأَرْضَ وَالسَّـــمَا يَحُـــطُّ بِهَـــا وِزْرِى يُخَفِّـــفُ أَثْقَـــالِي

---

[1] - في البغية ونحلة اللبيب تقف القصيدة في هذا البيت. بينما في زهر البستان نجده يكمل القصيدة مباشرة مع تغير حرَف الروي وهو اللام، والبحر وهو الطويل.

68 وَبَـــدَا رَضَـــى عَنْـــهُ عِتْرَتُـــهُ مَعًـــا وَأَصْـــحَابِهِ أَهْـــلُ الْفَضَـــائِلِ وَالْأَلِ

69 أَلاَّ فَاسْـمَعُوا النُّصْـحَ الَّـذِي هُـوَ وَاجِـبٌ فَنُصْـحِي إِيمَـانِي وَأَفْضَـلُ أَعْمَـالِي

70 أَنِيبُـــوا أَجِيبُـــوا لِلْخَلِيفَـــةِ إِنَّـــهُ لِخَيْـرِ إِمَـامٍ فِـي ذُرَى شَـرَفٍ عَـالِ

71 إِمَـــامٌ سَـــرَى زَادَهُ اللهُ رِفْعَـــةً وَفَضْـلُهُ فِـي الْقَبْـلِ وَالْبَعْـدِ وَالْحـالِ

72 تِلِمْسَـــانُنَا أَضْـــحَتْ بِـــهِ وَبِيُمْنِـــهِ تَتِيـــهُ عَلَـــى كُـــلِّ الْـــبِلاَدِ بِـــإِذْلاَلِ

73 فَـــذَاكَ أَمِيـــرُ الْمُـــؤمِنِينَ لَنَـــا بِـــهِ سُمُوٌّ عَلَـى مَـنْ كَـانَ فِـي الـزَّمَنِ الْخَـالِ

74 أَتَانَـــا بِجَـــيْشٍ مِـــنْ رِمَـــاحٍ..... وَمَـا كَـانَ فِيهَـا مِـنْ مُلُـوكٍ وَإِقْبَـالِ

75 حُمَـــاهُ سُـــرَاةٌ أَهْـــلَ بَـــأْسٍ وَنَجْـــدَةٍ أُسُـــودُ عَـــرِينٍ حَامِيَـــاتٍ ِلأَشْـــبَالِ

76 أَطَـــاحُوا بِنَـــا مِـــنْ كَـــلِّ أَوْبٍ وَوُجْهَـــةٍ كَمَثَـــلِ سِـــوَارٍ أَوْ كَحَلْقَـــةِ خَلْخَـــالِ

77 هُنَـــاكَ رَأَيْنَـــا الْمَـــوْتَ فَـــوْقَ نُحُورِنَـــا سُـــيُوفًا وَأَرْمَاحًـــا كَأَنِيَـــابِ أَغْـــوَالِ

78 وَطَاشَـتْ عُقُـولُ النَّـاسِ مِـنْ هَـوْلِ مَـا رَأَوْ وَلَـــمْ يَـــكُ فِينَـــا لاَ خَلِيًّـــا وَلاَسَـــالِ

79 وَبِتْنَـــا وَعَـــمَّ الْيَـــأْسُ مِنَـــا عَلَـــى الرَّجَـــا وَقُلْـتُ أَيَـا نَفْسِـي دَنَـا مِنْـكَ تَرْحَـالِي

80 وَلَـــمْ يُغْـــنِ عَنَـــا جَمْعُنَـــا وَجُنُودُنَـــا وَمَـا كَـانَ فِيهَـا مِـنْ رُمَـاةٍ وَأَبْطَـالِ

81 فَلَمَّـــا رَأَيْنَـــا ٱلأَمْـــرَ شُـــدَّ نِطَاقُـــهُ وَلاَ حِيلَـــةٌ فِينَـــا تَبِـــينُ اِحْتِـــالَ

82 غَـــدَا نَحْـــوَهُ سَـــادَتُنَا وَوَزِيرُنَـــا وَبَعْـــضُ أُنَـــاسٍ فِـــي خُضُـــوعٍ وَإِذْلاَلِ

83 وَقَـــالُوا اغْتَفِـــر يَـــا أَكْـــرَمَ النَّـــاسِ ذَنْبَنَـــا فَكَـــمْ مِـــنْ نِسَـــاءٍ بَاكِيَـــاتٍ وَأَطْفَـــالِ

84 فَمَـــالِ إِلَـــى ٱلعَفْـــوِ الَّـــذِي هُـــوَ أَهْلُـــهُ وَمَـــنْ عَلَيْنَـــا بِـــالنُّفُوسِ وَبِالمَـــالِ

85 فَـــنَحْنُ بِـــهِ فِـــي طِيـــبِ عَـــيْشٍ وَغِبْطَـــةٍ وَتَجْدِيـــدِ أَفْـــرَاحٍ وَفُسْـــحَةِ آمَـــالِ

86 قَبَائِـــلُ عَبْـــدِ الْـــوَادِ سَـــعْدُكُمْ بِـــهِ وَدَوْلَـــتُكُمْ عَـــادَتْ إِلَـــى أَشْـــرَفِ الْحَـــالِ

87 وَلَسْـــتُ أَرَاهَـــا تَنْقَضِـــي عَـــنْكُمُ وَلاَ تَزَالُـــونَ فِيهَـــا فِـــي نَعِـــيمٍ وَإِفْضَـــالِ

88 وَمُوسَـــى أَمِيـــرُ الْمُسْـــلِمِينَ مُؤَيَّـــدُ بِنَصْـــرٍ وَتَمْكِـــينٍ وَيُمْـــنٍ وَإِقْبَـــالِ

89 فَهَـــا أَنَـــا مُـــذْ بَايَعْتُـــهُ وَخَدَمْتُـــهُ أَجُـــرُّ عَلَـــى أَهْـــلِ الْبَسِـــيطَةِ أَذْيَـــالِ

90 وَأَطْلُـــبُ نَفْسِـــي بِـــالْوُقُوفِ بِبَابِـــهِ لِيَرْفَـــعَ مِـــنْ شَـــأْنِي وَيُصْـــلِحُ مِـــنْ حَـــالِ

91 وَأَجْعَـــلُ أَسْـــرُجُ إِلَيْـــهِ وَسَـــائِلِي فَـــذَلِكَ أَوْلَـــى لِـــي وَذَلِـــكَ أَسْـــمَى لِـــي

نذير الشيب* من بحر البسيط

1 أَقْصِـــرْ فَـــإِنَّ نَـــذِيرُ الشَّـــيْبِ وَافَـــانِي وَانْكَرَتْنِـــي الْغَـــوَانِي بَعْـــدَ عِرْفَـــانِ

2 وَقَـــدْ تَمَادَيْـــتُ فِـــي غَـــيٍّ بِـــلاَ رَشَـــدٍ وَالـــنَّفْسُ تَـــأْمُرُنِي وَالشَّـــيْبُ يَنْهَـــانِي

3 فَقُلْـــتُ لِلـــنَّفْسِ إِذْا طَالَـــتْ بَطَالَتُهَـــا مَهْـــلاً أَلَـــمْ يَـــأْنِ أَنْ تَخْشَـــى أَلَـــمْ يَـــانِ

4 كَمْ مِنْ خُطَى فِي الْخَطَايَا قَد خَطَوْتُ وَلَمْ تُرَاقِبِـــى اللهِ فِـــي سِـــرٍّ وَإِعْـــلاَنِ

5 فَـــلاَ تَغُرَّنَّـــكَ الـــدُّنْيَا بِزُخْرُفِهَـــا فَيَـــا نَدَامَـــةَ مَـــنْ يَغْتَـــرُّ بِالْفَـــانِى

6 فَلَـــيْسَ فِيهَـــا وِصَـــالٌ دُونَ هِجْـــرَانٍ وَلَـــيْسَ فِيهَـــا كَمَـــالُ دُونَ نُقْصَـــانِ

7 وَاسْـــلُكْ سَـــبِيلاً إِلَـــى التَّقْـــوَى لِتَقْـــوَى بِهَـــا عَلَـــى السُّـــلُوكِ إِلَـــى جَنَّـــاتِ رِضْـــوَانِ

8 وَانْهَـــضْ لِمَغْنَـــى رَسُـــولِ اللهِ تَحْـــظَ بِمَـــا تَشَـــاءُ مِـــنْ خَيْـــرِ أَوْطَـــارٍ وَأَوْطَـــانِ

9 وَارْكَـــبْ إِلَيْـــهِ جَـــوَادَ الْجِـــدِّ مُجْتَهِـــدًا وَلاَ تَكُـــنْ فِـــي السُّـــرَى وَالسَّـــيْرِ بِـــالْوَانِي

---

* الأبيات من 1 إلى 61 في البغية ج 2، ص من 226 إلى 230.

والأبيات من 1 إلى 16 في نحلة اللبيب، ص 146 إلى 149.

10 يَـامُزَمِعَ السَّـيْرِ نَحْـوَ الْمُصْـطَفَى عَجِـلاً يَحْـــدُو إِلَيْـــهِ بِأَحْـــدَاجٍ وَأَظْعَـــانِ

11 بَلِّـــغْ تَحِيَّـــةً مُشْـــتَاقٍ لِرَوضَـــتِهِ إِنَّ الطَّلِيـــقَ يُـــؤَدِي حَاجَـــةَ الْعَـــانِي

12 وَإِنْ رَأَيْـتَ الْمُصْـطَفَى قِـفْ وَحَـالِي صِـفْ الْجِيـــرَةَ بِـــالْحُمَى هُـــمْ خَيْـــرُ جِيـــرَانِ

13 وَقُـــلْ لَهُـــمْ ضَـــاعَ قَلْبِـــي فِـــي رِحَـــالِكُمْ فَسَـــاعِدُونِي وَلَـــوْ قِـــيلاَ بِنِشْـــدَانِ

14 فَمَـــا وَجَـــدْتُ سِـــوَى وَجْـــدٍ أُكَابِـــدُهُ وَلاَ فَقَـــدْتُ سِـــوَى صَـــبْرِي وَسُـــلْوَانِي

15 عِنْـــدِي لَطِيبَـــةَ أَشْـــوَاقٌ مُضَـــاعَفَةٌ أَذَبْـــنَ قَلْبِـــي وَقَـــدْ أَنْحَلْـــنَ جُثْمَـــانِي

16 مَهْمَـــا تَـــذَكَّرْتُ بُعْـــدِي عَـــنْ مَعَاهِـــدِهَا سَـــحَّتْ بَوَابِـــلُ دَمْعِـــي سُـــحْبُ أَجْفَـــانِي

17 عَلَيـــلُ نَسْـــمَتِهَا يُبْـــرَى الْعَلِيـــلُ بِـــهِ لَـــوْ عَـــادَنِي بَعْـــدَ أَحْيَـــانٍ لأَحْيَـــانِي

18 فَيَـا نَسِـيمًا سَـرَى فِـي الطِّيـبِ مُغْمِسًـا مُجَـــرِّرًا ذَيْلَـــهُ فِـــي كُـــلِ بُسْـــتَانِ

19 مُغَـــازِلاً لِخُـــدُودِ الْـــوَرْدِ يَلْثُمُهَـــا مُلاَعِبًـــا لِقُـــدُودِ الرَّنْـــدِ وَالْبَـــانِ

20 مُصَـــاحِبًا لِرَيَـــاحِينِ الرُّبَـــى سَـــحَرًا وَسَـــاحَبًا مِـــنْ عَلَيْهَـــا فَضْـــلُ أَرْدَانِ

21 قَبِّـــلْ ثَـــرَى رَوْضَـــةٍ حَـــلَّ الْحَبِيـــبُ بِهَـــا بَـــلْ جَنَّـــةٍ عَرْفُهَـــا رُوحِـــي وَرَيْحَـــانِي

22 وَقُـــلْ غَرِيـــبُ بِأَقْصَـــى الْغَـــرْبِ أَقْصِـــدُهُ سَـــهْمُ الْبِعَـــادِ فَهَـــلْ لِلْقُـــرْبِ مِـــنْ آنِ

23 نَـــائِي الْمَحَـــلِّ بَعِيـــدَ الـــدَّارِ شَاسِـــعُهَا هَـــامِي الْجُفُـــونِ مَشُـــوقٌ رَهْـــنَ أَشْـــجَانِ

24 فُـــؤَادُهُ صُـــحْبَةَ الرُّكْبَـــانِ مُرتَجِـــلٌ لِطِيبَـــةٍ وَهُـــوَ ثَـــاوٍ فِـــي تِلِمْسَـــانِ

25 لاَ يَعْـــذُبُ الْـــوِرْدُ إِلاَّ بِالْعَـــذِيبِ لَـــهُ وَلاَ نَعِـــيمَ لَـــهُ إِلاَّ بِنُعْمَـــانِ

26 يَـا أَفْضَـلَ الْخَلْـقِ مِـنْ عُـرْبٍ وَمِـنْ عَجَـمٍ وَخَيْـــرَ آتٍ بِآيـــاَتٍ وَفُرْقَـــانِ

27 عَسَـاكَ يَـا خَيْـرَ خَلْـقِ اللهِ تَشْـفَعُ لِـي يَـوْمَ الْحِسَـابِ فَـإِنِي مُـذّنِبٌ جَـانِ

28 وَأَنْـتَ لِـي أَمَـلٌ إِذْ لَـيْسَ لِـي عَمَـلٌ مِـنْ التُّقَـى يَقْضِـي تَـرْجِيحَ مِيزَانِـي

29 لَعَـلَّ حُسْـنَ يَقِينِـي فِيـكَ يَمْنَحُنِـي شَـفَاعَةً وَيَقِينِـي لَفْـحَ نِيـرَانِ

30 دِينِـي عَلَـى الـدَّهْرِ حَـجُّ الْبَيْـتِ مُعْتَمِـرًا فَهَـلْ يُسَـاعِدُنِي دَهْـرِي بِإِمْكَـانِ

31 وَزَوْرَةٌ لِرَسُـولِ اللهِ مُلْتُحِمًـا ذَاكَ الضَّـرِيحُ الَّـذِي بِـالنُّورِ يَغْشَـانِي

32 وَأَيُّ عُـذْرٍ لِقَلْـبٍ لاَ يَحِـنُّ لَـهُ وَالْجِـذْعُ حَـنَّ لَـهُ تَحْنَـانَ لَهْفَـانِ

33 وَالْبَـدْرَ شُـقَّ لَـهُ وَالضَّـبُ كَلَّمَـهُ وَالظَّبْـيُ وَالـذِّئْبُ تَكْلِيمًـا بِتِبْيَـانِ

34 وَفَـاضَ يَنْبُـوعُ مَـاءٍ مِـنْ أَنَامِلِـهِ بِـوَرْدِهِ الْعَـذْبِ رَوَى كُـلُّ ظَمْـآنِ

35 أَعْلَـى الْـوَرَى مَـنْ سَـرَى لَـيْلاً لِخَالِقِـهِ بِمَالِـهِ مِـنْ عَـلاَءِ الْقَـدْرِ وَالشَّـانِ

36 أَعْظِـــمْ بِـــقَدْرِ رَسُـــولِ اللهِ حِـــينَ دَنَـــا مِـــنْ رَبِّـــهِ حَيْـــثُ لاَ قَـــاصٍ وَلاَ دَانِ

37 وَعَـــادَ قَبْـــلَ ظُهُـــورِ الْفَجْـــرِ مُنْقَلِبًـــا عَنْ قَـابِ قَوْسَيْنِ لَمْ يُخْصِصْ بِهَا ثَـانِ

38 كَـمْ مِـــنْ دَلاَئِـــلٍ لِلْمُخْتَـــارِ قَـــدْ حُسِـــبَتْ وَمِـــنْ فَضَائِـــلٍ لاَ تُحْصَـــى بِحُسْبَـــانِ

39 بِبَعْـــثِهِ نَطَقَـــتْ مِـــنْ قَبْـــلِ مَـــوْلِدِهِ فِـــي الْكُتُـــبِ أَخْيَـــارُ أَحْبَـــارٍ وَرُهْبَـــانِ

40 وَفِـــي رَبِيـــعِ رُبُـــوعٍ لِلْهُـــدَى عَمَـــرَتْ وَرَحْمَـــةٍ ظَهَـــرَتْ لِلإِنْـــسِ وَالْجَـــانِ

41 يَـا شَهْـرُ أَطْلَعْـتَ فِـي أُفُـقِ الْهُـدَى قَمَـرَا كَمَالَـــهُ غَيْـــرُ مَوْسُـــومٍ بِنُقْصَـــانِ

42 فَالسَّعْـــدُ مُقْـــتَبِلٌ وَالْعِـــزُّ مُتَّصِـــلُ وَالدَّهْـــرُ مُحْتَفِـــلٌ فِـــي زِيِّ جِـــذْلاَنِ

43 وَالْمُـــلْكُ مُبْتَسِـــمٌ بِالْبِشْـــرِ مُتَّسِـــمٌ مُـذْ قَـامَ بِالْعَـدْلِ فِـيهِ خَيْـرُ سُـلْطَانِ

44 أَفَـــاضَ فِـــي مَوْلِـــدِ الْمُخْـــتَارِ نَائِلُـــهُ فَانْظُـــرْ إِلَـــى مُلْتَقَـــى حُسْـــنٍ وَإِحْسَـــانِ

45 مُـــوسَى الْخَلِيفَـــةُ وَالإِجْمَـــاعُ مُنْعَقِـــدٌ عَلَيْـــهِ لَـــمْ يَخْتَلِـــفْ فِـــي فَضْـــلِهِ اثْنَـــانِ

46 كَأَنَّـــهُ لِلْـــوَرَى رُوحٌ وَهُـــمْ جَسَـــدٌ وَلاَ حَيَـــاَةَ بِـــلاَ رُوحٍ لِجُثْمَـــانِ

47 لَـــهُ وَقَـــارٌ نَهَـــى فِـــي طَيِّـــهِ فِطَـــنُ إِنَّ بِرُسُـــلِ الظَّـــنِّ يَـــأْتِيهِ بِإِيقَـــانِ

48 فِـــرَاسَةٌ مِـــنْ هِبَـــاتِ اللهِ صَادِقَـــةٌ يَـــرَى الْمُغَيِّـــبُ مِـــنْ سِـــرٍّ كَإِعْـــلاَنِ

49 تَنْهَاهُ عِفَّتُهُ عَنْ أَمْرِ بَطْشَتِهِ يَرْعَى الرَّعَايَا بِعَيْنِ العَاطِفِ الحَانِي

50 فَالْحَقُّ فِي الْخَلْقِ جَارٍ فِي إِيَالَتِهِ مُسْتَضْعَفٌ وَقَوِيٌّ فِيهِ سِيَانِ

51 أَعَادَ دَوْلَةَ عَبْدِ الْوَاِد ثَانِيَةً حَتَّى اسْتَقَامَتْ بِأَسَاسٍ وَأَرْكَانِ

52 يَا نَاظِمَ الْمُلْكِ بِالْأَمْوَالِ يَنْثُرُهَا كَمْ كَفَّ كَفَاكَ مِنْ أَزَمَاتِ أَزْمَانِ

53 نَوَاتُكَ الْغَيْثُ إِلاَّ أَنَّ دِيَمَتَهُ صَوْبَانِ مِنْ وَرَقٍ مَحْضٍ وَعُقْيَانِ

54 وَجَيْشُكَ الْبَحْرُ لَكِنْ مِنْ عَجَائِبِهِ عُقْبَانُ خَيْلٍ عَلَيْهَا أُسْدُ فُرْسَانِ

55 تَفَرّ مِنْهُ شَيَاطِينُ الْعِدَا فِرَقًا تَنْقَضُّ مِنْهُ عَلَيْهِمْ شُهْبُ خُرْصَانِ

56 يَا بَاسِطَ الْعَدْلِ فِي أَهْلِ الْبَسِيطَةِ قَدْ طَوَيْتُمْ لِلأَعَادِي كُلَّ عُدْوَانِ

57 مَوْلاَيَ إِنْ نَدَعِ الْأَمْلاَكَ مَعْلُوَةً بِشُبْهَةٍ فَمَعَالِيكُمْ بِبُرْهَانِ

58 فَلَوْ رَأَى مَنْ مَضَى مَا شِدْتَ مِنْ كَرَمٍ لَمْ يَمْدَحِ الْمُتَنَبِّي آلَ حَمْدَانِ

59 إِلَيْكُهَا كَلِمَاتٍ لَوْ بِهَا سُمِعَتْ أَوْلاَدُ جَفْنَةَ قَالُوا شِعْرَ حِسَانِ

60 مَا مِثْلُ عَبْدِكَ فِي مَدَّاحِ مَجْدِكَ مِنْ مُثْنٍ وَلاَ لَكَ فِي الْأَفْلاَكِ مِنْ ثَانِ

61 فَدَامَ سَعْدُكَ يَا مَوْلاَيَ مُقْتَبِلاً مُجَدِّدًا كُلَّمَا عَادَ الْجَدِيدَانِ

شرف النفس* **من بحر الكامل**

1 شَـــرَفُ النُّفُـــوسِ طَلاَبِهَـــا لِعِلاَهـــا وَلِبَاسُـــهَا التَّقْـــوَى أَجَـــلُّ حُلاَهَـــا

2 فِيهَـــا تَنَـــالُ العِـــزَّ فـــي الـــدُّنْيَا إِذَا دَانَـــتْ بِهَـــا وَالفَـــوْزُ فِـــي أُخْرَاهـــا

3 فَـاخْلَعْ لَبُوسُـكَ مِـنْ سِـوَى ثَـوْب التُّقَـى مَـــا لِلنُّفُـــوسِ حِلًـــى سِـــوَى تقْوَاهَـــا

4 أُوصِـــي بِهَـــا نَفْسِـــي وَمَـــا مِـــنْ أُمَّـــةٍ إِلاَّ وَخَالِقُهَـــــا بِهَـــــا أَوْصَـــــاهَا

5 مَـنْ لِـي بِـنَفْسِ تَـدَّعِى طَلَـبَ العُلَـى قَـــوْلاً فَيُثْبِـــتُ فِعْلَهَـــا دَعْوَاهَـــا

6 مَـنْ لِـي بِـنَفْسٍ تَمْتَطِـي خَطَـرَ السُّـرَى لَتَـــرَى مُنَاهَـــا عِنْـــدَ خَيِـــفٍ مَنَاهَـــا

7 سَـــعِدْتَ إِذْ وَرَدَتْ نُفـــوُسُ زَمْزَمَـــا وَشَـــفِيَتْ بِمِنْهَلَهَـــا غَلِيـــلَ صَـــدَاهَا

8 وَبِسَـــعْيِهَا سَـــبْعًا لِيُقْبَـــلَ سَـــعْيُهَا مَـــا بَـــيْنَ مِرْوَتِهَـــا وَبَـــيْنَ صَـــفَاهَا

9 وَإِذَا هِـــيَ اعْتَرَفَـــتْ عَلَـــى عِرْفَاتِهَـــا غَفَـــرَتْ خَطَايَاهَـــا بِحَـــثٍّ خُطَاهَـــا

* الأبيات من 1 إلى 90 في نظم الدر والعقيان للتنسي، ص من 187 إلى 195.

10 طَــافَ الأَنَــامَ بِكَعْبَــةِ اللهِ الــتَّـِي لَــمْ يَجْعْــل البَيْــتَ الحَــرَامَ سِــوَاهَا

11 وَاخْتَارَهَــــا لِنَبِيِّـــــهِ فـــــي قَوْلِـــــهِ " لَنُوَلِـــــيَّنكَ قِبْلَـــــةً تَرْضَـــــاهَا "

12 طَــافُوا بِهَــا سَــبْعًا ومَهْمَــا قَــابَلُوُا رُكْـــنُ اليَمَـــانِي قَبَّلُـــوُا يُمْنَاهَـــا

13 وَلَــدَى صَــلاَتِهِمْ إِلَيْهَــا وَجَّهُــوا مِــنْ حَيْــثُ دَارُوا أَوْجُهًــا وَجِبَاهَــا

14 للهِ قَـــوْمٌ أَيْقَظُـــوا عَزَمَـــاتِهِمْ فَكَأَنَّهَــا شُــهْبٌ تُضِــيءُ دُجَاهَــا

15 وَصَلوُا السُّرَى بِالعِيسِ تَنْفَخُ فِي البَرَى وَفَلُــوُا بِأَيْــدِي الــيَعْمِلاَتِ فَلاَهَــا

16 وَإِلَــىَ الحِمَــى قَبْـلَ الحَمَـامِ بَسَـرَتْ بْهِـمْ ظَعْــنٌ يَسُــرُّ الظَّــاعِنِينَ سُــرَاهَا

17 نُجُــبٌ هَوَاهَــا فِــي الحِجَــازِ وَوِرْدِهَــا مَــاءُ العَــذِيب فَخَلِّهَــا وَهَوَاهَــا

18 تُغْنِيــكَ شِــدَّةُ شَــوْقِهَا عَــنْ سَــوْقِهَا فَــاخْلَعْ بَرَاهَــا فَــالْغَرَامُ بَرَاهَــا

19 أَوْ مــاَ تَرَاهَــا كَالْقِسِــيِّ ضَــوَامِرَا وَالرَّكْــبُ مِثْــلُ النَّبْــلِ فَــوْقَ ذُرَاهَــا

20 دَأَبُــوا عَلَــى السَّــيْرِ الحَثِيــثِ وَحَــثَّهُمْ شَــوْقٌ يَــذَُوذُ عَــنِ الجُفُــونِ كِرَاهَــا

21 حَتَّــى بَــدَا القَمَــرُ الَّــذِي لَــوْلاَهُ مَــا بَــدَتِ النُّجُــوُم وَلاَ بَــدَا قَمَرَاهَــا

22 قَمَــرُ بَيْثْــرِبَ أَشْــرَقَتْ أَنْــوَارُهُ حَتَّــى أَضَــاءَتْ أَرْضَــهَا وَسَــمَاهَا

23 وَبَـدَتْ لِـرَأْيِ العَـيْنِ أَرْضُ الشَّـامِ مِـنْ أَرْضِ الحِجَـــازِ وَأَبْصَـــرَتْ بِصَـــرَاهَا

24 دَنَـــتِ النُّجُـــومُ إِلَيْـــهِ عِنْـــدَ وِلَادِهِ وَتَـــوَدُّ لَـــوْ كَـــانَ الثَّـــرَى مَثْوَاهَـــا

25 كَـــمْ آيَـــةً قَبْـــلَ الْـــوِلَادِ وَبعْـــدَهُ دَلَّتْـــكَ أُولَاهَـــا عَلَـــىَ أُخْرَاهَـــا

26 قَصَـرَتْ بِـأَرْضِ الشَّـام قَيْصَـرِهَا كَمَـا كَسَـرَتْ بِـأَرْضِ الفُـرْسِ مِـنْ كِسْـرَاهَا

27 أَعْلَـى الأَنَـامِ عُـلاَ وَأَحْلاَهُـمْ حِلَـى وَأَجَلُّهُـمْ قَـدْرًا وَأَعْظَـمُ جَاهَـا

28 هُـوَ أَحْمَـدُ وَمُحَمَّـدٌ وَالمُجْتَبَـى وَالْمُصْـطَفَى وَالمَـدْحُ لاَ يَتَنَـاهَى

29 وَافَـى مِـنَ الـذِّكْرِ الحَكِـيمِ بِآيَـةٍ تَلَّـتْ جَبِـينَ الشِّـرْكِ حِـينَ تَـلاَهَا

30 وَإِلَـى جَمِيـعِ الخَلْـقِ بَلَّـغَ حُكْمُهَـا وَعَلَـىَ مِنَصَّـةِ الاِشْـتِهَارِ جَلاَهَـا

31 وَإِلَـىَ سِـيَادَتِهِ العَظِيمَـةِ أَوْمَـأَتْ يَاسِـينُ فِيـهِ وَالطَّهَـارَةُ طَاهَـا

32 يَـا مَـنْ تَشَـرَّفَتِ البَـسِيطَةُ إِذْ مَشَـى فِيهَـا وَدَاسَ بِأَخْمَصَـيْهِ ثَـرَاهَا

33 وَإِلَـيْهِ حَـنَّ الجِـذْعُ عِنْـدَ فِرَاقِـهِ وَأَتَـتْ لَـهُ الأَشْـجَارُ حِـينَ دَعاَهَـا

34 إِنْ سَبَّحَتْ فِـي كَـفِّكَ اليُمْنَـى الحَصَـى فِيهَـا الأَنَامِـلُ فَجَّـرَتْ أَمْوَاهَـا

35 ِإِنْ أَفْصَـحَتْ لَـكَ فِـي الخِطَـابِ غَزَالَـةٌ فَالضَّـبُّ أَوْ ذِئْـبُ الفَـلاَ مِثْلاَهَـا

36 لَـوْلاَكَ مَـا نَطَـقَ الجَمَـادُ وَلَـمْ تَكُـنْ بِخِطَابِهَـــا الْعَجْمَـــاءُ تَفْغَـــرُ فَاهَـــا

37 يَـا مَـنْ هَـدَى بِآيَـاتِ آيَـاتِ الْهُـدَى مَـنْ ضَـلَّ عَـنْ سُـبُلِ الـرَّشَادِ وَتَـاهَا

38 بِسَنَـــاكَ أَبْصَـــرَتِ الْبَصَـــائِرُ رُشْـــدَهَا وَأَجَلُّهُـــمْ قَـــدْرًا وَأَعْظَـــمُ جَاهَـــا

39 لَكَ رُدَّ قُرْصِ الشَّمْسِ يَا شَمْسَ الهُدَى لَمَّـــا تَـــوَارَى بِالْحِجَـــابِ ضِيَاهَـــا

40 لَـكَ فِـي انْشِقَـاقِ الْبَـدْرِ أَعْظَـمَ آيَـةٍ لَمَّـــا تَكَامَـــلَ حُسْـــنُهُ وَتَنَـــاهَى

41 يَـا مَـنْ سَـمَا فَـوْقَ السَّـمَوَاتِ العُلَـى فِـــي لَيْـــلَةِ الإِسْـــرَاءِ الَّـــتِي أَسْرَاهَـــا

42 وَرَقَّـــى بِسَـــاُط العِـــزِّ مُعْتَـــزًّا وَلَـــمْ يَخْلَـــعْ بِـــهِ نَعْـــلاً وَلاَ أَلْقَـــاهَا

43 وَكَقَـــابِ قَوْسَـــيْنِ اقْتَـــرَابًا كَـــانَ أَوْ أَدْنَـــى مَقَامًـــا حِـــينَ نَـــاجىَ اللهَ

44 فِـــي حَضْـــرَةِ الحَـــقِّ المُقَدَّسَـــةِ الَّتِـــي قَصُـــرَتْ عُقُـــولُ الْخَلْـــقِ عَـــنْ مَعْنَاهَـــا

45 أَوْحَـــى إِلَيْـــهِ بِهَـــا مِـــنَ الأَسْـــرَارِ مَـــا أَوْحَـــى وَنَـــوَّرَ قَلْبَـــهُ فَوَعَاهَـــا

46 أَسْـــرَى وَعـــادَ وَفَجْـــرُهُ لَـــمْ يَـــنْفَجِرْ وَخُطَـــى الْكَوَاكِـــبِ مَـــا عَـــدَتْ مَسْرَاهَـــا

47 كَـــمْ مُعْجِـــزَاتٌ لِلنَّبِـــيِّ مُحَمَّـــدٍ لَـــمْ يَحْوِهَـــا عَـــدَدٌ وَلاَ أَحْصَاهَـــا

48 مَـنْ خَصَّـهُ البَـارِي بِمَـا سَمَّـاهُ مِـنْ أَسْمَـــائِهِ السْنَـــى فَلَيْـــسَ يُضَاهَـــى

49 وَجَبَـــتْ شَفَاعَتَـــهُ لأُمَّتِـــهِ الَّتِـــي صِـــلَةُ الصَّـــلاَةِ عَلَيْـــهِ هَجِيرَاهَـــا

50 يَـــا خَيْـــرَ مَأْمُـــولٍ شَكِيَّـــةُ نَـــازِحٍ بَانَـــتْ أَحِبَّـــتَهُ وَشَـــطَّ نَوَاهَـــا

51 رَامَ المَـــــزَارَ فَأَقْعَـــــدَتْهُ ذُنُوبُـــــهُ عَـــنْ طِيبَـــةٍ الطِّيـــبِ الَّتِـــي يَهْوَاهَـــا

52 فَغَـــدَا يُعَلِّـــلُ نَفْسَـــهُ بِنَسِيمِهـــا يَـــا حَبَّـــذَا مِنْـــهَا نَسِيـــمً صَبَاهَـــا

53 يَـــا سَـــائِقَ النُّجُـــبِ الْمُذلِّـــلَةِ الَّتِـــي عَرَفَـــتْ هَوَادِجَهَـــا قِبَـــابَ قِبَاهَـــا

54 إِنْ جِئْـتُ خَيْـفَ مِنًـى وَبَلَّغْـتَ الْمُـنَى وَحَلَلْـــتَ أَرْضًـــا شَرَّفْـــتَ سُكْنَاهَـــا

55 أَبْلِـــغْ إِلـــىَ خَيْـــرِ الأَنَـــامِ تَحِيَّـــةً أَذْكَـــى مِـــنَ الْمِسْـــكِ الْفَتِيـــقِ شَذَاهَـــا

56 عَـــنْ عَابِـــدِ الـــرَّحْمَنِ مَوْلاَنَـــا الَّـــذِي حَـــازَ الْفَضَائِـــلَ جُمْلَـــةً وَحَوَاهَـــا

57 فَهُـــوَ الَّـــذِي حُـــبُّ النَّبِـــيِّ وَآلِـــهِ سِـــرٌّ جَوَانِحِـــهِ عَلَيْـــهِ طَوَاهَـــا

58 سَيَنَـــالُ فِـــي الأُخْـــرَى شَـــفَاعَتَهُ كَمَـــا قَـــدْ نَـــالَ فِـــي الدُّنْيَـــا الْعُـــلاَ وَالْجَاهَـــا

59 مَلِـــكٌ تُقِـــرُّ لَـــهُ بِكُـــلِّ فَضِيلَـــةٍ كُـــلُّ الْمُلُـــوكِ وَأَنَّـــهُ مَوْلاَهَـــا

60 مَلِـــكٌ تَهَـــابُ الأُسْـــدُ سَـــوْرَةَ بَطْشِـــهِ وَلِعِـــزِّ سَطْـــوَتِهِ يُـــذِلُّ سُطَاهَـــا

61 مَاضِـــي الْعَـــزَائِمِ وَالظُّـــبَي فَسُيُـــوفُهُ كَمَضَائِـــهِ وَمَضَـــاؤُهُ كَظُبَاهَـــا

62 زَانَ ٱلْخِلاَفَـــةَ بِٱلْمَكَـــارِمِ وَالنَّـــدَى وَحَمَـــى بِحـــدِّ الشَّـــرَفِيِّ حِمَاهَـــا

63 يَـا وَارِثَ الْخُلَفَـاءِ فِـي الْمُلْـكِ الَّـذِي سَـامَى بِـهِ كُـلَّ الْمُلُـوكِ وَبَاهَـى

64 يَهْنِيـكَ بَـلْ يَـهْنِي خِلاَفَتَـكَ الَّتِـي بَلَغَـتْ بِسَـعْدِكَ سُؤْلَـهَا وَمُنَـاهَا

65 وَتعَـزُّ عَمَّـنْ أَدْرَكَتْـهُ مَنِيَّـةُ اللهُ قَدَّرَهَـا لَـهُ وَقَضَاهَـا

66 حَيَّـى ٱلإِلِـهُ ضَـرِيحُهُ بِتَحِيَّـةٍ وَأَطَـابَ تُرْبَتَـهُ وَجَـادَ ثَرَاهَـا

67 وَأَدَامَ مُلْـكَ خَلِيفَـةِ اللهِ اِبْنُـهُ وَأَعَـزَّ دَوْلَتَـهُ وَمَـدَّ مَدَاهَـا

68 مَـا عَابِـدُ الـرَّحْمَنِ إِلاَّ رَحْمَـةً لِرَعِيَّـةً قَـدْ حَاطَهَـا وَرَعَاهَـا

69 تُنْبِيكَ سِيرَتَـهُ الْحَمِيدَةُ فِـيهِمُ عَـنْ سِـيرَةٍ قَـدْ سَـنَّهاَ عُمَـرَاهَا

70 تَرْجُـو الْجُنَـاةُ بِـهِ مِـنَ الـرَّدَى عَفْـوًا فَيُسْعِفُهَـا بِنَيْـلِ رَجَاهَـا

71 كَـمْ مِـنْ نُفُـوسُ تَسْـتَحِقُّ عِقَابِهَـا لَكِـنْ بِفَضْـلِ حَيَائِـهِ أَحْيَاهَـا

72 رَكِـبَ الْمَجْلَـى فِـي الْفَضَائِـلْ كُلِّهَـا وَجَـرَى لِغَايَتِهـا فَحَـازَ مَدَاهَـا

73 أَنْسَـى مآثِـرَ مَـنْ مَضَـى بِمَـآثِرٍ رَفَعَـتْ لَـهُ فِـي الْخَافِقِيـنَ لِوَاهَـا

74 إِنْ كَـانَ مُوسَـى لِلْخِلاَفَـةِ بَدْرُهَـا فَالتَّاشَـفِينِي شَمْسُـهَا وَضُحَاهَـا

75 إِنْ كَـــانَ مُوسَـــى لِلْخِلاَفَـــةِ صَدْرُهَـــا فَالتَّاشْـــــفِينِيْ قَلْبُـــــهَا وَحَجَاهَـــــا

76 ِإنْ كَـــانَ مُوسَـــى لِلْخِلاَفَـــةِ سُحْبُهَـــا فَالتَّاشْـــــفِينِيْ غَيْثُهَـــــا وَنَدَاهَـــــا

77 إِنْ كَـــانَ مُوسَـــى لِلْخِلاَفَـــةِ لَحْظُهَـــا فَالتَّاشْـــــفِينِيْ نُورُهَـــــا وَسَنَاهَـــــا

78 لاَ تَحْسُـــنُ الدُّنْيَـــا بِغَيْـــرِ ثَـــلاَثَةٍ مَـــا فِـــي الْـــوُجُودِ إِذَا نَظَـــرْتَ سِوَاهَـــا

79 بَـــدْرُ الدُّجَـــى وَالتَّاشْـــفِينِيُّ الرِّضَـــى وَالشَّـــمْسُ فِـــي إِشْرَاقِهَـــا وَعُلاَهَـــا

80 رَاقَـــتْ مَحَاسِنُهَـــا الثَّـــلاَثَةُ فَاغْتَـــدَتَ لِلَّناظِرِيـــــنَ نَظَائِـــــرٌ أَشْبَاهَـــــا

81 تَـــرْجُو البِـــلاَدُ الْقَـــاصِيَاتُ نَوَالَـــهُ فَنَوَالُـــــهُ كَحَيَاتِهَـــــا وَحَيَاهَـــــا

82 لَـــمْ تَـــرْضَ مِنْـــهُ بِغَيْـــرِ رُؤْيَـــةِ وَجْهِـــهِ شَوْقًـــا فَأَسْعَفَهَـــا بِنَيْـــلِ رِضاَهَـــا

83 مُتَوَجِّهًـــا فِيهَـــا بِأَسْعَـــدِ وُجْهَـــةٍ حَرَكَاتُهَـــــا مَحْمُـــــودَةٌ عُقْبَاهَـــــا

84 هِـــيَ وِجْهَـــةُ بَرَكَـــاتُ مَـــوْلِدِ أَحْمَـــدٍ قَـــدْ أَمَّـــهَا وَالنَّصْـــرُ تَحْـــتَ لِوَاهَـــا

85 هِيَ دَوَلَةُ النَّصْرِ الْعَزِيزِ فَكُلُّ مَنْ من لَـــمْ يَأْتِـــهَا طَـــوْعًا أَتَـــى إِكْرَاهَـــا

86 فَاهْنَـــأْ بِلَيْلَـــةِ مَوْلِـــدِ الْـــهَادِي الَّـــذِي عَظُمَـــتْ لأُمَّـــتِهِ بِهَـــا بُشْرَاهَـــا

87 وَتَعَـــاضَدَ النُّـــورَانُ مِـــنْ شَمْـــعِ وَمِـــنْ شُهُـــبٍ فَطَـــارَ بِهَـــا غـــرَابُ دُجَاهَـــا

88 فَكَأَنَّ فِيهَا مِنْ نَدَاكَ وَحُسْنِهَا غَيْثًا وَرَوْضًا طَابَ فِيهِ جَنَاهَا

89 جَعَلَ الإِلَهُ عُلاَكَ عُنْوَانًا لِمَا تَرْجُو بِدَارِ الْخُلْدِ مِنْ عَلْيَاهَا

90 وَحَبَاكَ مِنْهُ بِكُلِّ سَعْدٍ مُسْعَدِ لاَ يَنْقَضِي أَبَدًا وَلاَ يَتَنَاهَى

سماك نور الحق[*] **من بحر الطويل**

1 سَــمَالَكَ نُــورُ الحَــقِ لِلْحَــقِ هَادِيَــا فَخَفّضْــتَ طَرْفًــا عَــنْ سَــنَاهُ وَهَادِيَــا

2 وَمَـازَالَ يَـدْعُوكَ التُّقَـى لَـوْ وَعَـى النُّهَـى فِيَــا مُعْرِضًــا هَــلاَّ أَجَبْــتَ المُنَادِيَــا

3 وَمَــا الــنَّفْسُ إلاَّ مِــنْ أعْــدَائِكَ فَلْــيَكُنْ عَزِيمُــكَ فِيهَــا مَــا يَسُــوءُ الأعَادِيَــا

4 فَيَــا نَفْــسُ كَــمْ تَهْــوَى الهَــوَى وَتُطِيعُــهُ وَلَــمْ تَنْتَــهِ لَمَّــا ارْتَكَبْــتَ النَّوَاهِيَــا

5 فَفِــي الرُّشْــدِ لا تَــزْدَادُ إلا تَمَارِيَــا وَفِــي الغِــيِّ لاَ تَــزْدَادُ إلا تَمَادِيَــا

6 وَلَــوْ ثَمُــرِ التَّوفِيــقُ أصْــبَحْتَ جَانِيَــا لِمَــا كُنْــتَ لِلآثَــامِ والــذَّنْبِ جَانِيَــا

7 وَ لاَ كَــانَ قَلْبِــي بِــالجَرَائِمِ قَاسِــيَا وَ لاَ كُنْــتُ عِــنْ دَارِ الأَحِبَــة قَاصِــيَا

8 ولله قَــوْمُ عِنْــدَمَا لِلْهَــوَى دُعُــوا أجَــابُوا فَجَــابُوا لِلْحِجَــازِ الفَيَافِيَــا

9 هُــمُ أوْرَدُوا مَــاءَ العَــذِيبِ ظِمَــاءَهُمْ وَخُلِّفَــتُ مَصْــدُودًا عَــنِ الــوِرْدِ صَــادِيَا

[*] القصيدة من 1 إلى 71 في البغية، ج 2، ص من 189 إلى 193، ومن 1 إلى 47 ومن 64 إلى 71 في نحلة اللبيب لابن عمار، ص من 138 إلى 140.

10 غَرِيـــبٌ بِغَـــرْبٍ أوْبَقَتْـــهُ ذُنُوبُـــهُ فَأَصْـــبَحَ فِـــي أَسْـــرِ البَطَالَـــةِ عَانِيَـــا

11 وَكَـــمْ أَنَّـــهُ لِـــي كُـــلَّ يَـــوْمٍ وَلَيْلَـــةٍ تَـــذُوبُ عَلَيْهَـــا قِطْعَـــةٌ مِـــنْ فُؤَادِيَـــا

12 حَنِينًـــا وَشَـــوْقًا لِلْنَبِـــي مُحَمَـــدٍ فَيَالَيْـــتَ شِـــعْرِي هَـــلْ أنَـــالُ الأَمَانِيَـــا

13 وَأَبْصِـــرُ رَبْعًـــا حَلَّـــهُ خيْـــرُ مُرْسَـــلٍ وَأَلْـــثُمُ فِـــي مَغْنَـــاهُ تِلْـــكَ المَوَاطِيَـــا

14 وَأَسْـــجُدُ فِـــي التُـــرْبِ المُقَـــدَّسِ سَـــجْدَةً وأنْـــوِي بِهَـــا جَبْـــرًا لِمَـــا كُنْـــتُ سَـــاهِيَا

15 وَمَـــا فَـــازَ إلا مَـــنْ فَلَـــى نَحْـــوَهُ الفَـــلاَ ولَـــمْ يَنْـــوِ فِـــى قَصْـــدٍ إليْـــهِ التَّوَانِيَـــا

16 ومَـــا عَـــاقَنِي إلا ذُنُـــوبُ كَأَنَمَـــا تَحَمَّلْـــتُ مِـــنْهُنَ الجِبَـــالَ الرَوَاسِـــيَا

17 مَـــدَدْتُ يَـــدِي يَـــاذَا المُعْـــارِجِ رَاجِيَـــا وَاصْـــبَحْتُ آمَـــالِي إلَيْـــكَ حوَادِيَـــا

18 عَسَـــى جُـــوُدُكَ الفَيَّـــاضُ يُـــدْنِي وَسَـــائِلِي ويَنْشِـــي مِـــنْ العَفْـــوِ العَمِـــيمِ غَوَادِيَـــا

19 وَيَفْـــتَحُ لِـــي بَابًـــا إلَـــى مَـــنْهَجِ التُّقَـــى فَـــأُلْقِي التَّـــدَانِي يَـــوْمَ أُلْقِـــى التَنَادِيَـــا

20 لَـــدَى مَوْقِـــفُ يَـــوْمَ الحِسَـــابِ وهَوْلَـــهُ يَسُـــومُ الـــوَرَى كَـــرْبُ يُشِـــيبُ النَوَاصِـــيَا

21 هُنَـــاكَ يُنَـــادِي اشْـــفَعْ تُشَـــفَّعْ مُحَمَّـــدُ وَسَـــلْ مَـــا تَشَـــا تُعْـــطِ المُنَـــى والأَمَانِيَـــا

22 فَيُنْقِـــذُنَا مِـــنْ ذَلِـــكَ الهَـــوْلِ جَاهُـــهُ وَيَحْجِزُنَـــا عَـــنْ زَفْـــرَةِ النَـــارِ وَاقِيَـــا

23 فَمَـا لِـي سِـوَى حُبِـي إِلَيْـهِ وَسِـيلَةُ تَـرَدُّ عَـنِ اللَّهْفَـانِ تِلْـكَ المَرَادِيَـا

24 نَبُّـي رَآهُ الله أفْضَـلَ خَلْقِـهِ فَأَرْسَـلَهُ بِـالحَقِ لِلْخَلْـقِ هَادِيَـا

25 وأَسَـرَى بِـهِ لَـيْلاً إِلـىَ حَضْـرَةِ العُلـىَ فَشَـاهَدَ فيهَـا كُـلَّ مَـا كَـانَ خَافِيَـا

26 سَـرَى رَاكِبًـا ظَهْـرَ البُـرَاقِ كَرَامَـةً وبَـيْنَ يدَيْـهِ سَـارَ جِبْرِيـلُ مَاشِـيَا

27 دَنَـا فَتَـدَلَى قَـابَ قَوسَـيْنِ رِفْعَـةً وَقُرْبًـا فَأَمْسَـى للحَبِيـبِ مُنَاجِيَـا

28 وَكَلَّمَـهُ ظَبْـيٌ الغَـلاَ مُتَشَـفِعًا وَحَـنَ إِلَيْـهُ الجِـذْعُ بِالحَـالِ شَـاكِيَا

29 وَفَـاضَ نَمِيـرُ المَـاءِ بَـيْنَ بِنَانِـهِ فَكَـانَ وَضُـوءًا للكَتِيبَـةِ كَافِيَـا

30 وَكَـانَ لَـهُ فِـي الغَـارِ إِذَا نَـزَلاَ بِـهِ أَبَـوُ بَكْـرٍ الصِـدِيقُ بِالصِّـدْقِ ثَانِيَـا

31 وَحَامَـتُ حَوَالِيـهِ الحَمَـامُ وَشَـيَّدَتْ مِـنَ النَسْـجِ أَيْـدِي العَنْكَبُـوتِ مَبَانِيَـا

32 وَإِنَّ انْشِـقَاقَ البَـدْرِ أَعْظَـمُ آيَـةٍ يَعُـودُ بِهَـا جِيـدُ الهِدَايَـةِ حَالِيَـا

33 وَكَـمْ مُعْجِـزٍ أَبْـدَى النَّبِـي مظَـاهِرًا غَـدَا فِـي اتِّضَـاحٍ لِلْصَـبَاحِ مُضَـاهِيَا

34 وَوِرْدُ الهُـدَى لاَ يُهْتَـدَي لِسَـبِيلِهِ فَيَـرِي بِـهِ مَـنْ كَـانَ فِـي البَـدْءِ صَـادِيَا

35 وَبَشَّـرّ رِضْـوَانُ بِمَوْلِـدِ أَحْمَـدٍ فَيَـرْوِي جَنَّـاتِ النَعِـيمِ الثَّمَانِيَـا

36 وَآدَمَ لَمَـــا خَـــافَ يُجْـــزَي بِذَنْبِـــهِ تَوَسَّـــــلَ بِالمُخْتَـــــارِ لله دَاعِيَـــــا

37 فَتَـــابَ عَلَيْـــهِ واجْتَبَـــاهُ وَخَصَـــهُ وَأَدْنَـــاهُ مِنْـــهُ بَعْـــدَ مَـــا كَـــانَ نَائِيَـــا

38 وَقَدْ يَهْجُر المَحْبُوبُ فِي حَالَةِ الرِضَى وَيَـــأبَى الهَـــوَى ألاّ يُصَـــدَقَ وَاشِـــيَا

39 وَعَـيْنُ الرِّضَـى عَـنْ كُـلِّ عَيْـبٍ كَلِيلَـةُ ولَكِـنَّ عَـيْنُ السُّـخْطِ تُبْـدِي المَسَـاوِيَا

40 وأدْرَكَ مُوسَـــى فِـــي المُنَاجَـــاةِ رَغْبَـــةً فَكَلَّمَـــــهُ الله العَظِـــــيمُ مُنَاجِيَـــــا

41 وَمَـــا الرُّسْـــلُ إلاَّ كَالمَبَـــادِي لِغَايَـــةٍ هُـــوَ الغَايَـــةُ القُصْـــوَى أَتَـــمَّ المَبَادِيَـــا

42 نَبِّـــي لَـــهُ فَضْـــلُ عَلَـــى كُـــلِ مُرْسَـــلٍ كَمَـــا فَضَّـــلَتْ شَـــمْسُ النَّهَـــارِ الـــدَّرَارَيَا

43 أشَـــهْرَ رَبِيـــعٍ حُـــزْتَ كُـــلَّ فَضِـــيلَةٍ وَيَالَيْلَـــــةَ الإثْنَـــــيْنِ فُقْـــــتِ اللَّيَالِيَـــــا

44 ويَامَوْلِـــدَ المُخْتَـــارِ وَافِيْـــتْ زَائِـــرًا فَلِلَّـــهِ مَـــا أسْـــنَى الحَبِيـــبَ المُوَافِيَـــا

45 حَلَلْـــتَ رَبِيـــعَ المُلْـــكِ فَاخْتَـــالَ زَاهِيَـــا وَصَـــــارَ لِنُـــــورِ النِّيـــــرَاتِ مُبَاهِيَـــــا

46 تَلَقَّـــاكَ مَوْلانَـــا الخَلِيفَـــةُ بَاسِـــمًا لِقَـــاءَ مَشُـــوقٍ لَـــمْ يَكُـــنْ عَنْـــكَ سَـــالِيَا

47 وَأبْـــدَى مُحَبًّـــا كَالصَّـــبَاحِ صَـــبَاحَةً بِمَوسِـــمِكَ السَـــامِي فَـــأجْلَى الـــدَّيَاجِيَا

48 إمَـــامُ عَلَيْـــهِ لِلْسَـــعَادَةِ حُلَـــةُ جَدِيـــدَةُ حُسْـــنٍ لَـــيْسَ تَخْشَـــى التَبَالِيَـــا

49 أَجَلَّ مُلُوكِ العَصْرِ مُوسَى بْنُ يُوسُفَ حَــلاَهُ التُّقَــىَ والجُــودُ كَهْــلاً وَنَاشِــيًا

50 وَمَــنْ تَكُــنِ التَقْــوَى حُــلاَهُ وَدَأْبُــهُ يَكُــنْ عَنْــهُ رَبُّ العَــرْشِ لاَشَــكَّ رَاضِــيَا

51 ومَــنْ يَتَوَكَــلْ فِــي جَمِيــعِ أمُــورِهِ عَلَــى الله يُلْفِــهِ كَفِــيلاً وَكَافِيَــا

52 حَمَــى حَــوْزَةَ الــدِّينِ الحَنِيــفِ بِعَدْلِــهِ وَقَــامَ بِتَقْــوِيمِ الأمُــورِ مُعَانِيَــا

53 إمَـامُ الهُـدَى مُفْنِـي العِـدَا بِظُبَـا الـرَّدَى فَمُنْــذُ بَــدَا أحْيَــا النَّــدَى وَالمَعَالِيَــا

54 وَدَانَــتْ لَــهُ كُــلُ الــبِلاَدِ وأقْبَلَــتْ إلَيْــهِ أدَانِيهَــا فَــأَدْنَى الأقَاصِــيَا

55 أمَــوْلاَيَ إنَّ الله أعْطَــاكَ مُلْكَــهُ فَشَــيَّدْتَ مِــنْ مَبْنَــاهُ مَــا كَــانَ وَاهِيَــا

56 رَأى الله أنَّ المُلْــكَ لَــيْسَ يَسُوسُــهُ سِــوَاكَ وَمَــا لِلْــدِينِ غَيْــرَكَ حَامِيَــا

57 فَــأوْلاَكَ فِــي ضَــيْقِ الشَــدَائِد فُرْجَــةً وأعْطَــاكَ نَصْــرًا دَائِمًــا مُتَوَالِيَــا

58 سَتَقْضِــي لَــكَ الأَقْــدَارُ مَــا كُنْــتَ نَاوِيَــا وَتُدْنِي المُنَى مِنْ حَيْثُ تُقْصِي المَنَاوِيَا

59 وتَسْــتَفْتِحُ الأَمْصَــارَ شَــرْقًا وَمَغْرِبًــا وَتَــدْفَعُ عَــنْهُنَ العَــدُو المُــدَاجِيَا

60 وَتُجْلِبُهَــا خَــيْلاً وَرِجَــالاً وَتَمْتَضِــي مِنَ العَزْمِ مَا يُنْسِي السُيُوفَ المَوَاضِيَا

61 تَشِــنُ عَلَــيْهِمْ غَــارَةً بَعْــدَ غَــارَةٍ تُحَكِّــمُ فِــيهِنَّ الظُّبَــى وَالعَوَالِيَــا

62 فَمَـــا أَهْمِلُـــوا لَكِـــنَّهُمْ أَمْهَلُـــوا إِلَـــى زَمَـــانَ يُبِيـــدُ اللهُ فِيـــهِ الأَعَادِيَـــا

63 لَكُـــلٍّ مِـــنَ الأَشْـــيَاءْ حَـــدٌّ مُؤَقَـــتُ ولاَ بُـــدَ يَوْمًـــا أَنْ يُـــوَافَى التَّنَاهِيَـــا

64 وَكَـمْ آبِـقٍ فِـي رِقِ مُلْكِـكَ قَـدْ جَنَـى مِـرَارًا وَلَـوْلاَ العَفْـوُ مَـا كَـانَ نَاجِيَـا

65 عَفَـوْتُ اقْتِـدَارًا عَـنْ تَمَـادِي ذُنُوبِـهِ وأَوْسِـــعْتَهُ حُلْمًـــا فَكَـــفَ التَمَادِيَـــا

66 ومَـا قَتْلَـةُ الأَحْـرَارِ كَـالعَفْوِ عَـنْهُمُ وَمَـــا الحُـــرُّ إلاَ يُرَاعِـــي الأيَادِيَـــا

67 فَـــلاَ زَالَـــتِ الآمَـــالُ وَقْفًـــا عَلَـــيْكُمُ لَهَـا مِـنْ نِـدَاكَ المَـورِدُ العَـذْبُ صَـافِيَا

68 وَدَامَ لَـكَ المُلْـكُ الـذِي أَنْـتَ زَيَنْتَـهُ وَأُلْـــبِسَ بُـــرْدًا بِالسَـــعَادَةِ ضَـــافِيَا

69 وَدُونَكَـــهُ سِـــلْكًا مِـــنَ الـــنَظْمِ رَائِقًـــا غَـــدَا فَاتِقًـــا فِـــي نَظْمِهِـــنَّ اللآلِيَـــا

70 وَمَـا كُنْـتُ أَدْرِي الشِّـعْرَ قِـدْمًا وإِنَّمَـا تَعَلَّمْـتُ مِـنْ تِلْـكَ المَعَـالِي المَعَانِيَـا

71 فَلَـوْلاَ حُلاَكُـمْ أَوْ عُلاَكُـمْ لَمَـا غَـدَتْ تُطَـــاوِعُنِي مَهْمَـــا دَعَـــوْتُ القَوَافِيَـــا

انتهى الديوان بحمد الله

إنّي رأيت أنَّه لا يكتُب إنسانُ كتاباً

في يوْمهِ إلاَّ قالَ في غـدِهِ:

لوْ غيَّر هذاَ لكَان أفْضَل...

ولوْ تركَ هذا لكانَ أجمـل...

وهـذاَ من أعْظَـمِ العبَـر، وهـو دليـلٌ على اسْتيـلاء النَّقْـص على جمـلة البَشــر

العمــاد الأصفهاني

خـاتمــة

وبعد. فهذه دراسة حاولت من خلالها أن أكشف حياة الثغري التلمساني وما أحيط بها من ظروف سياسية وإجتماعية وأدبية، وأن أتبين شعر المولديات مفهوما وتاريخا وأدرسه دراسة جمالية في حدود المستطاع، ويمكنني أن أقول بأنني توصلت إلى نتائج –أستطيع أن أجملها فيما يلي:

1- لقد تبين لي من خلال دراستي للحياة الثقافية والأدبية أن القرنين الثامن والتاسع قد شهدا حياة فكرية رائدة وحركة تنوير واسعة للعلوم والمعارف الإسلامية المختلفة امتدت تأثيراتها وإشعاعاتها إلى المدن والعواصم الإسلامية الكبرى، في مغرب العالم الإسلامي ومشرقة، وانكب أمراء هذه المدينة وسلاطينها المتعاقبين عليها على البناء الحضاري بمفهومه الواسع ، وشهد القرن الثامن الهجري خاصة بناء عدد من المدارس العلمية وانكباب جيل من العلماء للتدريس بها، وتثقيف الأجيال وتعليمها والنهوض بها .

2- ومن خلال التعرض لحياة الثغري بالدراسة والتحقيق تبين أنه شاعر مجيد غير أنه يسير في ركاب المحافظة والتقليد شكلا ومضمونا، فنجد مثلا بصمات فحول الشعراء العباسيين في شعره أمثال أبي تمام والمتنبي، كما نجده قد قلد شعراء آخرين أمثال الإمام البصيري ولعل هذا راجع إلى المكانة التي يتمتع بها الشعر المشرقي لدى المغاربة .

3- ومن خلال دراستي لغرض المولديات تبين لي أن الشعراء الزيانيين اهتموا به اهتماما بالغا واستطاعوا أن يتميزوا فيه على المشارقة، وأن يجعلوه اتجاها قائما بذاته وبابا من أبواب الشعر أبدعوا فيه القول وأجادوا فيه الصياغة.

4- بعد الإطلاع على فن التصوير عند الثغري أدركنا أنه ينتزع صوره من محيطه وبيئته ومن واقعه عموما، إن دل هذا على شيء فإنه يدل على مدى تقليد الثغري في هذا.

5- جاءت لغة الثغري في أكثر قصائده جيدة متناسبة تميزت بانتقاء الألفاظ الموحية، حيث خدمت الغرض الذي جاءت من أجله فهي لطيفة عذبة في الغزل ، وجزلة محكمة في المدح.

أما عن تلك التي جاءت في مدح الرسول "صلى الله عليه وسلم " فقد ارتبطت ارتباطا وثيقا بشخصيته "صلى الله عليه وسلم" ومن ثمة كثرت المفردات الدينية، حيث نجدها تغطي المساحة الكبرى من القصيدة المولدية وعليه يمكننا القول أن لغة الثغري جاءت متناسبة مع الموضوعات ولعل ذلك ناتج عن قدرة الشاعر في هذا المجال وإدراكه شوارد اللغة وغريبها.

6- يعد أسلوب الثغري أسلوبا قويا سلسا بعيدا عن التكلف يمتاز بسهولة التراكيب وبساطتها، كما يبدو تأثيره الشديد بالقرآن الكريم وهذا ما يتطلبه فن المولديات .

7- أما عن البحور التي وظفها فتكاد تنحصر في الطويل والكامل والبسيط والخفيف، وهي في معظمها بحور تختص بالموضوعات الجادة والمهمة على خلاف المضارع والمقتضب التي وجدناها مغيبة عنده، وهي بحور تختص بالموضوعات البسيطة والسريعة.

8- لقد اهتم أمراء الدولة الزيانية وسلاطينها بإحياء سنة الإحتفال بالمولد النبوي الشريف اهتماما جعلهم يتميزون في هذا الباب عن غيرهم، ويبدعون فيه أيما إبداع .

9- كما تبدو ثقافة الثغري الدينية واسعة، ويظهر ذلك بقوة في اعتزازه بالروح الإسلامية، وحبه الكبير للنبي عليه الصلاة والسلام وتعداده لأغلب معجزاته ومن ثمة فإن شعر الثغري شعر صادق نزيه بعيد كل البعد عن طابع التملق والتكلف.

و لقد بذلنا جهدنا بكل ما أوتينا من قوة أن يخرج هذا البحث في أبهى صورة وأن يسهم ولو بجزء ضئيل في إضافة القليل إلى المكتبة العربية ويسهم في فتح الآفاق أمام المقبلين على دراسة الأدب المغربي وذلك بتوفيق من الله سبحانه وتعالى .

فله الحمد أولا وأخيرا

المصادر :

- المصحف : رواية ورش

01- ديوان الثغري التلمساني

02- ابن خلدون : مقدمة بن خلدون، ط5، الناشر دار الكتاب العربي، بيروت لبنان (د .ت).

03- ابن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ج 1، تحقيق محمد محي الدين عبد المجيد، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء بالمغرب الأقصى (د . ت).

04- ابن قتيبة عبد الله بن مسلم : الشعر والشعراء، ط 2 ،دار إحياء العلوم،بيروت 1987م.

05- ابن هشام : السّيرة المحمدية، المجلد الأول، تحقيق طه عبد الرّؤوف سعيد، دار الجيل، بيروت، .1998

06- ابن مريم ،ابو عبد الله محمد بن محمد بن احمد : البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، تحقيق محمد بن ابي شنب، نشره عبد الرحمان طالب، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، .1986

07- أبو العباس ابن عمار : رحلة ابن عمار الجزائري،دار الرائد العربي،بيروت .1980

08- أبو زكريا يحي بن خلدون : بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، ج 1 ، تحقيق عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية، الجزائر.

09- أحمد بن محمد التلمساني المقري : نفخ الطيب في غصن الأندلس الرطيب، تحقيق محي الدين عبد المجيد، نشر دار الكتاب العربي، بيروت لبنان م 3، ج .6

10- الجاحظ : البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام محمد هارون،لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1948- 1961.

11- الجاحظ : رسائل الجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد هارون،(بدون نص) مكتبة الخانجي، القاهرة، 1964. 1965.

12- حازم القرطاجني :منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ، ط 2، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة، دار المغرب الإسلامي، بيروت 1981.

13- ديوان النابغة الذبياني: تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، القاهرة، 1983.

14- عبد الرحمان بن خلدون : كتاب العبد وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ط 3 ، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، م 7 ج1 ، لبنان بيروت 1967.

15- عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز، تحقيق السيد محمد رشيد رضا، دار المعرفة للطباعة والنّشر، بيروت، 1398هـ، 1978م.

16- قدامه بن جعفر: نقد الشعر، تحقيق محمد عبد المنعم خفاشي، دار الكتب العلمية، بيروت.

17- لسان الدين بن الخطيب : الإحاطة في أخبار غرناطة ج2 ،ط1، تحقيق محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي القاهرة 1974.

18- لسان الدين بن الخطيب :ديوان الصب والجهام والماضي والكهام، دراسة وتحقيق محمد الشريف قاهر،ط1 الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1973.

19- مبارك الميلي : تاريخ الجزائر الثقافي في القديم والحديث،ج2، مكتبة النهضة الجزائر 1963.

20- مؤلف مجهول : الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية طبع بمطبعة جول كارنونل في ساحة الدولة الجزائرية 1960 ، نشره محمد أبي شنب بالمدرسة الثعالبية في الجزائر.

المراجـع :

01- إبراهيم الرماني: ظاهرة الغموض في الشعر العربي الحديث، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية بن عكنون، الجزائر، .1991

02- أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي من القرن (10-14 هـ / 16-20 م) الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر .1981

03- احسان عباس : تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ط3، دار الثقافة بيروت .1981

04- أحمد أبوحاقة : فن المديح وتطوره في الشعر العربي، ط 1 بيروت، منشورات دار الشرق الجديد .1992

05- الأزهر الزناد : دروس في البلاغة العربية نحو رؤية جديدة، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، .1992

06- أحمد أمين : ظهر الإسلام، ط2، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر،القاهرة،.1961

07- أحمد سليم غانم : تداول المعاني بين الشعراء، قراءة في النظرية النقدية عند العرب، ط 1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، .2006

08- التنوخي أبو يعلى عبد الباقي بن محسن : كتاب القوافي، تحقيق محمد عوني عبد الرؤوف، مكتبة الخانجي، القاهرة .1975

09- السعيد الورقي: لغة الشعر العربي الحديث. مقوماتها الفنية وطاقاتها الإبداعية، ط 3، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، .1984

10- العسقلاني : فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج 14، حديث عبد الله بن مسعود رقم 3636.

11- إيميل ناصيف : أروع ما قيل في الزهد والتصوف، دار الجيل بيروت.

12- بدير متولي: ميزان الشعر، ط 2، دار المعرفة، القاهرة ، .1967

13- بدوي محمد مصطفى : كولوريدج، سلسلة نوابغ الفكر العربي، ط 2 ، دار المعارف، مصر 1958.

14- بشري موسى صالح : الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت .1994

15- بوزياني الدراجي: نظم الحكم في دولة بني عبد الوادي الزيانية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.1993

16- جابر عصفور: مفهوم الشعر ، ط3، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، .1983

17- جمال مباركي : التناص وجمالياته في الشعر الجزائري المعاصر- إصدارات رابطة إبداع الثقافية، الجزائر ، ط 1 ، .2003

18- جوليا كريستيفا: علم النص، ترجمة فريد الزّاهي، ط 1، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، 1991.

19- حسين عطوان : مقدمة القصيدة العربية في الشعر الجاهلي، (د. ط) دار المعارف 1986.

20- رابح بونار : المغرب العربي، تاريخه وثقافته، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1968.

21- رمضان الصباغ : في نقد الشعر العربي المعاصر، دراسة جمالية، ط 1، دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية، 1998.

22- زكي مبارك : المدائح النبوية في الأدب العربي، منشروات المكتبة العصرية، صيدا، لبنان.

23-شوقي ضيف : تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، ط 6 دار المعرف مصر 1966.

24- صالح مفقودة : نصوص وأسئلة، دراسات في الأدب الجزائري، ط 1، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين، دار هومة، الجزائر، 2002.

25- صمود حمادي : التفكير البلاغي عند العرب، أسسه وتطوره إلى القرن السادس منشورات الجامعة التونسية، السلسلة السادسة، الفلسفة والأدب مجلد العدد 21، تونس 1981.

26- عباس محمود العقاد: اللغة الشاعرة مزايا الفن والتعبير في اللغة العربية، (د.ط)، مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة (د .ت).

27- عبد الحكيم حسان :التصوف في الشعر العربي نشأته وتطوره حتى أواخر القرن الثالث، مكتبة الأنجلو المصرية .1955

28- عبد الحميد حاجيات : أبو حمو موسى الثاني، حياته وآثاره، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر .1974

29- عبد الرحمان الجيلالي : تاريخ الجزائر العام، الجزء 2، ط 2 ، مكتبة الشركة الجزائرية، منشروات دار الحياة، بيروت لبنان .1965

30- عبد الرحمان تبرما سين : البنية الإيقاعية للقصيدة المعاصرة في الجزائر، ط1، دار الفجر للنشر والتوزيع، .2003

31- عبد المنعم قنديل : رابعة العدوية عذراء البصرة البتول، شركة الشهاب للنشر والتوزيع ،الجزائر.

32- عبد الملك مرتاض : الأدب الجزائري القديم دراسة في الجذور،(د.ط)،دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع،الجزائر،.2003

33- عبد الله حمادي : دراسات في الأدب المغربي القديم، ط1، دار البعث للطباعة، قسنطينة 1986.

34- عبد الله ركيبي : الشعر الديني الجزائري الحديث، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1981.

35- عز الدين إسماعيل : الشعر العربي المعاصر. قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، ط 3، دار الفكر العربي، القاهرة .1963

36- علي الجندي : أزهار الرياض في مولد المختار،دار الرئد العربي، بيروت .1902

37- عياد شكري محمد : موسيقى الشعر العربي، دار المعرفة، القاهرة، .1968

38- غازي طليمات، عرفان الأشقر :الأدب الجاهلي قضاياه, أغراضه ,أعلامه، فنونه، ط1، دار الفكر المعاصر ,بيروت لبنان.

39- قاسم الحسيني : الشعر الأندلسي في القرن 9 هـ موضوعاته وخصائصه ، ط 1 ، الدار العالمية للكتاب، الدار البيضاء ، المغرب الأقصى .1980

40- محمد أحمد علي : أثر النزعة العقلية في القصيدة العربية، ط 1، دمشق، السيروان للطباعة والنشر والتوزيع، .1993

41- محمد الطمار : الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. الجزائر، 1983.

42- محمد الطمار: تاريخ الأدب الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر .1981

43- محمد بن تاويت ومحمد الصادق عفيفي : الأدب المغربي، ط 2 ، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر بيروت لبنان .1969

44- محمد بنيس : ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب، ط1، دار العودة، بيروت 1979.

الإبداع الثقافية، مطبعة دار هومة، الجزائر .2003

45- محمد حسن عبد الله : الصورة والبناء الشّعري، (د ط)،دار المعارف، القاهرة، (د.ت).

46- محمد زكي العشماوي : قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث، (د ط)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية .1990

47- محمد عزام : النص الغائب، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001.

48- محمد محمد طه الحاجري : توضيح البديع في البلاغة، ط1، المكتب الجامعي الحديث، الأسكندرية ، 1998.

49- مصطفى محمد هدارة : اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري، ط1 ، الإسكندرية، دار العلوم للطباعة والنشر 1981.

50- نور الدين السيد : الأسلوبية وتحليل الخطاب، ج2، ط1، دار هومة للنشر والطباعة والتوزيع، الجزائر (د . ت).

51- يوسف بن إسماعيل النبهاني : الأنوار المحمدية في المواهب اللدنية (د .ط)، بدون مكان الطبع 1312 هـ.

52- رشيد بورويبة وآخرون : الجزائر في تاريخ العالم الإسلامي، المؤسسة الوطنية للكتاب 1984.

المراجع الأجنبية :

Genétte, Palempestes, Editions du seuil, 1982 -01

الرسائل :

01- الجيلالي سلطاني : اتجاهات الشعر في عصر المرابطين بالمغرب والأندلس ،بحث مقدم لنيل شهادة ماجستير في الأدب الأندلسي، نوقشت في جامعة دمشق، 1973.

02- الشائعة باي : تناص التراث العربي الإسلامي في القصيدة الشعبية العربية الجزائرية أثناء ثورة نوفمبر (54-62)، بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في الأدب الشعبي، إشراف العربي دحو، نوقشت في جامعة قسنطينة، 2005.

03- علي رحماني:الرفض والتجاوز في شعر أمل دنقل، بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في الأدب العربي، نوقشت في جامعة بسكرة 2003، إشراف مفقودة صالح.

04- فاتح الجميلي: بناء قصيدة المديح عند ابن هاني الأندلسي، بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير،في الأدب الأندلسي ،نوقشت في جامعة قسنطينة، 1998-1999.

05- لخضر جمعي: ائتلاف اللفظ والمعنى عند نقاد العرب القدامى، بحث مقدم لنيل درجة دكتوراه دولة في النقد، نوقشت بجامعة الجزائر 1995م.

06- محمد كعوان: الأبعاد الصوفية في الخطاب الشعري الجزائري المعاصر، رسالة ماجستير.

07- نوار بوحلاسة : الشعر الزياني (633 – 962 هـ) بحث مقدم لنيل ماجستير في الأدب العربي القديم، إشراف جودت الركابي نوقشت بجامعة قسنطينة 1989.

08- نوار بوحلاسة : الثغري التلمساني، حياته وشعره دراسة وجمع وتحقيق، بحب مقدم لنيل درجة دكتوراه دولة في الأدب العربي المغربي القديم، إشراف جودت الركابي، نوقشت في جامعة قسنطينة الجزائر 1996- 1997.

المعاجم والموسوعات :

01- ابن منظور : لسان العرب المحيط، ج6 ، دار الجيل الجديد بيروت 1988.

02- الربعي بن سلامة وآخرون : موسوعة الشعر الجزائري ،ج 1 ، ط 1 ، دار الهدى عين مليلة، الجزائر .2002

03- الفيروز أبادي : القاموس المحيط ، ج2، مطبعة مصطفى الحبلى القاهرة.

04- عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر،ط 1،

الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر .1974

05- زهير احدادن وآخرون: معجم مشاهير المغاربة. المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، نشره الأستاذ: عبد المجيد حاجيات.

المجـلات :

مجلة التراث العربي : العدد 97 آذار (مارس) 2005 صفر 1425 السنة 24

الأنتـرنت :

- www.almerqab.com

- www.membres.lycos.fr

µ

لقد ظل الأدب العربي في بلاد المغرب ولا يزال في حاجة ملحة إلى البحث والدراسة، وما كتب عنه حتى الآن لا يمثل إلاّ جهداً أولياً لمجموعة من الباحثين والدارسين إذا ما قورن بالأدب العربي في المشرق ، حيث كتب المشارقة عن أدبهم بإسهاب، فاستطاعوا أن يقدموا إلى العالم صورة واضحة عنه، بيد أن الخزانة الأدبية في العالم العربي ستظل غير كاملة لفقدانها لجانب هام من تراثها الحضاري والفكري والأدبي.

من هنا يأتي دور أبناء المغرب العربي ليتحمّلوا عبء هذه المسؤولية، وهم حين يقومون بهذا فإنهم يقدمون في الوقت نفسه خدمة للأدب المغربي باعتباره جزءًا من الأدب العربي.

فوجدت نفسي منساقة إلى الاهتمام بهذا الأدب المغربي، وقد كان فكرة تراودني منذ حين ، لما لمست من تهميش له وعدم اهتمام به، ولعل هذا من مخلفات الاستعمار الفرنسي، حيث عمل على طمس الثقافة العربية في منطقتنا المغربية، وبعد الاستقلال ولسنواتنا هذه اعتقدت الناشئة أن لا وجود لأدب يسمى الأدب المغربي، وإنّما عدّ هذا الأخير وقفا على المشرق العربي، خاصة وأنَّ منظومتنا التربوية مشت في هذا السياق ، ففي الوقت الذي درسنا لأبي تمام والبحتري والمتنبي من القدماء ولشوقي والرصافي وحافظ إبراهيم ونزار من المحدثين لم نكن نسمع بأديب مغربي واحد، كإبن خميس وعبد الكريم النهشلي، ويحي بن خلدون، وابن رشيق المسيلي والثغري التلمساني، وانطلاقا من هنا كانت الفرصة متاحة، والوسائل متوفرة إلى حد ما، حيث خصص موضوع البحث في الأدب المغربي والجزائري تحديداً.

من هنا راودتني فكرة البحث في الأدب الزياني، وقد تم العزم على الوقوف عند شاعر مجيد لكنه مغمور، عاش في القرن التاسع في تلمسان، إنَّه الثغري التلمساني، وقد تمَّ اختيار مولودياته كعينة للدّراسة والبحث. وليس لي من علة أتعلّل بها في اختياري لهذا الشاعر، ولهذه القصائد، سوى الأسباب التي تقدّمت بها، فمن حق شاعر مجيد ومكثر كالثغري أن

تعرف قصائده النور، وينفض عنها الغبار، لا سيما وأنني لم أعثر على كتابة علمية مفصلة عن هذا الشاعر، وعن قصائده.

إنَّ وجود شاعر كهذا، وقصائد كمولدياته في النصف الثاني من القرن الثامن الذي يعتبر من أخصب الحقب الزمانية التي عرفتها الدولة الزيانية في تلمسان، أمر يدعو القارئ إلى طرح بعض الأسئلة، تكون بمثابة التمهيد الأول لهذا البحث إن شاء الله:

- ما طبيعة العلاقات بين الدولة الزيانية وغيرها من الدول المجاورة؟
- ما طبيعة الحياة السياسية في هذه الفترة؟ وما تأثيرها عن الحياة الأدبية؟.
- من هو الثغري التلمساني ؟.
- ما مفهوم المولديات ؟ وما مضمونها وتشكيلها ؟ وكيف نشأت وتطوّرت؟.

هذه الأسئلة وغيرها حاولت الإجابة عنها في هذا البحث الموسوم بـ: "مولديات الثغري التلمساني مضمونها وتشكيلها".

وقدا دفعني إلى اختيار هذا الموضوع أسباب عدّة، أذكر منها:

- الرّغبة في خوض غمار التجربة الشعرية الجزائرية القديمة.
- الرّغبة في توسيع معارفي الذاتية في مجال غرض المولديات، كيف نشأت وتطورت في الأدب العربي.
- إنَّ دراسة الأدب المغربي لا تزال بكراً، فلم يلق الاهتمام الذي لقيه الأدب في المشرق، لذا عزمت على خوض غماره.

ولتحقيق هدفي هذا أطّرت البحث وفق:

مقدمة ومدخل وثلاثة فصول وخاتمة وملحق، وتفصيل ذلك في الآتي:

المقدمة: وفيها حدَّدت دواعي وأسباب اختيار الموضوع، ومكونات البحث والصعوبات التي اعترضته.

المدخل: خصّصته للحديث عن الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية الأدبية، لأنَّه لا مفر من الحديث عن هذه الأمور، لأنَّ الشاعر عادة ما يعكس حياة أمَّته بجميع جوانبها ويتأثّر بها تأثّراً كبيراً يظهر في شعره، وهذه حقيقة لا يختلف فيها إثنان، عقبت ذلك بالحديث عن حياة الثغري، فذكرت مولده ونشأته وثقافته وأهم شيوخه وتلاميذه، ثمَّ منزلته الأدبية وأخيراً وفاته.

الفصل الأول : وفيه تطرقت للجانب النَّظري من هذا البحث، وذلك بالحديث عن "المولديات مفهوماً وتاريخاً"، فأمَّا المولديات من ناحية المفهوم فعرفتها لغة واصطلاحاً وحاولت أن أبيّن وجه العلاقة بينها وبين غرض المدح كونها جزءا منه أو نوعا من أنواعه، أمَّا من الناحية التاريخية فقد تتبعت نشأتها وتطورها ورحت أحدّد علاقتها بنصوص أخرى حصرتها في: المدائح النبوية والبديعيات والتصوف الإسلامي، حيث عرفت كل غرض من هذه الأغراض وعلاقته بالمولديات.

الفصل الثاني : بعنوان "المضمون بين الراهن والاستدعاء" وفيه مبحثان:

1. الانفراد: وقصدت به ابتكار الشاعر وتميزه عن معاصريه وسابقيه من الشّعراء، وقد وجدت أنَّ الثّغري لم يأت بجديد، على مستوى بناء المولدية وخصائصهاو إنما تمثل تفرده في صدق عاطفته الدينية، وشمولية الشعور بالقداسة والتعظيم فلا زيف ولا تعمل في مولدياته جميعا.
2. الاشتراك: وفيه اشترك الثغري مع غيره في الكتابة الشعرية ، وذلك عبر ثلاث مستويات في المولدية، وهي: المطلع، الصدر، والخاتمة.

الفصل الثالث : وهو خاص بالتشكيل الجمالي، وفيه تحدثت عن أهم المحطّات الفنية في شعر الثّغري في النقاط: المعجم، الصّورة الشعرية ثم البنية الإيقاعية، فوجدت هذه القضايا الفنية ماثلة في مدوّنة الشّاعر.

الخاتمة : وقد سجّلت فيها أهم النتائج التي توصّل إليها البحث، ووعياً مني على جعل البحث متكاملاً دراسة ومدونة، ألحقت به ملحقاً بالنّصوص التي درستها، وجمعت فيه فصل يعد نسخة كاملة من مولدياته.

وقد اعتمدت على منهجين حسب طبيعة الموضوع : وصفي تاريخي، وفني جمالي.

أمَّا أهم المصادر والمراجع التي اعتمد عليها هذا البحث فأذكر منها:" ديوان الثغري"، "نفح الطيب " للمقري، "نظم الدّر" و"العقيان" للتنسي، "بغية الروّاد في ذكر ملوك بني عبد الواد" ليحي ابن خلدون، و"العبر" لعبد الرحمن بن خلدون، "الحلة السنية في تاريخ الدولة المرينية " لمؤلف مجهول، إلى جانب هذا هناك المراجع التي استطاعت أن تجمع عدداً لا بأس به من أشعار الثغري التلمساني أو حتى جزءٌ يسيرٌ من حياته مثل أبو حمو موسى الثاني حياته وآثاره لعبد الحميد حاجيات، تاريخ الأدب الجزائري لمحمد الطمار، تاريخ الجزائر العام لعبد

الرحمن الجيلالي، الأدب المغربي لمحمد بن تاويت ومحمد الصادق عفيفي، الثغري التلمساني حياته وشعره دراسة وجمع وتحقيق أطروحة دكتوراه إعداد نوار بوحلاسة، إضافة إلى بعض المراجع المكملة.

وقد اعترضتني جملة من الصعوبات أذكر منها:

- قلة المراجع لا سيما فيما يخص التعريف بالثغري خاصة نشأته وتفاصيل حياته، حيث لم أعثر إلاَّ على بعض المعلومات القليلة جداً والمتعلقة باسمه وبعض صفاته العلمية، وقد تكرَّرت نفسها في أغلب المصادر التي عثرنا عليها، حتى في رسالة الدكتوراه التي أعدها نوار بوحلاسة فهي كذلك كررت المعلومات نفسها.
- فقر المكتبة الجامعية لجامعة بسكرة وباتنة إلى كتب متخصصة في الأدب المغربي القديم ممَّا اضطرَّني للسّفر مراراً للبحث عنها في جامعات أخرى كجامعة قسنطينة والجزائر والمكتبة الوطنية.
- ظهور بعض العراقيل كعدم تعوان أعوان المكتبات، وكان ملاذي الوحيد في كل ما كنت أواجه من صعوبات أستاذي المشرف الدكتور "العربي دحو" الذي كان يرعى هذا البحث بحسن توجيهه وملاحظاته والذي ما فتئ يزودني بإرشاداته وملاحظاته رغبة منه في استواء هذا البحث وخروجه في أحسن صورة ممكنة، فإليه أرفع أسمى الامتنان والتقدير.

وأخيراً آمل أن يكون هذا المجهود المتواضع قد ساهم ولو بحظ قليل في التعريف بجانب من أدبنا الجزائري القديم.

والحمد لله أولاً وأخيراً.